2274
.799567
.S15
.389

2274.799567.S15.389
Salih
Tarikh Urubbah al-hadith

DATE | ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074322296

الدكتور
محمد محمد صالح
كلية التربية ـ جامعة بغداد

تاريخ
اوربه الحديث
١٨٧٠ - ١٩١٤

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة شفيق ـ بغداد
١٩٦٨

Sālih, Muhammad Muhammad

الدكتور
محمد محمد صالح
كلية التربية ـ جامعة بغداد

Tārikh Urubbā al-hadīth

تاريخ

اوربه الحديث

١٨٧٠ - ١٩١٤

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة شفيق ـ بغداد
١٩٦٨

2274
.799567
S15
389

أوربـــه بين ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

4-22-70 1945

تمهيـــــد

يسرنى تقديم هذا الكتاب بين يدى القراء عن تأريخ اوربا بين ١٨٧٠ ـ ١٩١٤ ، ملخصاً الحوادث العامة فى اوربـــا ، شـــارحاً التطـــورات الداخلية فى الدول الاوربية ، وذاكراً أهم التيارات السياسية والاجتماعية الناجمة عن الحركة الفكرية السائدة فى تلك الحقبـــة . وانى لأرجو الافادة منه وخاصة طلاب التأريخ فى الجامعة الذين يلاقون صعوبات كثيرة فى الحصول على مصدر تأريخى يفى بالمرام ويدلهم على مصادر أوربية يمكن الرجوع اليها للبحث والاستزادة من المعلومات .

الدكتور محمد محمد صالح

الفصل الأول
العلاقات الدولية فى اوربا
١٨٧٠ ـ ١٩١٤

بدأت الحرب العالمية الاولى بمقتل الارشيدوق فرنسيس فردنند ولى عهد النمسا فى مدينة سراجيفو فى يوغوسلافيا الحالية فى ٢٨ حزيران ١٩١٤ • وقد جددت الحادثة نزاعا مستمرا بين النمسا والصرب كان من المنتظر ان تتدخل فيه كل من ايطاليا وروسيا باعتبار ان الاخيرة تريدحماية العناصر السلافية فى البلقان ، بينما ايطاليا تريد الحصول على بعض الاجزاء فيها وتشك فى نوايا وفعاليات حكومة النمسا التى قد تخل بالتوازن فى منطقة بحر الادرياتيك • ولم تكن لالمانيا وفرنسا وانكلترا مصالح مباشرة فىالنزاع القائم بين النمسا والصرب • لكن هذه الدول الثلاث كانت مرتبطة بعضها ببعض بسلسلة من الاتفاقيات العسكرية كان الغرض منها منع وقوع الحرب ، الا أنها تطورت الى حرب شملت أوربا كلها • فكانت ألمانيا حليفة النمسا ، وفرنسا حليفة روسيا ، وبريطانيا مرتبطة بفرنسا بمعاهدة لم تكن عسكرية من الناحية الفعلية ولكنها كانت بمثابة حلف ثنائى •

بسمارك واضع سياسة المحالفات الحديثة

تم تأسيس الامبراطورية الالمانية على يد بسمارك بعد ان هزمت بروسيا فرنسا فى سنة ١٨٧٠ ، غير أن معاهدة فرانكفورت سنة ١٨٧١ نصت على ضم المقاطعتين الالزاس واللورين الى ألمانيا فتألم الفرنسيون من جراء معاملة الألمان هذه وتولدت عندهم فكرة الانتقام لاسترداد المقاطعتين وغسل العار الذى لحق بهم على اثر انهزامهم في حرب السبعين • وادرك بسمارك الموقف واتخذ

الحيطة • وكان واثقا بما عنده من القوة والاستعداد وبما اعده من الوسائل والاساليب الدبلوماسية لمقاومة اى هجوم تقوم به فرنسا •

كانت ألمانيا بلا شك سيدة أوربا خلال الفترة بين ١٨٧٠-١٩١٤ • وكانت بحكم موقعها الجغرافى فى وسط أوربا تستطيع ان تضغط على الدول الاوربية وتجبرها على تنفيذ ارادتها ، اذا شاءت • كما ان جيشها المنتصر في حروب ثلاث مع الدانمرك والنمسا وفرنسا كان اقوى ماكينة حربية فى العالم أجمع • فلم تكن هناك دولة تستطيع ان تتحدى ألمانيا بوحدها ، ولم يتقرر أمر هام فى أوربا الا باشراك ألمانيا فى الامر والحصول على موافقتها •

غير ان ألمانيا مع ذلك كانت بحكم موقعها الجغرافى معرضة الى أخطار جسيمة فيما اذا اتحدث جيرانها فى الشرق والغرب ضدها • ولم يكن يحدث مثل هذا الاتحاد طالما اقتنعت بحدود ١٨٧١ ، وطالما تمسك بسمارك بقوله أن ألمانيا مكتفية بما حصلت عليها • وقد لاحظ بسمارك ان الدبلوماسية التى استخدمها ضد الدانيمرك والنمسا وفرنسا لتحقيق الاتحاد الالمانى أسفرت عن نتائج غير مرضية فى هذه الاقطار الثلاثة التى أخذت تسىء الظن بنوايا ألمانيا • وقد خشيت الدول الاخرى من استخدام ألمانيا هذه الاساليب ضدها يوما ما ، ولهذا اضطر بسمارك ان يأخذ الحيطة ولا يعتمد فقط على القوة العسكرية بل يربط ألمانيا بالدول الاخرى بسلسلة من المعاهدات •

كان بسمارك بلا جدال أعظم رجل دبلوماسى فى زمانه • ولا تعزى مهارته هذه في معرفته الجيدة لاساليب السياسة الدولية فحسب بل الى مقدرته فى معرفة مواقع ضعف خصومه ، وعدم توفر الخصائص السياسية بهذه الدرجة فى معاصريه وفي خلفائه من بعده • ولقد كان يعلم مايريده ويقدر حق القدر مقدار ما يستطيع ان يجهد نفسه للحصول عليه دون الوقوع فى خطر • ومن أهم صفاته انه كان حكيما يعرف كيف يتصرف فى الاوقات الحرجة وكلما تعقدت مشاكله حاول ان يتغلب عليها بنجاح تام •

وكان يضع حلولاً متعددة لمشاكله المعقدة ولا يتقدم الى مسألة لاحقة الا بعد أن يحل مسألة سابقة • وأخيرا كان يعترف بمصالح الدول الاوربية الكبرى ويفسح لها المجال فى تحقيقها ضمن نطاق مصالحها على ان لا يؤدي ذلك الى الحرب • وقد أصبحت مناوراته الدبلوماسية معقدة جدا فى أواخر حكمه بحيث لم يستطع خلفاءه فى الاستمرار فيها الا ان بسمارك ظل مسيطرا على السياسة الاوربية الى يوم سقوطه •

كان غرض بسمارك المحافظة على الامبراطورية الالمانية وعدم تورط ألمانيا فى حرب أخرى • وكان في الوقت الذى يعد نفسه لحرب عدائية تقع على بلاده ، يتبع سياسة المحافظة على السلم فى اوربا • وكان يعلم ان فرنسا لا تغتفر لاغتصاب الالزاس واللورين وانها سوف تنتقم ، غير انها لا تستطيع القيام بذلك وحدها ، فحاول جهد طاقته عزل فرنسا وتجريدها من الاصدقاء • وكانت الصديقة التى يخشى بسمارك ان تتفق مع فرنسا هى النمسا وروسيا ولهذا بادر الى التفاهم مع هاتين الدولتين •

حلف الاباطرة الثلاثة ١٨٧٢

دعا بسمارك كل من امبراطور النمسا ، فرنسوا جوزيف ، وقيصر روسيا ، اسكندر الثانى ، الى برلين سنة ١٨٧٢ وهناك بحضور الامبراطور الالمانى وليم الاول اتفق الاباطرة الثلاثة بصورة شفهية على المحافظة على الوضع الراهن فى أوربا ، ومقاومة الافكار او الحركات الثورية التى تهدد أنظمة الحكم القائم فى هذه الدول • وزار ملك ايطاليا برلين فى السنة التالية وأعلن انضمامه اليها • ولما كانت انكلترا لا تتدخل فى شؤون القارة الاوربية كثيرا فى ذلك الوقت ظلت فرنسا منعزلة •

وقد ازدادت العلاقات بين الاباطرة الثلاثة وثوقا لما زار بسمارك العاصمة الروسية بتروكراد فى السنة التالية بصحبة الامبراطور الالمانى ، وعقدوا

فيما بينهم اتفاقية عسكرية سرية بموجبها وعدت ألمانيا ارسال ٢٠٠،٠٠٠ جندى الى روسيا فيما اذا اعتدت على الاخيرة دولة اوربية على ان تقدم روسيا نفس المساعدة الى ألمانيا اذا وقع عليها الاعتداء • وفى نفس السنة زار القيصر اسكندر الثاني فينا وهناك وقع الجانبان الروسي والنمساوي على اتفاقية تقضى باجراء المحادثات والتشاور فى كل مسألة تتعارض فيها مصالح الدولتين وكذلك وعد كل منهما الاخر بالتفاهم حول توحيد الخطط فى حالة اعتداء عسكرى عليهما دون ما حاجة الى اتفاق عسكرى جديد • وقد انضم الامبراطور الالماني الى هذا الاتفاق وبذلك تم حلف الاباطرة الثلاثة فى ١٨٧٣ •

بيد ان هذا الحلف اصابه شىء من الفتور لما ارسل بسمارك مذكرة تهديدية الى فرنسا سنة ١٨٧٥ يتهمها بان محاولتها في ازدياد عدد جيشها معناها الاعداد للحرب • وقد أثارت هذه الحادثة مخاوف روسيا وزار القيصر برلين لمنع حدوث أزمة بين ألمانيا وفرنسا • كما أن انكلترا حذرت ألمانيا من مغبة العدوان على فرنسا • وهكذا تبينت لالمانيا ان الدول الاوربية لا تسمح بسحق فرنسا مرة اخرى •

على ان اصطدام المصالح الروسية النمساوية ونزاعهما فى البلقان أدى الى القضاء على حلف الاباطرة الثلاثة نهائيا • فقد كانت روسيا تبث الدعاية السلافية فى البلقان بغية تكوين الجامعة السلافية ، وبذلك عرضت المصالح النمساوية فى هذه المنطقة الى الخطر • وحدث ان ثارت مقاطعتا البوسنة والهرسك ضد الدولة العثمانية فى تموز ١٨٧٥ ، كما ثار البلغاريون بسبب اضطهاد الفلاحين فاخمد الجيش العثمانى الثورة بقساوة بالغة الامر الذى أدى الى امتعاض النمسا وروسيا • وكان هناك اتفاقا سابقا بين النمسا وروسيا تمتنع بموجبه الدولتان عن التدخل فى المسألة البلقانية ريثما تتبين النتيجة •

فاذا تغلب الأتراك على الثوار عندئذ تتدخل الدولتان لمنع الاتراك من التنكيل بالثوار • أما اذا ساعد الحظ الثوار وتغلبوا على الاتراك فان النمسا تضم البوسنة وتسترد روسيا الجزء الذى فقدته من ولاية بسارابيا وغيرها من الاراضى على شاطىء البحر الاسود الشرقى ، وتمنح بلغاريا حكما ذاتيا •

ولما انتصر الاتراك امتعضت روسيا وارادت ان تبعد النمسا من التدخل فى شؤون البلقان قبل ان تصفى الحساب مع الدولة العثمانية • وقد ادى النزاع بين الدولتين الى ان يوجه القيصر الروسى سؤالا الى بسمارك مفاده: هل تبقى المانيا على الحياد فى حالة الحرب بين روسيا والنمسا ؟ وكان السؤال قد اجبر بسمارك على ان يختار بين صداقة النمسا او روسيا • وحاول بسمارك عدم الاجابة الا ان القيصر عاد فكرر السؤال : فاجاب بسمارك بأن هدفه الاساسى المحافظة على الصداقة بين الدول الثلاث • ولكن اذا تعذر عليه ذلك فانه يترك أمر الحرب شيئا خاصا بينهما ، غير انه لن يترك أمر النصر او الاندحار الى حد يؤدي الى تضعضع أية دولة منهما وخسرانها مركزها الكبير بين الدول الاوربية •

يستنتج من ذلك ان بسمارك اظهر ميله الى النمسا واختار صداقتها فى حالة النزاع بينها وبين روسيا • وقد ادركت روسيا ذلك وتركت فكرة محاربة النمسا وقررت محاربة الدولة العثمانية بعد ضمان حياد النمسا • وبموجب اتفاقية بودابست سنة ١٨٧٧ وافقت النمسا على الوقوف على الحياد على ان لا تؤسس روسيا دولة سلافية كبرى في البلقان بعد الحرب وان تحتل النمسا ولايتي البوسنة والهرسك •

غير ان نتائج الحرب الروسية ـ التركية كانت على غير ما تشتهيها النمسا فقد انتصرت روسيا في الحرب واملت شروطها على تركيا فى معاهدة سان استيفانو (اذار ١٨٧٨) وأسست بموجبها دولة بلغارية كبرى تمتد من

البحر الأسود الى بحر الأيجة • فكان ذلك نذيرا بانتشار النفوذ الروسي في البلقان ومخالفا للشروط التى وقفت بموجبها النمسا على الحياد • وقد اعترضت انكلترا ايضا لانها لم ترض بتقسيم الدولة العثمانية ووصول روسيا الى البحر المتوسط ، الامر الذى يهدد قنال السويس وطريق الهند • عندئذ اضطرت روسيا ان توافق على عقد مؤتمر جديد فى برلين (تموز ١٨٨٠) لتنقيح معاهدة سان استيفانو ، فتقلص حجم بلغاريا وحصلت انكلترا على قبرص • وعلى الرغم من ان روسيا حصلت على بسارابيا وبعض الاراضى فى الساحل الشرقى من البحر الاسود ، الا انها خرجت من المؤتمر غاضبة واتهمت بسمارك بالانحياز الى جانب انكلترا والنمسا •

الحلف الثنائى بين النمسا والمانيا
١٨٧٩

بلغ التنافر والبغضاء بين ألمانيا وروسيا درجة بحيث ان الاخيرة بدأت تحشد قواتها على الحدود الالمانية • وشنت جرائدها حملة شعواء على المانيا • وكتب القيصر اسكندر الثانى رسالة الى الامبراطور وليم الاول يبين فيها تبرمه بسياسة بسمارك ويحذره عما يترتب عليها من العواقب الوخيمة • ولمقابلة هذا العداء الروسى قرر بسمارك ان يقوى علاقاته مع النمسا • وكان الكونت اندراس وزير خارجية النمسا قليل الثقة بحلف الاباطرة الثلاثة واراد محالفة ثنائية بين المانيا والنمسا ضد روسيا • ومما هو جدير بالملاحظة ان روسيا فاتحت فرنسا وايطاليا بشأن عقد اتفاق فيما بينها ، الامر الذى حدا ببسمارك ان يسرع فى عقد المحالفة الثنائية مع النمسا وتم ذلك فى ٧ تشرين الاول ١٨٧٩ ، ونصت الاتفاقية على ما يلى :

١ – ان تبادر كل من الدولتين المتعاقدتين (النمسا والمانيا) الى مساعدة الدولة الثانية بكامل قواتها فيما اذا هاجمتها روسيا •

٢ – وفى حالة مهاجمة فرنسا او ايطاليا لأحدى الحليفتين فان الحليفة الثانية تلتزم جانب الحياد الودى • فاذا ايدت روسيا الدولة المهاجمة بادرت الدولة الحليفة الثانية المتعاقدة الى مساعدة حليفتها بكامل قوتها •

ومعنى ذلك اذا هجمت روسيا على النمسا فان المانيا تساعد الاخيرة واذا هجمت فرنسا على المانيا فتقف النمسا على الحياد الودى، اما اذا ساعدت روسيا فرنسا فان النمسا تساعد المانيا • وكان امد المعاهدة خمس سنوات قابلة للتجديد على ان تبقي سرية • وكانت المعاهدة دفاعية صرفة وجددت فى سنة ١٨٨٣ ، ١٩٠٢ واستمرت الى ١٩١٨ لما دارت الدائرة على الدولتين فى الحرب العالمية الاولى •

عصبة الاباطرة الثلاثة

١٨٨١

على الرغم من تدهور العلاقات بين روسيا والمانيا وروسيا والنمسا ، فان روسيا ظلت منعزلة وبحاجة الى حليف يساندها ضد انكلترا في اسيا الوسطى وفى المضايق • ولم تخل العاصمة الروسية من اصدقاء بسمارك المتنفذين الذين وجدوا منه خير صديق فى وقت الشدائد والازمات ، ولا سيما ان ليس هناك من تصادم بين مصالح البلدين بصورة مباشرة • واذا كان هناك شيىء من الفتور بينهما فهو بسبب النمسا التى تريد المانيا مساعدتها ويمكن حل هذه المشكلة بسهولة • ولم يكن بسمارك قد ترك روسيا نهائيا ، بل كان يود تجديد عرى الصداقة معها على ان لا يضر ذلك حليفته النمسا • وكان غرض بسمارك من الحلف الثنائى مع النمسا ان يستخدمه كسلاح ينذر به روسيا بين حين وآخر دون ان يتخذه وسيلة للحرب • وكان يأمل دائما اعادة تعزيز حلف الاباطرة الثلاثة • وحدث ان اقترب منه كل من وزير خارجية روسيا

وسفيرها فى برلين لتجديد العلاقات • ولما كان بسمارك يخشى انتقام فرنسا رحب بهذه المبادرة • وبعد نقاش طويل بين الجانبين استطاع بسمارك ان يشرك النمسا فى المحالفة التى وقعت فى ١٨ حزيران ١٨٨١ •

وقد نصت المعاهدة على ما يلى :

١ - فى حالة اشتباك احد الاطراف المتعاقدة السامية فى حرب مع دولة عظمي رابعة يلتزم الطرفان المتعاقدان الآخران الحياد الودي •

ومعنى هذا اذا اشتبكت المانيا فى حرب مع فرنسا فان النمسا وروسيا تبقيان على الحياد • وكذلك اذا اشتبكت النمسا مع ايطاليا او روسيا مع انكلترا فان كل من المانيا وروسيا ، والمانيا والنمسا تبقيان على الحياد •

٢ - ان الدول المتعاقدة الثلاث تحترم حقوق النمسا في مقاطعتى البوسنة والهرسك كما نصت عليها معاهدة برلين •

٣ - ان الدول الثلاث تسلم بمبدأ اقفال المضايق (البسفور والدردنيل) ، ويجب على تركيا ان لا تشذ عن هذه القاعدة لمصلحة دولة ما • وعلى الدول الثلاث ان تخبر تركيا بانها (أى تركيا) فى حالة حرب مع الدولة التى تمسها المخالفة فيما اذا ارادت تركيا ان تسمح لدولة ما ان تستخدم المضائق فى حالة الحرب ضد دولة اخرى عضوة فى المحالفة• أى ان المضايق يجب ان تسد فى وجه كل الدول واذا ارادت تركيافتح المضايق لانكلترا ضد روسيا فان كل من ألمانيا والنمسا بالاضافة الى روسيا تكون فى حالة حرب ضد الدولة العثمانية •

وهكذا وفق بسمارك بين مصالح روسيا والنمسا وقسم بلاد البلقان الى منطقتى نفوذ روسيا فى الشمال والنمسا فى الجنوب •

الحلف الثلاثى ١٨٨٢

لقد تعزز جانب الحلف الثنائى الالمانى النمساوى بانضمام ايطاليا الى الحلف سنة ١٨٨٢ • لقد كان من الطبيعى ان تبقى ايطاليا حليفة لالمانيا اقوى الدول العظمي التى ساعدتها فى أتمام وحدتها وحصولها على كل من فينسيا (١٨٦٦) وروما (١٨٧٠) • ولكن محالفة ايطاليا مع النمسا عدوتها القديمة لم يكن يستسيغها الشعب الايطالى • وقد قيل ان بسمارك شجع فرنسا على الاستيلاء على تونس سنة ١٨٨١ ليثير بذلك ثائرة ايطاليا وترمى بنفسها فى احضان المانيا والنمسا ، وكانت ايطاليا تريد الاستيلاء على تونس فلما احتلتها فرنسا اعتبرت ذلك لطمة وجهت اليها وجرحت عزتها • وكانت تخشى الاستيلاء على طرابلس الغرب خوفا من ان فرنسا تشجع البابا في استعادة ممتلكات الكنيسة فى وسط ايطاليا • كما ان ملك ايطاليا كان يخشى من النزعة الجمهورية السائدة فى البلاد بين الاحزاب اليسارية ويكره النظام الجمهورى فى فرنسا ويرغب فى تكوين العلاقات الودية مع الدول الملكية • وقد استمرت المنافسة الكمركية بين ايطاليا وفرنسا بفرض ضرائب باهضة على البضائع المستوردة الى كل منها من الدولة الثانية • وكانت الحكومة الايطالية ترغب فى التحالف مع المانيا فقط ، لكن بسمارك لم يكن بحاجة الى محالفة ايطاليا وانه كان يتشائم من وعود ايطاليا كما بين ذلك فى مذكراته ان « ليست بالمرء حاجة الى الجرى وراء ايطاليا اذا اراد منها شيئا ، فضلا عن انه لاقيمة لوعودها متي كان وفاؤها بها فى غير مصلحتها » •

غير ان بسمارك وجد ان التحالف مع ايطاليا لا يخلو من بعض الفوائد، فاقترح على النمسا ان تقوم هى بالمفاوضات اللازمة لاجراء المعاهدة مع ايطاليا وخاصة ان الامبراطورية الالمانية لا تناخم ايطاليا • وكانت الاخيرة تريد اعترافا من النمسا بامتلاك ايطاليا لروما والممتلكات البابوية فرفضت النمسا

ذلك باعتبارها دولة كاثوليكية • واخيرا اسفرت المفاوضات الثنائية بين النمسا وايطاليا عن محالفة ثلاثية اشتركت فيها المانيا أيضا ووقعت فى ٢٠ مايس ١٨٨٢ • وقد نصت على :

١ ـ ان لا تعقد الدول المتعاقدة محالفة او ترتبط بشىء ضد مصلحة أية منها ، وان تتعهد الدول المتحالفة بالتشاور فى الشؤون السياسية والاقتصادية ذات الصفة العامة كلما دعت الحال الى ذلك ، وان تتعهد الدول الثلاث بتقديم المساعدات المتبادلة فى حدود مصالحها •

٢ ـ فى حالة ما اذا هاجمت فرنسا ايطاليا لسبب ما وبدون تحرش من الاخيرة ، يكون الطرفان المتعاقدان الاخران ملزمين بتقديم كل المساعدات اللازمة لايطاليا وتتعهد ايطاليا بمثل هذا فيما لو اعتدت فرنسا على المانيا دون استفزاز •

٣ ـ اذا اتفق ان هوجمت دولة او دولتان من الدول المتعاقدة الثلاث دون استفزاز ، او اشتبكت فى حرب مع دولتين او اكثر من الدول العظمى غير الموقعة على هذه المعاهدة ، فان حالة التحالف تنشأ فى الحال بالنسبة لكل دولة من الدول المتحالفة الثلاث •

٤ ـ اذا هددت ممتلكات احدى الدول المتعاقدة باحدى الدول العظمى غير المتعاقدة واصبحت الدولة المهددة مضطرة لاعلان الحرب عليها ، فتتعهد الدولتان المتحالفتان الاخريان بالوقوف على الحياد الودى مع الاحتفاظ بحق التدخل فى الحرب بجانب الحليفة المتحاربة اذا ارتأت ذلك مناسبا •

٥ ـ فى حالة تهديد سلام أحدى الدول المتحالفة الثلاث تتشاور الدول المتحالفة الثلاث فى الوقت المناسب لاجل اتخاذ ما يمكن اتخاذه من الاجراءات العسكرية بقصد التعاون فى المستقبل • وفى حالة اشتراك

الدول الثلاث في الحرب يجب عدم عقد الهدنة والصلح او أيـة معاهدة أخرى الا بالاتفاق جميعا •

وكانت مدة المحالفة خمس سنوات قابلة للتجديد • وكانت المعاهدة دفاعية بحتة وسرية غايتها المحافظة على السلم فى اوربا •

المحالفة النمساوية الصربية ١٨٨١

والمحالفة النمساوية الرومانية ١٨٨٣

تقوّت المحالفات التى قام بها بسمارك باتفاقيتين اخريين قامت بها النمسا مع صربيا ورومانيا • ففي سنة ١٨٨١ وقعت النمسا معاهدة مع صربيا وعدت بموجبها صربيا ان تساعد العائلة المالكة هناك ، وان تستخدم نفوذهـا بين الدول الاخرى لتأييد مصالح صربيا • كما وعدت صربيا النمسا ان لاتتفاوض لعقد أية معاهدة سياسية مع دولة اخرى دون تفاهم سابق مع النمسـا وان لا تفسح المجال للمؤامرات التى تحاك ضد عائلة هبسبرك من قبل الصربيين الساكنين فى النمسا • واستمرت المعاهدة الى سنة ١٨٩٥ •

كما عقدت النمسا معاهدة مع رومانيا سنة ١٨٨٣ لان الاخيرة اجبرت على التنازل عن جزء من بسارابيا الى روسيا فى معاهدة برلين فارادت ان تنتقم منها بعقد معاهدة سرية مع النمسا فى ٣٠ تشرين الاول ١٨٨٣ بموجبها تتعهـد النمسا ان تساعد رومانيا بكل قوتها فيما اذا هوجمت من قبل دولة ثالثة دون استفزاز من جانبها • ويجب على رومانيا التفاهم مع النمسا اذا هوجمت الاخيرة فى جزء من اراضيها المتاخمة لرومانيا •

وقد انضمت المانيا الى هذا الحلف ، أما ايطاليا فقد انضمت اليها سـنة ١٨٨٨ • وجددت المعاهدة الى ١٩١٣ • وهكذا اصبحت النمسا فى مركـز قوي فى البلقان •

علاقة المانيا ببريطانيا وفرنسا

بدأت الدول الاستعمارية تقتسم القارة الافريقية فى هذا الوقت وكانت انكلترا هى الدولة الاستعمارية الرئيسية لحد الآن ، غير ان المانيا أخـــذت تبحث عن المستعمرات لسكانها المتزايد ولتصريف منتجاتها الصناعية ومع ان بسمارك كان ضد الاستعمار كي لا يصطدم ببريطانيا ، الا انه اضطـــر ان يرضخ لضغط الرأسماليين الالمان • وحاول ان يحافظ على العلاقات الوديـة مع بريطانيا وكان قد ساعد الاخيرة فى قضية مصر ، فكان يتوقع التساهـــل والتسامح من بريطانيا للحصول على المستعمرات فى افريقية • ولما وجد ان بريطانيا تعارض التوسع الالمانى ، ذكّرهم بسمارك ان هذا الموقف المضاد من جانب بريطانيا امر يؤسف له وان المانيا قد تكون دولة معادية اذا خاب املها•

اما فرنسا فكان رئيس وزرائها جول فيرى ينتهج سياسة استعمارية وخلق مشاكل كثيرة لبريطانيا فى الشرق الاقصى والهند الصينية وغيرها • ولم يكن بسمارك يشك فى نوايا فرنسا الانتقامية لاستعادة الالزاس واللورين ، فلما وجدها منشغلة بالاستعمار اخذ يشجعها كى تنسى المقاطعتين • وقد قال للسفير الفرنسى فى احدى المناسبات اريد منكم ان تغفروا لسيدان كما غفرتم لواترلو• وكانت سياسة فرنسا فى هذا الوقت (أى بين ١٨٧٥–١٨٨٥) اقل شدة تجاه المانيا وكانت الاخيرة تشجعها ضد بريطانيا فى النزاع عـــلى بعض المناطق الافريقية وكذلك فى النزاع مع غينيا وعلى تونكين فى الهند الصينية •

وقد اغتاظ الفرنسيون من سياسة جول فيرى الاستعمارية التى دمـرت اقتصاديات البلاد وانهكت قواها الحربية • وكان جول فيرى ينتظـر بعض المساعدات من بسمارك غير ان الاخير لم يعمل شيئا تجاهه فاضطر ان يستقيل سنة ١٨٨٥ • وظهر ان المانيا اذا ارادت صداقة فرنسا يجب ان تعيد المقاطعتين اليهـــا •

ازمة الشـرق الادنى

١٨٨٥ ـ ١٨٨٨

لقد نصت معاهدة برلين على تكوين دولة بلغارية اصغر بكثير من الدولة التى تأسست بموجب معاهدة سان ستيفانو كما ذكرنا ذلك سابقا • كما نصت معاهدة برلين ايضا على تكوين دولة ذات استقلال داخلى فى ولاية روميـلى الشرقية • وقد حدثت ثورة ضد الحكم التركى سنة ١٨٨٥ وقرر الثـوار ضم ولا يتهم الى بلغاريا بخلاف قرار المؤتمر • وكان من المتوقع ان ترحب روسيا بهذا العمل وخاصة لانها كانت قد خرجت من مؤتمر برلين غاضبة على تقليص بلغاريا الكبرى • غير ان القيصر عارض الانضمام لان اسكندر باتنبرك الذى عينه هو حاكما على بلغاريا رفض ان يذعن لاوامره فاعتبر ذلك اهانة وجهت اليه شخصيا • وجاء اعتراض القيصر هذا بالخير للثوار لان انكلترا والنمسا وافقتا حالا على الانضمام على ان يعين السلطان اميرا بلغاريا حاكما عاما لروميلي الشرقية لمدة خمس سنوات • وقد تم ذلك دون تغير معاهدة برلين التي ظلت نافذة المفعول اسميا •

لقد كان من المتوقع ان ينتهي الامر عند هذا الحد • غير ان اعداء اسكندر باتنبرك اختطفوه الى روسيا فى سنة ١٨٨١ • ومع انه اطلق سراحه ورجـع الى بلغاريا لكنه اضطر ان يتنازل عن العرش تحت الضغط الروسي • ولما لم يكن هناك من يحل محله ويأتمر باوامر روسيا ، قطعت الاخيرة علاقاتهـا الدبلوماسية مع بلغاريا واعلنت الصرب الحرب عليها بتحريض روسيا وبحجة فقدان التوازن فى البلقان ، لكنها اندحرت وكادت تدفع ثمن عدوانهـا لولا تدخل النمسا • وقد استاءت كل من انكلترا والنمسا من جراء تدخل روسيا في بلغاريا ونشأت ازمة اوربية من جراء ذلك ، غير ان بسمارك اخبر الحكومة النمساوية بانه فى حالة تحرشها بروسيا او الهجوم عليها تبقى المانيا على الحياد

وان بنود المحالفة الثنائية بينهما لسنة ١٨٧٩ لايمكن ان تطبق فى هذه الحالة. وهكذا انتهت الازمة .

تجديد معاهدة الحلف الثلاثي

١٨٨٧

على اثر الازمات التى ذكرناها اضطر بسمارك ان يقدم لائحة الى الرايخ الالماني فى سنة ١٨٨٧ يذكر فيها نية الحكومة فى تقوية الجيش وتسليحه وخاصة لان عصبة الاباطرة الثلاثة اصابها الفتور ، وان روسيا تعطف على فرنسا التى ظهر فيها جنرال بولانجى بطل الانتقام الفرنسى من المانيا . وكانت مدة الحلف الثلاثي على وشك الانتهاء وعلى بسمارك ان يقرب بين النمسا وايطاليا وانكلترا للمحافظة على الوضع الراهن فى اوربا وفي البحر المتوسط والاسود . واشتركت اسبانيا فى المادة الخاصة بالبحر المتوسط وكان غرض بسمارك من جراء تجديد الحلف الثلاثى ان يبني سدا منيعا فى وجه الفعاليات الروسية ـ الفرنسية دون ان يسبب ذلك اظهار الشعور بالاعتداء من جانب روسيا . واهم نتيجة مباشرة لهذا العمل هو تجديد المحالفة التى كانت تنتهي في مايس ١٨٨٧ بين ايطاليا والنمسا . ولم تكن الحكومة الايطالية ترغب فى تجديد المعاهدة الاولى بحذافيرها ، وانما ارادت اجراء بعض التغير فى قسم من البنود . ولما كان الموقف الدولى حرجا اضطر بسمارك ان يقبل التغير الذى شمل النقاط الثلاث التالية : (١) تجديد المعاهدة القديمة كما كانت ، (٢) معاهدة جديدة بين المانيا وايطاليا ، (٣) معاهدة جديدة بين النمسا وايطاليا .

لقد كانت المادة الثالثة من المعاهدة الالمانية الايطالية بالشكل التالى :

« اذا حدث ان ارادت فرنسا بسط سيطرتها او فرض حمايتها على الاراضي فى شمالى افريقية كطرابلس او تونس او مراكش فان

للحكومة الايطالية الحق ، كي تحافظ على وضعها فى البحر المتوسط ، ان تقوم بحركات في شمال افريقيا ، او ان تتخذ اجراءات عسكرية حتى فى الاراضي الفرنسية فى اوربا • ان الحالة الحربية التي تنشأ من جراء ذلك بين فرنسا وايطاليا تلزم الدولتين الحليفتين (المانيا وايطاليا) التشاور فيما بينهما بطلب من ايطاليا لاجل اتخاذ المقاييس العسكرية كما لو كانت الدولتان فى تفاهم سابق بينهما » •

وقد نصت المادة الرابعة على ما يلى :

« اذا دارت الدائرة على فرنسا من جراء الحرب التي تقوم بها المانيا وايطاليا بصورة مشتركة ضدها ، وارادت ايطاليا الضمان الاقليمى من فرنسا لاجل المحافظة على حدود المملكة ، ولاجل حماية اقاليمها البحرية ، وللمحافظة على سلامة البلاد واستقرارها والسلام الاوربي ، فيجب على المانيا ان لا تقدم عوائق بشأن هذه المطاليب ، واذا اقتضت الحاجة ان تقدم المانيا التسهيلات اللازمة لاجل الحصول على هذه المطاليب من فرنسا » •

وكانت المادة الاولى من المعاهدة النمساوية الايطالية تربط الدولتان بالمحافظة على الوضع الراهن في الشرق ، واضافت :

« اذا كانت المحافظة على الوضع الراهن صعبة فى البلقان او فى بحرايجة او فى سواحل الدولة العثمانية وجزر الادرياتيك ، واذا ارادت دولة ثالثة ، او ان النمسا او ايطاليا وجدت انها مضطرة الى تعديل هذا الوضع باحتلال موقت او دائمى يجب ان يكون هذا الاحتلال نتيجة لاتفاق سابق بين الدولتين على اساس التعويض المتبادل لكل فائدة تجنيها هاتين الدولتين ، سواء اكانت الفائدة اقليمية او غيرها ••• وان ترضى كل منهما الاخرى من ناحية المصالح والمطاليب التى تدعيها كل منهما » •

لقد كانت المعاهدة الثلاثية الاولى لسنة ١٨٨٢ دفاعية بحتة ، بينما هذه المعاهدة وخاصة القسم الذى بين النمسا وايطاليا ، غيرت الوضع الراهن لمصلحة الدولتين المذكورتين • وقد شكت فرنسا من نوايا ايطاليا وادعت ان فى المعاهدة بنود تهدد مصالحها • غير ان بسمارك ادعى بان المانيا مكتفية بحدودها التي حصلت عليها فى ١٨٧١ وان ليس هناك من فائدة تجنيها المانيا من هذه المحالفات سوى المحافظة على المانيا ، وان غايته ليست الحرب او الاستعمار • والواقع ان المعاهدة النمساوية الايطالية احرجت موقف المانيا • فكان عليها ان توفق بين مصالح النمسا وايطاليا والنمسا وروسيا فى البلقان • وقد استطاع بسمارك ان يضغط على النمسا حتى لا تتدخل فى شؤون بلغاريا كما رأينا فوضع بذلك حدا لكل من الجانبين الروسي والنمساوي وحافظ على السلام الاوربي • غير ان القيصر اسكندر الثالث اغتاظ كثيرا من تدخل النمسا فى شؤون بلغاريا ورفض تجديد عصبة الاباطرة الثلاثة مع النمسا لما انتهي موعدها فى نفس السنة (١٨٨٧) •

لقد كان القيصر لا يأمن جانب النمسا ، وورث هذا الشك من جده نيقولا الاول لما وقفت النمسا ضد روسيا فى حرب القرم • وقد حاول بسمارك تلافى الامر فى عصبة الاباطرة الثلاثة سنة ١٨٨١ ، وذلك بمنع ممارسة النمسا سياسة عدوانية ترمي الى تشجيع صربيا ضد بلغاريا •

معاهدة الضمان الالماني الروسي

١٨٨٧

لقد استطاع بسمارك ان يتجنب الحرب فى هذه المرة ايضا بحكم وضع المانيا ونظام محالفاتها وبسبب مخاوف فرنسا التي اضطرت ان تقضي على جنرال بولانجي كى لا تدخل فرنسا فى حرب لا طاقة لها فى احتمالها • غير ان

العلاقات بين روسيا والنمسا قد توترت الى درجة بسبب ازمة الشرق الادنى لم ترغب اية دولة من الدولتين النمسا وروسيا تجديد عصبة الاباطرة الثلاثة التى كانت على وشك الانتهاء فى حزيران ١٨٨٧ • ولم تنجح محاولات بسمارك فى تقسيم البلقان الى منطقتي النفوذ الروسى والنمساوى • ومع ذلك كانت روسيا ترغب ان تحافظ على علاقاتها الودية مع المانيا وخاصة ان الاخيرة استطاعت ان تمنع النمسا فى القيام باعمال عدوانية ضد روسيا • وقد اقترحت الاخيرة معاهدة منفصلة بينها وبين المانيا لتحل محل عصبة الاباطرة الثلاثة ، فقبل بسمارك الاقتراح • وكانت المعاهدة السرية بين الدولتين سميت بمعاهدة الضمان الروسي الألمانى • وقد نصت المادة الاولى على ما يلى :

« اذا هوجمت احدى الدولتان المتعاقدتان من قبل دولة ثالثة تلتزم الدولة الاخرى المتعاقدة جانب الحياد الودى • ان هذا النص غير نافذ المفعول فى حالة هجوم احدى الدولتين المتعاقدتين على النمسا او فرنسا » •

وهكذا اضمنت المانيا حياد روسيا فى حالة اعتداء فرنسا عليها كما ان روسيا ضمنت حياد المانيا اذا ما هاجمتها النمسا • ولم يكن بسمارك مضطراً ان يساعد النمسا اذا اعتدت الاخيرة على روسيا • كما انه لم يكن ينوى الهجوم على فرنسا لان المانيا لا تنوى الحرب مع فرنسا • لقد اعترف بسمارك بمصالح روسيا فى البلقان (فى بلغاريا وروميللي) كما جاء ذلك فى المادة الثانية وايد روسيا فى الاجراءات التى تتخذها بشأن المضايق (البسفور والدردنيل) وذلك بوقوف المانيا على الحياد وتأييد روسيا دبلوماسيا • وكانت هذه المادة تخالف ما جاء فى اتفاقية البحر المتوسط بين بريطانيا والنمسا • غير ان بسمارك كان يعلم أن بنود معاهدة الحلف الثلاثي بخصوص البحر المتوسط والبلقان كانت قوية الى درجة تمنع روسيا من تحقيق ما تريده بشأن المضايق حتى اذا وقفت المانيا على الحياد •

وقد وافقت انكلترا والنمسا وايطاليا فى اتفاقية البحر المتوسط فى كانون

الاول ١٨٨٧ على احترام استقلال الدولة العثمانية واحترام سيادتها الاقليمية. كما انه يجب التشاور بين الدول الثلاثة فى حالة الاضطرابات التى تقع هناك قبل القيام بالاجراءات اللازمة .

سقوط بسمارك ١٨٩٠

استطاع بسمارك ان يحكم المانيا حكما مطلقا طالما كان الامبراطور وليم الأول فى الحكم . ولما توفي الاخير فى سنة ١٨٨٨ وجاء حفيده وليم الثانى الى العرش بدأ النزاع بين الاثنين . كان وليم الثانى رجلا ذكيا ونشيطا .ومع انه كان معجبا ببسمارك الا انه لم يرغب ان يقف مكتوف الايدى بينما يحكم بسمارك حكما مطلقا . وكان الاخير قد بلغ سن الشيخوخة واصبح متمسكا باراءه الامر الذى ادى الى اصطدام الاثنين . وانتهز اعداء بسمارك الفرصة لتوسيع شقة الخلاف ، فلما حان موعد انتهاء معاهدة الضمان الالماني الروسي فى ١٨٩٠ والتى كان بسمارك قد وعد القيصر الروسى بتجديدها ، رفض القيصر ذلك واقتنع باقوال خصوم بسمارك بان بنود معاهدة الضمان تخالف بنود الحلف الثنائى لسنة ١٨٧٩ بين النمسا والمانيا . عندئذ استقال بسمارك .

ولم تجدد المانيا المعاهدة على الرغم من رغبة روسيا فى ذلك . عندئذ اضطرت روسيا ان تجد حليفة اخرى فأرتمت بنفسها فى احضان فرنسا .

اوربا بين ١٨٩٠ ـ ١٩١٤

التحالف الروسي الفرنسي

١٨٩١ ـ ١٨٩٤

شعرت فرنسا بعزلتها بسبب شبكة المحالفات التى كونها بسمارك ضدها. ولما لم تجدد المانيا معاهدة التضامن مع روسيا سنة ١٨٩٠ شعرت الاخيرة بالعزلة ايضا فحصل عندئذ تقارب بينها وبين فرنسا على الرغم من الكراهية التى شعر بها الاسكندر الثالث ضد النظام الجمهوري فى فرنسا . لكن مسألة الديون التى رفضت الحكومة الالمانية تقديمها لروسيا وحاجة الاخيرة للمال والاسلحة قربت بين الدولتين . فتم عقد التحالف بينهما سنة ١٨٩١ ونصت الاتفاقية على ما يلى :

١ ـ تتعهد الدولتان المتعاقدتان التفاوض في كل مسألة من شأنها تهديد السلام العام .

٢ ـ اذا حدث تهديد السلم فعلا ، وخاصة فى حالة تهديد احد الطرفين المتعاقدين من قبل الاعداء ، فانهما يتفقان على الخطط التى تتطلبها اهدافهما .

غير ان هذا الحلف كان غامضا وكان الوضع الدولى قلقا خلال سنة ١٨٩٣ فطلب الفرنسيون اكمال الحلف بميثاق عسكرى ، وقد تم ذلك سنة ١٨٩٤ وبموجب هذا الاتفاق وعدت روسيا بمساعدة فرنسا بمليون ونصف جندى اذا ما هجمت المانيا عليها . كما وعدت فرنسا روسيا بنفس العدد اذا ما هاجمتها النمسا تساعدها المانيا .

وهكذا تم تأليف ما يسمى بالوفاق الثنائى .

التوازن بين الكتلتين الفرنسي والالماني
وانعـزال انكلتـــرا

لقد تم التوازن بين كتلتى الوفاق الثنائى (فرنسا وروسيا) والتحـــالف الثلاثى (المانيا والنمسا وايطاليا) بعد سنة ١٨٩١ • واستمر هذا التوازن الى سنة ١٩٠٤ ، حيث انصرفت الدول الاوربية الكبرى الى التوسع الاستعمارى خارج القارة الاوربية • وقد سبقت انكلترا غيرها فى هذا المضمـــار واتبعت سياسة الانعزال عن الشؤون الاوربية • ونلاحظ ثلاث نزعات مهمة تميزت بها الفترة من ١٨٩٤ الى ١٩٠٤ •

١ ـ تركت روسيا الشؤون الاوربية وانصرفت الى الشرق الاقصى للتوسع وبســـط نفوذها فيه ، وقد ذكرنا صلتها بالصين واليابان ، ولـــم تعـــد تهتـــم بالشؤون الاوربية ثانية الا بعد اندحارها ضـد اليابان ســـنة ١٩٠٥ •

٢ ـ اتسع امام المانيا المجال للتحكم فى الامور الاوربية والدولية وكثيرا مـا استغلت المنافسة الاستعمارية بين انكلترا وروسيا وفرنسا للحصول على الاراضي • وكانت تنتهز الفرص لمقاومة انكلترا بشتى الوسائل (كتأييد البويرين فى حربهم مع انكلترا) او الاشتراك فى المنافسة الاستعمارية والاستيلاء على بعض الممتلكات الافريقية •

٣ ـ بقاء انكلترا منعزلة عن المحالفات الاوربية بينما كانت الدول الاوربيـــة الكبرى تكون جهات يؤازر بعضها بعضا فى المنافسة الدولية • وقـــد احست انكلترا بمنافسة المانيا لها ولا سيما فى الناحية الاســـتعمارية ، فبدأت بمفاوضات مع روسيا والمانيا فى هذا الشأن ولكنها لم تـلق أى نجـاح •

ولما احست انكلترا بخطر عزلتها حاولت التحالف مع المانيا ، ففاتـــح

جوزيف جمبرلن (وزير المستعمرات) السفير الالماني فى لندن سنة ١٨٩٨ وبيّن رغبته فى محالفة المانيا • ولكن بيلوف (مستشار المانيا) لم يكن متحمسا لذلك التحالف خوفا من أن انكلترا تستخدمها لأغراضها الخاصة دفاعاً عن مصالحها، ولما زار وليم الثانى انكلترا سنة ١٨٩٩ اخذ جمبرلن يفاوض بيلوف فى الموضوع • ولكن حدوث حرب البوير وعطف المانيا على البويرين باعد الشقة بين انكلترا والمانيا • ولما زار وليم الثانى انكلترا ثانية سنة ١٩٠١ استؤنفت المفاوضات ورغبت المانيا حينئذ فى الحلف ، ولكنها ارادت ادخال انكلترا فى الحلف الثلاثى، غير ان انكلترا لم ترغب فى ذلك لانه قد يجرها الى الحرب ضد روسيا بسبب اختلاف المصالح بين روسيا والنمسا • وهكذا فشلت المفاوضات • عندئذٍ بدأت انكلترا تبحث عن حليفة ضد الدول الاستعمارية التى كانت تنافسها فى الاسواق كألمانيا وفرنسا وروسيا وأولى هذه الدول كانت اليابان •

التحالف الانكليزي الياباني
١٩٠٢

عقدت اليابان مع الصين معاهدة شيمونوزكي (٧ نيسان سنة ١٨٩٥) وبموجبها حصلت على كوريا وفرموزه وشبه جزيرة لياوتنك بما فيها ميناء بورت ارثر وقد اغضب روسيا والمانيا وفرنسا استيلاء اليابان على هذا الميناء ، وارسلت مذكرة شديدة تطلب فيها من اليابان ردها • وقد اضطرت اليابان الى اعادتها ناقمة ولا سيما من روسيا خصمها المباشرة •

واحتجت اليابان ان انكلترا لم تشترك فى الاحتجاج ورأت فيه مجالا للتقارب وعقد اواصر الصداقة مع انكلترا • وحيث ان انكلترا كانت تخشى روسيا ايضا فقد اصبح التقارب بين انكلترا واليابان ضروريا بفضل وجود عدو مشترك • وعليه فقد تم فى ٣٠ كانون الثانى سنة ١٩٠٢ عقد معاهدة تحالف بين انكلترا واليابان ، اعترفت انكلترا بموجبها بمصالح اليابان فى كوريا ، كما

اعترفت اليابان بمصالح انكلترا فى الهند واتفقتا على انه اذا حدثت حرب بين احداهما ودولة ثالثة فان الاخرى تلزم جانب الحياد ، اما اذا دخلت الحرب ضدها دولة رابعة فان الدولة المتعاقدة الاخرى تبادر الى مساعدة حليفتها .

ومعنى هذه المعاهدة انه اذا حدثت الحرب بين اليابان وروسيا فان انكلترا تلزم جانب الحياد ، اما اذا دخلت فرنسا الى جانب حليفتها روسيا ضد اليابان ، فان انكلترا تساعد اليابان . واذا نشبت حرب بين انكلترا وروسيا فان اليابان تلتزم جانب الحياد ، واذا دخلت فرنسا الحرب الى جانب روسيا ، فان اليابان تساعد انكلترا . وعلى هذا الأساس سحبت انكلترا اسطولها فى الشرق الأقصى الى بحر الشمال للدفاع عن سواحلها .

والواقع ان الحالة الاولى هى التى حدثت حين نشبت الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ حيث انحصرت الحرب بين اليابان وروسيا ولزمت انكلترا وفرنسا جانب الحياد ولم تتسع الحرب .

الاتفاق الفرنسي الايطالي

حدث توتر فى الصلات الفرنسية الايطالية على اثر احتلال فرنسا لتونس سنة ١٨٨١ ، اذ كانت ايطاليا ترغب فى احتلالها . وازداد التوتر شدة بزيادة التعريفة الكمركية بين البلدين . ولما اندحرت ايطاليا فى معركة (عدوة) فى الحبشة رغبت فى التقرب من فرنسا وانتهى النزاع حول التعريفة الكمركية سنة ١٨٩٨ ، وتحسنت على اثر ذلك الحالة الاقتصادية فى ايطاليا . وادت المفاوضات السياسية الى اعتراف فرنسا بمصالح ايطاليا فى طرابلس الغرب ، واعتراف ايطاليا بمصالح فرنسا فى مراكش . وتم الاتفاق بين الدولتين سنة ١٩٠٢ على انه اذا حدث حرب بين احداهما ودولة ثالثة نتيجة اعتداء هو وليد استفزاز مباشر او غير مباشر فان الدولة الاخرى تلزم جانب الحياد . وهذا معناه انه اذا حدثت حرب بين فرنسا والمانيا فان ايطاليا تلزم جانب الحياد .

ولا ريب فى ان هذه الاتفاقية لا تناقض بالحرف معاهدة التحالف الثلاثي (بين المانيا والنمسا وايطاليا) ولكنها لا تتفق معها بروحها • وقد شعرت المانيا بان شيئا من التقارب حصل بين ايطاليا وفرنسا ولكن المستشار الالماني بيلوف لم يهتم كثيرا للامر ، لانه لم يكن يعول كثيرا على ايطاليا •

الوفاق الودي بين انكلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤

ويأتي الان دور التقارب بين فرنسا وانكلترا، فالعداوة المشتركة لالمانيا قربت بين انكلترا وفرنسا • اذ ان المانيا اصبحت الدولة الصناعية الفتية التى تنافس انكلترا فى الاستعمار ، وهى عدوة فرنسا منذ سنة ١٨٧٠ • فاراد كل من الدولتين الانكليزية والفرنسية تصفية مصالحها الاستعمارية المصطدمة لمجابهة العدو المشترك •

لقد تم الاتفاق فى ٨ نيسان سنة ١٩٠٤ على ما يلى : (١) تسوية المشاكل المتعلقة بمصائد الاسماك فى نيوفوندلاند بين انكلترا وفرنسا وتعديل الحدود بين المستعمرات الفرنسية الانكليزية فى افريقيا • (٢) تسوية بعض المشاكل فى سيام ومدغشقر وجزر نيوهبريدس • (٣) اعتراف انكلترا بمصالح فرنسا فى مراكش ، واعتراف فرنسا بمصالح انكلترا فى مصر •

وبهذه التسوية انتهت عوامل المنافسة بين انكلترا وفرنسا • ولا ريب ان هذه الاتفاقية تختلف عن معاهدات التحالف التى سبقتها من حيث انها لم تشر الى التعاون فى حالة الحرب ، وانما هى اتفاقية لتسوية المشاكل المعلقة ، ولذا دعيت بـ (الوفاق) ولم تدع بـ (الحلف) ولكن مما لا ريب فيه ان هذا التقارب معناه التعاون على حل المشاكل الاوربية حين ظهورها ولو ان ذلك لم يذكر فى الاتفاقية، كما حدث ذلك بالفعل فيما بعد فى مؤتمر اغادير وغيره•

الاتفاق الانكليزي الروسي
سنة ١٩٠٧

كادت الحرب الروسية اليابانية لسنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ان تجر كل من انكلترا وفرنسا الى حرب لا ناقة فيها ولا جمل. فكانت فرنسا حليفة روسيا منذ سنة ١٨٩٤ وانكلترا حليفة اليابان منذ سنة ١٩٠٢ . ولدفع خطر حرب كهذا حرصت فرنسا على اتمام سلسلة المحالفات بعقد اتفاقية بين انكلترا وروسيا . ولما خرجت روسيا منهزمة امام القوات اليابانية كان من السهل التقرب منهـا لعقد اتفاقية مع انكلترا . وقد تم ذلك فى سنة ١٩٠٧ ، وهي تنص بالاضافة الى التحالف على تسوية المشاكل الاستعمارية خارج القارة الاوربية ولكنها بشكل اوسع من تلك التى عقدت بين فرنسا وانكلترا ، وبموجب هذه الاتفاقية قسمت ايران الى منطقتي نفوذ روسية فى الشمال وانكليزية فى الجنوب . وبقى قسم مستقل فى الوسط واعترفت روسيا بمصالح انكلترا فى الخليج العربي وفى التبيت ووعدت انكلترا بعد عقد الاتفاقية بتسهيل السبل لفتح المضايق امام السفن الحربية الروسية . كما أصبحت افغانستان تحت حماية بريطانيا .

ومع ان هذه الاتفاقية قد ضمنت مصالح انكلترا اكثر مما ضمنت مصالح روسيا ، فان الاخيرة علقت عليها الامال لبلوغ مآربها فى البلقان وتركيا فى المستقبل .

وقد تم فى الوقت نفسه عقد اتفاقية بين روسيا واليابان اعترفت فيها كل من الدولتين بمصالح الاخرى فى الصين ومنشوريا . وكذلك عقدت فرنسا واليابان اتفاقية الاعتراف بأن الصين وحدة لا تتجزأ وبأقرار سياسة الباب المفتوح .

واذاعت كل من انكلترا واسبانيا وفرنسا وروسيا معا تصريحات بالمحافظة على الوضع الراهن فى البحر المتوسط . وبهذا تمت سلسلة متواصلة من المحالفات والاتفاقيات السياسية التى الفت جبهة خطيرة ضد دول الحلف الثلاثي .

توثيق عرى الوفـاق الثلاثي

بعد ان تم عقد الوفاق الثلاثى حدث بعض ازمات دولية زادت فى توثيق عراه ، ولا سيما بين روسيا وفرنسا ، وفرنسا وانكلترا • واهم هذه الحوادث ضم البوسنة والهرسك (فى يوغوسلافيا الحالية) الى النمسا ، وحادثة اغادير فى مراكش والحروب البلقانية• وقد أدّت هذه الحوادث الى مفاوضات بين اركان حرب انكلترا وفرنسا سنة ١٩٠٦ والى الاتفاق بين انكلترا وفرنسا سنة ١٩١٢ على ان تسحب الاولى (انكلترا) اسطولها من البحر المتوسط الى بحر الشـمال وتسـحب فرنسا اسطولها من بحر الشمال الى البحـر المتوسط ، وبذلك يكون قد تم التعاون البحرى بان تحافظ انكلترا على سواحل فرنسا بحرا ، اذا هوجمت من الشمال ، وان يكون الاسطول الفرنسي مقابل الاسطول النمساوى فـى البحر المتوسط •

وحدث تعاون بين اركان حرب فرنسا وروسيا ، ورضيت روسيا ان تمد خطا حديديا فى بولندة بناء على وعد فرنسا باقراضها قروضا لتحقيق ذلك • وجعلت فرنسا سنة ١٩١٣ مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات ، وقام بوانكارية رئيس وزراء فرنسا باعمال جعلت مركز فرنسا مؤثرا فى السياسة الدولية • كما ان عرى التضامن زادت بين اعضاء الحلف الثلاثى ، ما عدا ايطاليا التـى ارتبطت بالجبهتين •

وحاولت المانيا ان تتفق مع انكلترا ، وقد ارسلت انكلترا بعثة هلديـن سنة ١٩١٢ للمفاوضة بخصوص القوة البحرية للدولتين ، لكن المفاوضـات لـم تثمر •

وهكذا انشطرت اوربا الى معسكرين كبيرين قبل سنة ١٩١٤ ، وبينما كانت الغاية الاساسية من المحالفات تجنب الحرب والمحافظة على السلم اصبحت باعثة على التصادم والتنازع وتنذر بوقوع الحرب •

الفصل الثاني

الأمبراطورية الالمانية

١٨٧٠ — ١٩١٤

تأسست الأمبراطورية الألمانية فى سنة ١٨٧٠ نتيجة لمجهود بسمارك الذى استطاع أن يقود بروسيا فى ثلاث حروب ناجحة ويضم الولايات الالمانية اليها ويتوّج وليم الأول امبراطوراً على المانيا فى فيرساى وسط أبهة الأمراء والملوك • فكانت الامبراطورية الجديدة بحق امبراطورية بسمارك لا لأنه هو الذى أسسها فحسب بل لانه سيطر عليها وحكمها حكماً لاينافسه فيه أحد الى حين سقوطه سنة ١٨٩٠ • وقد تبين ان بسمارك لاينوى التخلى عن منصبه لانه كان مدفوعاً بحب السيطرة والقوة اولا ، ولانه خشى من ان تقع الامبراطورية الفتية فى يد أشخاص لا يملكون الكفاءة التامّة لادارة ماكينة الدولة والنهوض بها الى ان تقف على قدميها وتقاوم التيارات المتضاربة • كما أن الأمبراطور وليم الاول وجد ان حكم هذا الجهاز المعقد الجديد يكون صعباً بدون بسمارك فاراد ابقاءه فى الحكم •

ويعتبر الدور الأول الذى حكم فيه بسمارك ووليم الاول دور التأسيس الذى اتصف بانتشار النخوة القومية والوطنية ، كما اتصف بانتشار الثروة المادية • فكان الالمان فخورين بما انجزوه فى ساحة القتال ، وما تبع ذلك من انتشار الرفاه المادي نتيجة للتصنيع وتوسع الحركة التجارية • زد على ذلك نشطت الحركة الادبية والعلمية والفنية فاصبحت المانيا قبل نهاية القرن من اعظم الدول الأوروبية فى هذا المضمار •

الحكومة والدستور

لم يكن دستور الامبراطورية الالمانية من وضع البرلمان ، انما كان من وضع بسمارك نفسه ، وهو نفس دستور اتحاد الولايات الشمالية لسنة ١٨٦٧ مضافاً اليه الولايات الجنوبية التى عبارة عن بفاريا ، هس ، بادن ، وورتمبرك ، والالزاس واللورين • وقدا وافق الرايخ الالمانى على الدستور الجديد فى آذار (مارت) ١٨٧١ • لقد كانت الامبراطورية الالمانية فى ١٨٧١ مكونة من اتحاد (٢٥) ولاية منها (٤) ممالك و (٦) دوقيات كبرى و (٥) دوقيات صغرى و (٧) أمارات و (٣) مدن حرّة • وكانت هناك قوانين اتحادية عامة وضعت لكافة الولايات كما كانت هناك بعض الامتيازات الدستورية تُركَتْ الى كل ولاية على انفراد • فمثلاً كانت الحكومة الاتحادية لها السيطرة التامة على الكمارك والضرائب والمالية والجيش والاسطول وتنظيم التجارة الداخلية والخارجية ومصلحة البريد والبرق والسكك الحديدية والعملة والأوزان والمقاييس والنظام المصرفى واصدار القوانين الى الولايات•

وكانت السلطة التشريعية عبارة عن مجلسين هما : اولاً : مجلس الولايات أو المجلس الاعلى (بند سرات) : وكان اعضاء هذا المجلس عبارة عن ممثلى حكومات الولايات ويعينون تعييناً من قبل حكامهم • ومهما بلغ عدد الأعضاء الذين يمثلون حكومة ولاية واحدة ، كان ينظر الى ممثليها عند التصويت كوحدة واحدة • وقد كان لبروسيا اكبر عدد من الممثلين (١٧) من مجموع (٦٤) • ولمّا كان (١٤) صوتاً كافياً لرفض أية لائحة فحكومة بروسيا كانت فى وضع قوى للسيطرة على المجلس وتعديل الدستور حسب اهوائها • وكان لبفاريا (٦) ممثلين وسكسونيا (٤) ممثلين وورتمبرك (٤) • وكان عدد ممثلى الولايات الاخرى بين (٣) و (١)• وكان مستشار الأمبراطورية (بسمارك) هو رئيس هذا المجلس •

ثانياً : وكان المجلس الثانى يُسمَّى رايخشتاخ • وكان اعضاءه ينتخبون لمدة خمس سنوات بالتصويت العام السرى المباشر لكل من بلغ ٢٥ سنة فما فوق • ومع ان الرايخ الألمانى كان يشبه ظاهرياً مجلس العموم البريطانى ، لكنه لم يمارس سلطة باستثناء ضرورة الحصول على موافقته فى اقرار الميزانية • ولم يقبض اعضاء الرايخ رواتباً حتى سنة ١٩٠٦ • ولم يكن للرايخ صوت فى تقرير السياسة الخارجية والعسكرية ، وكل ما كان يستطيع عمله هو رفض الموافقة على الميزانية •

وعلى اى حال كانت السلطة التشريعية وسن القوانين من اختصاص المجلسين الا أن مجلس الرايخشتاخ كان فى وضع ثانوى حيث فيه تقترح القوانين وترسل على شكل لوائح الى البندسرات لقراءتها واعادة النظر فيها قبل رفعها الى الأمبراطور للتصديق عليها ، وعليه فكان البندسرات يتمتع بسلطة تشريعية اكثر • ولا يكون القانون قانوناً الاّ بموافقته • وكانت السلطة التنفيذية عبارة عن وزارة مسؤولة أمام الأمبراطور الذى كان يسمَّى بالقيصر • وهو الذى يدعو المجلسين الى الانعقاد ويأمر بفضّهما ويعين المستشار ويحق له عزله فى أى وقت يشاء دون استشارة المجلسين • كما ان الأمبراطور هو الرئيس الاعلى للقوات المسلحة والاسطول ويدير السياسة الخارجية ويعين الوزراء والسفراء وقادة الجيش والموظفين الكبار ، ويقوم بعقد المحالفات والمعاهدات • وبموافقة البندسرات يعلن الحرب ويعقد الصلح ويأمر بحّل الرايخ ومعاقبة الولاية التى تخالف اوامر الحكومة الاتحادية باستثناء باڤاريا التى كانت قد اعفيت من النقطة الاخيرة • وكان الامبراطور هو الذى يأمر باصدار القوانين التى يسنها الرايخ على ان يوقع عليها المستشار ايضاً •

لقد كان المستشار بمثابة رئيس الوزراء يعين وزراءه الذين هم بمثابة رؤساء الدوائر مسؤولين امامه • ولم يكن المستشار مسؤولاً أمام المجلسين ،

انما كان مسؤولاً أمام الأمبراطور ، ولهذا فلم يكن للرايخ الالماني صلاحية اسقاط الوزارة الأمر الذى جعل نظام الحكم فى المانيا اوتوقراطياً وليس دمقراطياً • وقد بينا ان المستشار كان رئيساً للبندسرات وكان توقيعه ضرورياً لكل ما يقوم به الامبراطور من اجراءات •

لقد كان بسمارك هو المستشار والحاكم المطلق لالمانيا بين ١٨٧٠ ـ ١٨٩٠ يدير السياسة الداخلية والخارجية • وقد حصل على تأييد الاغلبية فى الرايخ فى السنوات الأولى من حكمه لتعزيز الامبراطورية • ووضع مجموعة من القوانين الموحدة للبلاد ، وأسس البنك الامبراطورى فى ١٨٧٦ لتسهيل ادارة الأمور المالية للدولة ، وبذلك قوى عملة المانيا ، وكان قد حول السيطرة على البنوك الى البندسرات فى السنة السابقة •

وفى السياسة الخارجية اتبع بسمارك طريقين لتعزيز وحماية بلاده : احداهما الاستعداد العسكرى لمجابهة المخاطر ، والثانية سياسة التحالف مع النمسا وروسيا وايطاليا بغية عزل فرنسا • وكانت علاقاته طيبة مع انكلترا على طول الخط • وقد فرض التجنيد الاجبارى لمدة سبع سنوات وجعل قوام جيشه ٤٠٠٫٠٠٠ جندى فى وقت السلم مزود بأضخم الاسلحة وأحدثها •وقد اضطر فيما بعد ان يخفض مدة التجنيد الاجبارى الى خمس سنوات لتقليل النفقات •

ولاجل ارضاء الولايات المنضمة الى الدولة الاتحادية منح بسمارك حكومات الولايات حق القيام بالتعليم والاشراف على الشرطة والمحاكم والضرائب المحلية • وقد اعطيت بعض الامتيازات الاخرى للولايات الكبرى كبفاريا وسكسونيا كأن تشرف الاولى على دائرة البريد والبرق الخاصة بها ، بينما تكون المحكمة العليا مركزها فى سكسونيا •

وعلى اى حال كانت تشريعات الحكومة الفيدرالية لها الأسبقية على تشريعات حكومات الولايات • ولما كانت بروسيا تمثل ⅔ المانيا من حيث المساحة

والسكان وبقية الولايات حوالى ½ سيطرت بطبيعة الحال على المانيا وقللت من نفوذ الولايات الاخرى • وقد بعثت ٢٣٥ عضوا الى الرايخ الالمانى من مجموع ٣٩٧ عضواً •

الاحزاب السياسية

ظهرت الاحزاب فى المانيا بشكل هيئات سياسية فى اول الامر خلال ثورات ١٨٤٨ – ١٨٤٩ وانقسمت الى المحافظين والاحرار حسب الظروف والمصلحة ، ولم تكن لها صبغة حزبية الا بعد تكوين اتحاد الولايات الشمالية سنة ١٨٦٧ • ومما هو جدير بالملاحظة ان الحكومة الألمانية كانت اوتوقراطيه فى اطار دمقراطى • وقد بيّنا الصفات التى جعلت المانيا حكومة اوتوقراطية ، ولكن مع ذلك لم يكن بسمارك دكتاتوراً ، لانه كان مقيداً بالرايخشتاخ والبندسرات ، وكان الاخير يمثل امراء الولايات الذين لايمكن ان يخضعوا تماماً لاوامر الحكومة المركزية فيجب مداراتهم • كما انه طالما كان هناك مجلس الرايخ يمثل الاطار الدمقراطى لالمانيا يجب ان يتمثل فيه عدد من الاحزاب السياسية التى على بسمارك مراعاتها ، اذا أراد ان يحكم المانيا كما يريد • لقد كانت الانتخابات الى الرايخ تجرى فى كل خمس سنوات الا اذا 'حلّ المجلس' قبل ذلك من قبل الحكومة عندئذ تجرى الانتخابات فى مدة اقل • ولما لم يكن نظام الحكم على غرار النظام الانكليزى فلم يكن بسمارك يمثل أية فئة او حزب • غير انه بحكم وظيفته كرئيس للحكومة كان يساير هذه الفئة او تلك بحسب الظروف حتى يحصل على أغلبية فى البرلمان يوافق على اجراءاته وقوانينه والمصادقة على الميزانية • وعلى أى حال كان بسمارك حراً فى تصرفاته واتفاقياته ولم يكن مقيداً بأى حزب أو فئة سياسية •

ولقد كان هناك ستة احزاب سياسية رئيسية على الصعيد الوطنى وعدد كبير من الاحزاب الصغيرة على الصعيد الاقليمى • وأهم هذه الاحزاب من اليمين الى اليسار هو كما يلى :

١ ـ حزب المحافظين : وهو رابع الاحزاب السياسية من حيث العدد وحصل على ثمن الاصوات فى الانتخابات • وكان مؤلفاً من الطبقة الأرستقراطية اصحاب الأراضى فى بروسيا ويعتبر بسمارك احد أفراد هذه الطبقة ومؤسس الحزب • وكان من بين اعضاء الحزب ايضاً موظفى الحكومة البروسية الكبار وقادة الجيش وكبار رجال الدين اللوثريين • وقد ناهض هذا الحزب الأفكار الحرّة وساند الأوتوقراطية والجيش والكنيسة اللوثرية • وقد أيد الحزب بسمارك فى اول الامر تأييداً قوياً لما قام به من اعمال عظيمة لالمانية ، لكنه بدأ يشك فى نواياه اخيراً ووقف ضده وخاصة لما بدأ يتفاهم مع الاحرار الوطنيين فاعتبروا ذلك مغازلة مع الدمقراطية •

وقد عارض المحافظون كطبقة من الملاكين الزراعيين تصنيع البلاد ونمو الرأسمالية الحديثة ، وأيدوا التجارة الحرّة • لكن بعد سنة ١٨٧٨ اصبحوا من مؤيدى سياسة حماية التجارة بسبب ازدياد الأسعار الناجمة من التصنيع السريع ، وبسبب منافسة حبوب كندا وروسيا للمحاصيل المحلية •

٢ ـ المحافظين الاحرار : وهؤلاء انفصلوا من حزب المحافظين المار الذكر واصبحوا من اكبر مؤيدى بسمارك • وكان من ناحية التركيب مكوناً من اصحاب الاراضى الكبار خارج بروسيا وأقطاب المال والصناعات فى المانيا وخاصة فى منطقة الراين • وكانت وجهة نظرهم السياسية والاقتصادية والدينية شبيهة تماماً بالمحافظين الا أنهم فضلوا القضايا الوطنية فوق القضايا الحزبية • وبينما كانوا مع حزب الاحرار الى ١٨٧٨ ، نجدهم يندمجون مرة اخرى بحزب المحافظين بصورة تدريجية • وعلى اى حال كان المحافظون الاحرار ثالث حزب فى المانيا وقد زودوا الحكومة الالمانية بعدد كبير من الموظفين الكبار والدبلوماسيين •

٣ ـ حزب الاحرار • كان أقوى واعظم حزب فى المانيا واحتفظ بمكانته

هذه خلال العشر سنوات الاولى من تأسيس الامبراطورية • وقد انشق هذا الحزب من الحزب التقدمى سنة ١٨٦٦ واصبح اعظم سند لبسمارك فى الرايخ الالمانى بجانب المحافظين الاحرار • وايد الوحدة الالمانية وساهم فى بث الشعور القومى بين سكان الولايات الالمانية الجنوبية ومعظم اعضاءه من الطبقة الصناعية العليا ومن سكان المدن واغلبهم من التجار واصحاب المال الذين وجدوا من الوحدة الالمانية مجالاً واسعاً لتوسيع التجارة والصناعة وازدهارها • وقد ايد ايضاً سياسة بسمارك العسكرية ونادا بحرية التجارة كما كان ضد رجال الدين • وقد حصل على ربع الاصوات فى انتخابات ١٨٧١ •

الا أنه بعد ١٨٧٨ بدأ هذا الحزب يترك معظم اراءه الحرّة وترك معظم اعضاءه سياسة حرية التجارة واصبحوا من دعاة حماية التجارة • وكلما ابتعدوا عن الافكار الحرة كلما اصبحوا من دعاة القومية ورحبوا بسياسة بسمارك الاستعمارية بعد ١٨٨٣ •

٤ ـ الحزب التقدمى : تأسس هذا الحزب سنة ١٨٦٠ وكان من دعاة الحياة البرلمانية الصحيحة والدمقراطية ومناهضة الروح العسكرية الموجودة فى المانيا انذاك ، ولم يؤيد بسمارك مطلقاً وعارض سياسته قبل وبعد ١٨٦٦ • ولم يحصل الاّ على ١٠٪ من الاصوات فى انتخابات ١٨٧١ ولهذا فهو خامس حزب فى المانيا • وقد عارض سلطة بسمارك الاوتوقراطية فى الادارة وأيد التجارة الحرة ولهذا أصبح ضد سياسة بسمارك فى فرض حماية التجارة فى ١٨٧٩ • كما انه وقف ضد التوسع الاستعمارى بعد ١٨٨٣ • وكان هذا الحزب ينظر بارتياب الى الطبقة الارستقراطية الزراعية والى الجيش • وحاول جهد طاقته ان يخضع الجيش للسلطة المدنية • وقد اعتدلت سياسة الحزب فيما بعد فترك الافكار القديمة الى درجة ما واخذ يدعو الى تدخل الحكومة فى التشريعات العمالية وقيام الدولة بالتربية والتعليم ، كما وجد ان حماية التجارة بدرجة معتدلة شيىء مرضي •

٥ ـ حزب الوسط او الكاثوليك : تأسس سنة ١٨٧٠ كحزب سياسى للكثلكة فى المانيا واصبح ثانى حزب قوى بعد حزب الاحرار • واغلب اعضاءه من الكاثوليك فى الولايات الجنوبية ومنطقة الراين • والسبب فى تأسيس هذا الحزب على اساس ديني هو ان الحكومة الالمانية كانت بروتستانتية فاصبح الكاثوليك يخشون تحدى الكنيسة اللوثرية وخاصة بعد ان قام بسمارك باجراءاته ضد الكاثوليك سنة ١٨٧٢ • وكان زعيم هذا الحزب لودفيك ويندهورست الذى كان رئيساً للوزارة لحكومة هانوفر قبل الوحدة الالمانية • فاخذ يندب حظّ ولايته التى فقدت استقلالها، وبدأ يجمع العناصر الكاثوليكية تحت ظلّه لما بدأ الصراع بين بسمارك والبابا بيوس التاسع وسندرس مبعث هذا الصراع عند الكلام عن صراع المدنية ودور الكاثوليك فيه •

٦ ـ الحزب الاشتراكى : ان اول حزب اشتراكى منظم فى المانيا هو ذلك الحزب الذى اسسه فردنند لاسال Lassalle فى لايبزك سنة ١٨٦٣ باسم المؤسسة العامة لعمال الالمان • وكان لاسال يؤمن بالدمقراطية والتصويت العام وعن طريق البرلمان يستطيع العمال ان يقوموا بالتشريعات اللازمة لأنفسهم • ولهذا فعلى المنظمة العمالية التى أسسها هو ان تستخدم الاساليب انبرلمانية لتحسين احوالها الاقتصادية والاجتماعية بدلاً من القيام بالثورة • وعلى العكس من ماركس اراد لاسال ان يقضى على استغلال الرأسماليين عن طريق تأسيس مصانع تعاونية يملكها العمال بدلاً من التأميم وتملك الدولة لوسائل الانتاج •

وبعد موت لاسال سنة ١٨٦٤ كان مؤيدوه يناصرون بسمارك ويرغبون فى انشاء دولة قوية • الا ان قسماً منهم وقع تحت تأثير الاشتراكية الماركسية التى كان يتزعمها فى المانيا وليم ليبنيخت وأگست بيبل • فلما اسس ماركس الأممية الأولى سنة ١٨٦٤ لنشر الاشتراكية وتوحيد قوى العمال للقيام بالثورة ضد الحكومات ، حاول الاثنان ادخال عمال الالمان فيها وتطبيق منهج مناهض

لفردنند لأسال وبسمارك • وفى سنة ١٨٦٩ نظّم بيبل وليبنيخت حزب العمال الاشتراكى الدمقراطى وحصل على عضوين فى انتخابات الرايخ لسنة ١٨٧١• وفى سنة ١٨٧٥ انعقد مؤتمر عمالى فى كوثا واتفق اللاساليون مع الماركسيين فى توحيد قواهم وتكوين ما يسمى بحزب العمال الاشتراكى بزعامة ليبنيخت واطلق عليه اسم الحزب الاشتراكى الدمقراطى فيما بعد • ومع ان الحزب كان ماركسياً الاّ أنه طبق منهج اللاساليين واحرز على ١٢ مقعد فى الرايخ فى انتخابات ١٨٧٧ الامر الذى جعل بسمارك يتصالح مع الكاثوليك لينقلب على الاشتراكيين •

الصراع بين بسمارك والكاثوليك (صراع المدنية)

بدأ الصراع بين بسمارك والكثوليك لمّا أراد البابا بيوس التاسع تحريض الكاثوليك فى المانيا لحمل بسمارك على عدم الاعتراف بالحكومة الايطالية التى اغتصبت روما والممتلكات البابوية • وقد اعتبر بسمارك ذلك تدخلاً فى شؤون المانيا • ولما كان هو لوثرياً لم تكن علاقاته طيبة مع الكنيسة الكاثوليكية التى كانت تخلق له المشاكل فى الولايات الجنوبية من المانيا التى تدين بالكثلكة • وكان يشعر كأغلب الالمان البروتستانت بان الكاثوليك فى المانيا تنقصهم الوطنية وانهم يخدمون الاجانب (أى الكنيسة الكاثوليكية فى روما)• وقد عارض بسمارك المنشور الذى اصدره البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٤ والمسمى بمنشور الضلال Syllabus of Errors حيث هاجم فيه البابا سياسة حرية العبادة والأفكار الحرّة والتعليم العلمانى وقيام الدولة بالتربية والتعليم والزواج والطلاق • كما هاجم الحضارة المادية الناجمة من التقدم العلمى والصناعى والأنغماس فى الملذات الناجمة من انتشار الرفاه الاقتصادى• وانتقد التطور الطبيعى المنبثق من نظرية داروين للتطور وانحدار الانسان من اصل حيوانى • وكذلك هاجم النزعة القومية التى اعتبرها سبباً للحروب بين

الدول والشعوب وتؤدى الى انفصال هذه الدول عن الكنيسة • واعتبر كل ذلك من اباطل العصر الحديث • وقد اعتبر الناس المنشور البابوى اعلاناً بالحرب الصليبية ضد الحضارة الأوروبية الحديثة وبدأوا ينتقدون البابوية والكنيسة الكاثوليكية • ولم يكتف البابا بذلك بل انه دعا مجمعاً كنسياً الى الأنعقاد سنة ١٨٦٩ وهناك اعلن العصمة البابوية Papal Infallibility ,

ويعنى ان البابا لمّا يشرح تعاليم الكنيسة وما يخص العقيدة والأخلاق فانه يتكلم بحكم مركزه كرسول المسيح وتسانده فى ذلك العناية الالهية ولهذا فلا يمكن ان يخطأ • وقد هاجم البروتستانت المنشور والعصمة البابوية ، لكن اغلب الكاثوليك ، باستثناء عدد من المثقفين الالمان تمسكو بتعاليم البابا •

غير ان بسمارك وأغلب الاحرار فى اوربا اعتبروا ادعاء البابا خطراً على سلامة الدولة وتهديداً لاستقلال ووحدة المانيا • وكان حزب الاحرار والحزب التقدمي يؤيدان بسمارك فى صراعه ضد الكاثوليك ، واعتبر هؤلاء الصراع بين المدنية الحديثة وتقاليد العصور الوسطى وسمّوه بكفاح المدنية Kultur Kampf .

ومع ان الصراع بدأ سنة ١٨٧٠ الاّ ان بسمارك لم يقم بعمل فعلى حتى سنة ١٨٧٢ لمّا بدأ بطرد اليسوعيين من المانيا وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الفاتيكان • ثم بدأ فى مايس ١٨٧٣ ومايس ١٨٧٤ بتشريع سلسلة من القوانين فى الرايخ الألماني (سمّيتْ بقوانين مايس) نصت على ان لا يعين فى الكنائس الكاثوليكية غير الالمان كأسقف او قس • ويجب على رجال الدين الكاثوليك بالأضافة الى ذلك ان يبرزوا وثائق مدرسية تثبت انهم تخرجوا من الجامعات والمدارس الالمانية الحكوميّة ويجب ان تكون المدارس الكاثوليكية والتدريسات فيها تحت سيطرة واشراف الحكومة • ولايجوز تعين رجال الدين الا بعد اجتياز الامتحان الحكومى ، كما يجب ان يكون الزواج مدنياً • وقد بدأ بتشريد وتوقيف الكاثوليك الذين لم يطيعوا اوامر الحكومة واستمر

ذلك لعدة سنوات • وكان البابا بيوس التاسع قد أمر بعدم اطاعة تلك القوانين• واستمر النزاع بين الكاثوليك والحكومة الالمانية • وعلى أثر ذلك تشكل الحزب الكاثوليكى فى المانيا كما بينا فى وقته بزعامة لودڤيك ويندهورست ، وكافح الحزب خلال سنوات الاضطهاد لاجل الغاء قوانين مايس واستعادة الحرية الدينية للكاثوليك ، وساعد الكاثوليك الحزب بالاجماع•وفى انتخابات ١٨٧٤ حصل هذا الحزب على ٩٠ مقعد فى الرايخ • وكانت العناصر المناوءة لبسمارك من البروتستانت تساعد الكاثوليك ايضاً فى كفاحه لاحبا بالكنيسة الكاثوليكية بل كرهاً لبسمارك ، كالاشتراكيين وغيرهم مثلاً ، وحتى بعض المحافظين البروتستانت بدأوا يساعدون الكاثوليك لما وجدوا تشريعات بسمارك اصبحت لا دينية كثيراً • وأخيراً وجد بسمارك من الاشتراكية الماركسية خطراً اعظم واشد من الكاثوليك فأخذ يتصالح مع الأخير بعد ١٨٧٨ • وفى ١٨٨٠ اوعز البرلمان البروسي إلى الحكومة بان لا تضايق رجال الدين الكاثوليك بسبب قوانين مايس • وجددت العلاقات الدبلوماسية بين المانيا والفاتيكان • وفي ١٨٨٦ الغيت معظم القوانين الجائرة بحق الكاثوليك •وكان بسمارك فاشلاً فى سياسته ضد الكاثوليك •

بسمارك والحركة الاشتراكية الماركسية

بيّنا كيف تكون الحزب الأشتراكى الماركسي فى المانيا وكيف انه احرز ١٢ مقعداً فى الرايخ سنة ١٨٧٧ الأمر الذى أرعب بسمارك فبدأ يتصالح مع الكاثوليك حتى يضرب الأشتراكيين • وكان مصدر قوة الحزب الأشتراكى الدمقراطى المناطق الصناعية فى ويستفالية والالزاس واللورين ، او منطقة الراين بصورة عامة ومنطقة سيلزيا وسكسونيا حيث الدعايات الاشتراكية فيها كانت قوية بين العمال الصناعيين • وكان الحزب يقوم بالاعمال التخريبية بين حين وآخر كلما سنحت الفرصة • ولما حاول اثنان من المجانين اغتيال

الامبراطور الالمانى سنة ١٨٧٨ وضع بسمارك اللوم على الاشتراكيين وامر بحل الرايخشتاخ واجراء انتخابات جديدة لمجلس جديد اغلب اعضاءه يؤيدون وجهة نظره ضد الحزب الأشتراكى • وبدأ فى الحال باجراءاته لقمع الحركة الاشتراكية ، فمنع الكتب والنشرات الاشتراكية من التداول وامر بجمع كل ما هو موجود فى الاسواق • كما خول الشرطة اقتحام اجتماعات الاشتراكيين وتبديدهم وتوقيفهم وحبسهم اينما وجدوهم دون محاكمتهم فى المحاكم المدنية • الا أن الاشتراكيين دافعوا عن انفسهم دفاعاً قوياً وقاموا بدعاية واسعة للحصول على التأييد • وهنا ايضاً نجد ان بسمارك كان فاشلاً فى سياسته ضد الأشتراكيين •

التقدم الاقتصادي والتشريعات الاجتماعية فى عهد بسمارك

بدأت المانيا تتقدم تقدماً منقطع النظير بعد ١٨٧١ • وساعدتها على ذلك ما كان لالمانيا من خبرة فنية وصناعية وعلمية قبل الوحدة• كما ان الامبراطورية الجديدة جعلت من المانيا سوقاً كبيراً لتصريف منتجاتها الصناعية وتنظيم وتوجيه اقتصادياتها • وكان لضم الالزاس واللورين اهمية كبرى فى تنشيط الصناعات الالمانية وتوسيعها نظراً لوجود الكميات الكبيرة من الحديد فى هذه المنطقة •

وقد ازدادت نفوس المانيا خلال الفترة بين ١٨٧١ و ١٩٠٠ من ٤١مليون الى ٥٦ مليون نسمة ، و ٦٤ مليون فى ١٩١٠ • وكانت المانيا قد تقدمت ماليا وصناعياً بين ١٨٥٠ و ١٨٧٠ اذ انتشرت شبكة من السكك الحديدية وعدد كبير من البنوك فى جميع انحاء المانيا • غير انه خلال الخمس سنوات الأولى بعد ١٨٧٠ نجد تقدماً مالياً وصناعياً هائلاً لم يسبق له مثيل • وقد شجعت الحكومة المركزية التصنيع وصرفت المليار دولار غرامة حربية من فرنسا على ذلك • وقد أسست خلال الفترة من ١٨٧٠ – ١٨٧٤ حوالى ٨٥٧ شركة ، وقد ازداد انتاج الحديد من مليون ونصف طن فى ١٨٧٠ الى (٨) ملايين طن فى١٩٠٠

و (١٥) مليون طن فى ١٩١٣ • كما ان انتاج الصلب ازداد من (١٦٩) الف طن سنوياً فى ١٨٧٠ الى اكثر من (٦ر٥) ملايين طن فى ١٩٠٠ وحوالى(١٥) مليون فى ١٩١٣ • بينما ازداد انتاج الفحم من حوالى (٧٠) مليون طن فى ١٨٩٠ الى (٢٠٠) مليون طن فى ١٩١٣ • وازدادت صادراتها فى نفس الفترة (١٨٩٠ – ١٩١٣) من (٨٠٠) مليون دولار الى (٥٠٠ر٢) مليون دولار سنوياً • وقد سبقت بريطانيا فى انتاجها الصناعى وتجارتها الخارجية بعد ١٩٠٠ ، وأصبحت الدولة الثانية فى الصناعة بعد الولايات المتحدة الأمريكية •

وقد تقدمت المانيا فى الصناعات الكيمياوية والكهربائية واصبح اسطولها التجارى ثانى اسطول فى العالم بعد بريطانيا • وقد ساعدت شبكة من الطرق البرية والنهرية على تسهيل المواصلات والتجارة الداخلية •

وقد غير بسمارك سياسته من حرية التجارة الى حماية التجارة بعد ١٨٧٩ وأيده فى ذلك حزب المحافظين والكاثوليك ، وسبب ذلك تدهور الحزب التقدمى والاحرار • وكان غرض بسمارك من تغير سياسته حماية الصناعات الالمانية من المنافسة الأجنبية وخاصة انكلترا والحصول على مورد جديد من المال للدولة بفرض الضرائب على البضائع المستوردة سواء أكانت صناعية ام زراعية ورفع القيود المالى على الولايات بهذه الواسطة ، واراحة الطبقة الزراعية فى المانيا من منافسة المحاصيل الاجنبية وخاصة المستوردة من روسيا وامريكا•

وبعد ١٨٨٠ بدأ بسمارك تحت ضغط الرأسماليين فى المانيا يغير سياسته تجاه المستعمرات ، فحصل على امتيازات فى جزر (ساموا) فى المحيط الهادى، وتأسست شركات استعمارية فى المانيا • وحصلت على افريقيا الجنوبية الغربية، و (توگولاند) ، و (كاميرون) ، و (أفريقيا الشرقية تنجانيقا ، أو تنزانيا) ، وبعض الجزر المعروفة بجزر بسمارك• وهكذا قبل ان يستقيل فى ١٨٩٠ تمكن بسمارك ان يحصل على معظم المستعمرات التى ظلت تحت سيطرة المانيا الى الحرب العالمية الاولى •

وقد تدخل بسمارك بين العمال واصحاب الاعمال بغية تنظيم العمل وتحسين احوال العمال الاجتماعية والاقتصادية ومكافحة الاشتراكية بهذه الطريقة ، فقام بسلسلة من التشريعات فى الثمانينات • ففى ١٨٨٣ – ١٨٨٤ قدم لائحة الى الرايخ لتأمين العمال ضد المرضى والحوادث المفاجئة ، واجبر رجال الصناعات توفير كافة المبالغ المطلوبة لذلك من حسابهم الخاص • وفى ١٨٨٧ سن بسمارك قانوناً آخر حدد بموجبه ساعات العمل للنساء والاطفال ووضع الحد الاعلى للعمل فى بعض الصناعات وعين يوم الاحد يوماً للاستراحة، كما انه فى ١٨٨٩ قام بتأمين العمال ضد الشيخوخة والعجز باعطائهم التقاعد• وهكذا بدأ بسمارك يرفع من مستوى العمال الاقتصادى والصحي وأصبحت تلك التشريعات رائداً للدول الاوروبية الأخرى انذاك ، فقلدته فرنسا وانكلترا وغيرهما من الدول فيما بعد •

المانيا فى عهد وليم الثانى

توفى وليم الاول فى آذار (مارت) ١٨٨٨ ، وارتقى العرش بعده ابنه فردريك الثالث • غير انه لم يحكم سوى ثلاثة أشهر فتوفى فى حزيران من تلك السنة وعلى أثر ذلك جاء ابنه وليم الى العرش وكان عمره (٢٩) سنة • كان وليم الثانى ذكيا ونشطا وعصبى المزاج • وكان يمتاز بمقدرة هائلة فى الخطابة والتأثير على الجماهير واظهر اهتماما بالغا بالجيش والاسطول منذ بداية حكمه ووجه خطاباته الى هؤلاء بدلا من توجيهها الى الشعب الالمانى • وقد آمن وليم بحق الملوك الالهى وأكد بان ارادة الامبراطور هى دستور البلاد • ويعتبر وليم الثانى الموجه الاول لسياسة بلاده وهو المسؤول عن نتائج تصرفاته •

لقد بدأت خلافاته مع بسمارك منذ اعتلاءه العرش ولم تكن هناك أسباب وجيهة لهذا الخلاف سوى فارق العمر بين المستشار المسن والامبراطور الشاب

الذى أراد أن يحكم بلاده بنفسه • وكانت اسباب الخلاف هي (١) عدم موافقة الامبراطور على تجديد القوانين ضد الاشتراكية ؛ (٢) اعتقد أن سياسة بسمارك لم تكن نزيهة فى القضايا الخارجية ، وان معاهدة الضمان الالمانى الروسى (١٨٨٧) تتناقض مع معاهدة الحلف الثنائى النمساوى الالمانى لسنة ١٨٧٩ ولتى ذكرناها فى الفصل عن العلاقات الدولية ، وكان مناوؤا بسمارك ايضا يؤيدون ذلك • (٣) وأخيرا كان وليم مع اعجابه بسمارك يرغب ان يحكم حكما مطلقا وكان بسمارك عائقا فى طريقه الامر الذى أدى الى اصطدام الاثنين فاستقال بسمارك فى ١٨٩٠ •

المستشارون فى عهد وليم الثانى

عين وليم الثانى عددا من المستشارين بعد بسمارك اولهم كاپريڤى ١٨٩٠ – ١٨٩٤ • وكان هذا ضابطا فى الجيش البروسى بيّن شيئا من الكفاءة فى الحرب البروسية – النمساوية سنة ١٨٦٦ والحرب البروسية – الفرنسية فى سنة ١٨٧٠ • ولكن لم يكن يعلم شيئا عن السياسة والادارة • ولما أراد الامبراطور ان يرضى جميع الاحزاب بعد سقوط بسمارك وجد ان طبيعة كاپريڤى المسالمة تلائم السياسة الجديدة • لقد كان كاپريڤى على العكس من بسمارك حرا فى سياسته الاقتصادية والاجتماعية وكذلك فى السياسة الخارجية ، وكرجل عسكرى كان خاليا من الميول والاتجاهات • وعلى أى حال لم يستطع خلال حكمه ان ينال الاكثرية فى الرايخ • وقد ايده حزب الاحرار والحزب التقدمى فى الرايخ لاعتماده على رجال الاعمال • الا ان الطبقة الارستقراطية كانت تزدريه لانه كان من الملاكين الصغار •

وقد الغى القوانين التى سنها بسمارك ضد الاشتراكيين • ونقص التعريفة الكمركية على البضائع المستوردة ، وعلى أثر ذلك قام بعقد معاهدة تجارية مع بريطانيا تبعتها معاهدات مماثلة مع النمسا وروسيا وايطاليا ورومانيا لاصدار البضائع الالمانية الى هذه الاقطار مقابل استيراد بضائع هذه الدول الى المانيا •

وقد استفاد الفلاحون من هذه المعاهدة كما استفادت الطبقة الصناعية والتجارية فى المانيا لان اسعار الحبوب المستوردة هبطت فتمكنت الطبقة الفقيرة من شراءها. كما انه بتخفيض الرسوم على البضائع الاجنبية حفظت هذه الدول رسومها على البضائع الالمانية واستوردت كميات كبيرة منها . ولقد قام بتأسيس محاكم العمال فى سنة ١٨٩٠ لحسم النزاع بين العمال واصحاب الاعمال ، وسن قانونا جعل بموجبه يوم الاحد عطلة للعمال . وقد حدد أعمال النساء والاطفال، ومنع دفع الاجور العينية ، ووضع مجموعة من القوانين الوقائية ضد الاعمال المؤذية ، وخول المراقبين الحكوميين سلطات اضافية لمراقبة تطبيق هذه القوانين . وفى نفس الوقت تبادلت المانيا بعض مستعمراتها فى أفريقيا الشرقية بجزيرة هيليگولاند فى بحر الشمال مع انگلترا . ولقد كانت هذه النقطة الاخيرة وتخفيض الرسوم على الحبوب سببا لاثارة المحافظين واجبروه على الاستقالة سنة ١٨٩٤ .

خلف كاپريڤى فى الحكم المستشار الجديد الامير هوهنلوهى ١٨٩٤ ـ ١٩٠٠ الذى كان من دعاة الوحدة مع بروسيا مع انه كان من ولاية بفاريا . وحارب ضد فرنسا سنة ١٨٧٠ وخدم فى السلك الخارجى كما عُيِّنَ حاكما على الالزاس واللورين . ولما أصبح مستشارا كان عمره (٧٥) سنة استنفذت السنون طاقاته ولم يبق من نشاطه الا القليل . ولهذا كان هوهنلوهى مستشارا رمزيا بينما الامبراطور وجماعته كانوا ينفذون اعمال الدولة . وقد تم فى زمانه جمع القوانين المدنية التى بدأ بها بسمارك . ولقد خشى الناس فى هذا الوقت من ازدياد نفوذ الاحزاب الثورية وخاصة الحزب الاشتراكى الدمقراطى وخافوا من الكفاح الطبقى والثورة التى نادى بها الاشتراكيون ، فتعرض الاخير لاضطهاد لا مبرر له ، اذ كانوا يعتدون عليهم بالضرب واللكمات اينما وجدوهم . وقد غيرت بعض الولايات قانون الانتخابات ،

كما نجد ذلك فى سكسونيا ، فخسر الحزب (١٥) مقعدا من مجموع (١٦) مقعد فى المجلس النيابى • وقد دعا المحافظون فى ١٨٩٢ الى نضال غير مشروط ضد الحزب الاشتراكى الدمقراطى وأعداء الدولة • وقد تعدّى هذا النداء الى مكافحة اليهود والحزب التقدمى • ولم يستطع وليم وهوهنلوهى تشريع قانون ضد الشغب لان الاحزاب الاخرى خشيت من نفسها فرفضت الموافقة على اللائحة ، اذ اعتبرت الحزب الاشتراكى الدمقراطى حليفا يمكن الاستفادة منه فى المناورات البرلمانية • كما ان الاحزاب الدمقراطية كانت تدافع عن مبدأ المساواة للجميع فى الحقوق السياسية فليس من العدل القضاء على هذا الحزب •

كانت الحكومة الالمانية تعتمد على الطبقة الصناعية والتجارية فى الرايخ الالمانى لتمشية الامور الداخلية والخارجية • وقد انكب الامبراطور ومستشاره ووزير خارجيته بيلوف على المستعمرات والحصول على مناطق النفوذ لايجاد الاسواق للبضائع الالمانية واستثمار رؤوس الاموال فى ما وراء البحار • ولترويج مصالح التجار واصحاب البنوك فى المانيا حصلت على بعض الامتيازات فى الصين سنة ١٨٩٧ • كما تغلغل النفوذ الالمانى فى الدولة العثمانية وقام الامبراطور وليم الثانى بزيارة السلطان عبدالحميد • وقام الضباط الالمان بتنظيم الجيش العثمانى وتزويده بالاسلحة • وفى سنة ١٨٩٩ قام عدد من أصحاب البنوك فى المانيا بعقد اتفاقية مع السلطان لاجل استغلال رؤوس الاموال الالمانية فى الدولة العثمانية وبناء خط حديدى بين العاصمة التركية وبغداد • لقد كانت هذه الاعمال تثير مخاوف بريطانيا ، ولكن الامبراطور وليم لم يقف عند هذا الحد بل قرر تأسيس اسطول ضخم بتحريض من اميراله تيربتز وذلك فى سنة ١٨٩٨ الامر الذى أدى بالتالى الى التصادم مع بريطانيا كما سنرى • وقد استقال هوهنلوهى سنة ١٩٠٠ بسبب الشيخوخة فخلفه فى كرسى المستشارية البرنس بيلوف •

كان بيلوف ، ١٩٠٠ ـ ١٩٠٩ ، ارستقراطيا استطاع ان يرضى المحافظين في الوقت الذى اعتمد على حزب الاحرار لكسب تأييدهم فى الرايخ • ومن أعماله رجوعه مرة أخرى الى وضع رسوم كمركية عالية على البضائع المستوردة سنة ١٩٠٢ وبذلك تخلى عن سياسة كاپريڤى الرامية الى تخفيض الضرائب على الواردات فارضى الطبقة الارستقراطية كما أرضى أقطاب المال والصناعات •

وقام فى نفس الوقت باضطهاد البولنديين وسار سيرا استعماريا فى سياسته الخارجية وفق رغبات المحافظين وأقطاب المال • فتوغل فى الدولة العثمانية ، وحصل على امتيازات تجارية فى المراكش ، وشجع روسيا بالدخول فى الحرب ضد اليابان سنة ١٩٠٤ • وقد انتقده الاشتراكيون والحزب الكاثوليكى والتقدمى فى سياسته الاستعمارية والعسكرية بصرف الاموال الطائلة على الجيش والبحرية الامر الذى قد تورط المانيا فى حرب قد تكون خطرة عليها•

ولهذا قام بيلوف بحل الرايخ فى ١٩٠٦ واجرى الانتخابات فى السنة التالية ومع ان الكاثوليك والاحرار أحتفظوا بمقاعدهم فى الرايخ أزداد عدد الاشتراكيين ونقص عدد التقدميين • غير ان الحكومة حصلت على الاكثرية فى الرايخ الجديد واستمرت فى تطبيق سياستها وتشريعاتها • وقد تبرم المحافظون من سياسته الرامية الى فرض ضريبة الدخل والارث • ولم يحاول ان ينقذ الامبراطور من النقد لمّا كتبت جريدة الديلى تلغراف مقابلة صحفية جرت بين أحد مراسليها والامبراطور صرح فيها الاخير ان الشعب الالمانى ضد بريطانيا لكنه هو الذى ضبطهم ، فلما قامت المعارضة فى البرلمان ضد بيلوف فى ١٩٠٩ بسبب سياسته استقال وخلفه الامير بيتمان هولويك سيگمارنگن ١٩٠٩–١٩١٧ •

كان بيثمان هولويك من الطبقة الغنية من اصحاب الاراضى فى بروسيا• درس القانون وتدرج فى السلك المدنى فى الحكومة البروسية • وقد سار على نهج سلفه فى السياسة الداخلية والخارجية واعتمد على المحافظين

والكاثوليك فى الرايخ الالمانى لتنفيذ سياسته • وقد استطاع ان يحل ازمة مراكش مع فرنسا باعترافه بان تستولى الاخيرة على مراكش مقابل حصول المانيا على مستعمرة كميرون الفرنسية فى اواسط افريقيا سنة ١٩١١ • وقد قوى الجيش الالمانى بازدياد عدده من (٦٥٦) الف جندى الى (٨٧٠) الف جندى فى زمن السلم • ولما كانت نفقات هذا الجيش اكثر من (٢٥٠) مليون دولار استطاع المستشار ان يحصل على موافقة اغلب الاحزاب فى الرايخ لهذا الغرض سنة ١٩١٣ •

الاحزاب السياسية فى عهد وليم الثانى

ظلّت الاحزاب السياسية فى عهد وليم الثانى كما كانت عليه فى عهد بسمارك فلم ينل حزب الاحرار والمحافظين والكاثوليك أى تغير تقريبا • وقد نقص عدد الحزب التقدمى ولهذا تكتلت الاحزاب التقدمية سنة ١٩١٠ لتكوين كتلة تقدمية نالت ٤٢ مقعدا • أما الحزب الاشتراكى الدمقراطى فكان فى أزدياد مستمر • ففى انتخابات ١٩٠٧ حصل الاشتراكيون على ٤٣ مقعد بينما فى انتخابات ١٩١٢ حصلو على ١١٠ مقاعد فى الرايخ • لقد كان الرايخ الالمانى يتجه نحو الدمقراطية من الناحية الظاهرية كما يتبين ذلك من الانتخابات التى أجريت منذ بداية القرن العشرين •

ولم يستطع المستشارون الاستغناء عن الانتخابات للحصول على الاكثرية اللازمة لتشريع القوانين وتطبيق المشاريع كما نجد ذلك فى انتخابات ١٩٠٧ • وقد اضطرّ بيثمان هولويك ان يعتمد على الكتلة التقدمية والاشتراكية التى كان لها ١٥٢ مقعد فى الرايخ سنة ١٩١٢ وذلك لتطبيق مشاريعه فى توسيع الضمان الاجتماعى بحيث يشمل الطبقات الفقيرة والعاملة فى المانيا • كما استطاع ان يعادل الميزانية لمدة ٣ سنوات متكررة الى الحرب العالمية •

وقد فشل بيثمان هولويك فى محاولته اصلاح الرايخ الالمانى وتعديل

قانون الانتخابات بحيث يشمل جميع المناطق الصناعية والمدن الكثيفة وتوزيع المقاعد بحسب ذلك • الا ان تطبيق الدمقراطية لم يكن بالامكان طالما ظل القيصر يتمتع بكل صلاحياته المطلقة •

ومهما يكن من أمر فان المانيا كانت قد بلغت مرحلة عظيمة من التقدم المادى والعلمى والتيكنولوجى فى ١٩١٤ • وكانت قوتها العسكرية هائلة الى درجة قاومت اربع سنوات ونصف كل الدول العظمى التى تألبت للقضاء عليها • ولسنا بحاجة الى التطرق الى السياسة الخارجية لالمانيا لاننا بحثناها فى فصل العلاقات الدولية •

الفصل الثالث

بريطانيا ١٨٦٧ ـ ١٩١٤
استمرار الثورة الصناعية

كانت بريطانيا فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر اعظم دولة صناعية فى اوربا واغناها • فقد ظهرت فيها الثورة الصناعية منذ حوالي سنة ١٧٥٠ واستمرت مقتصرة عليها مدة اكثر من مائة عام دون ان يظهر منافس لها فى الصناعة والثروة الى نهاية القرن الماضي تقريبا • لقد كان اسطولها مسيطرا على البحار وكانت تملك ربع الكرة الارضية مساحة وربع سكانها نفوسا ، واحتكرت التجارة العالمية الى مطلع هذا القرن • فبين ١٨٧٠ و ١٩١٤ أنتجت بريطانيا بضائع على نطاق واسع وباعتها وجمعت الثروة من وراء هذا البيع أكثر من اية دولة اخرى • وعليه استمرت بريطانيا سوقا تجاريا وصناعياً ومصرفا للعالم الحديث خلال هذه الحقبة من الزمن •

لقد كانت المعامل والمصانع البريطانية ومناجم فحمها فى تزايد مستمر • وقد ظهرت فيها شبكة من السكك الحديدية وخطوط التلفون والتلغراف • وكانت موانئها تعج بالسفن المحملة بالبضائع الواردة اليها أو الصادرة منها وهذا دليل على الانتاج البريطاني الضخم من فحم وحديد ومكائن وأقمشة صوفية وقطنية وكتانية ، ومصنوعات حديدية وفخارية وخزفية وجلدية • وكانت الالبسة المصنوعة فى بريطانيا من أجود الألبسة فى العالم • كما ان ميناء كلاسكو وبيلفاست من اشهر الموانيء فى صناعة السفن •

وقد ازداد سكان بريطانيا ازديادا عظيما بتقدم الثورة الصناعية • ففي الجزيرة البريطانية (وهي انكلترا ، وويلز ، واسكتلندة) ازداد السكان من ١٠ ½ ملايين فى ١٨٠١ الى (١٦) مليون فى ١٨٣١ والى (٢٦) مليون فى ١٨٧١

والى (٤١) مليون فى ١٩١١ • ولقد كانت الحالة فى ارلندة تماما عكس ذلك• ففي ١٨٤١ كان نفوس ارلندة (٨) ملايين نقص الى (٥ ¼) ملايين فى ١٨٧١ ، و (٤ ¼) ملايين في ١٩١١ • وكان سبب هذا التناقص هو الهجرة الى المراكز الصناعية فى انكلترا ، واسكتلندة وامريكا ، فظلت ارلندة منطقة ريفية • أما تجمهر السكان بصورة عامة فكان فى المراكز التالية (١) لندن وضواحيها (٢) منجستر وليفربول • (٣) نيوكاسل واطرافها • (٤) يورك وليدزوشيفيلد• (٥) برمنكهام واطرافها • (٦) جنوب ويلز وحول كارديف • (٧) فى كلاسكو واطرافها باسكتلندة •

اما الزراعة فقد تأثرت بالثورة الصناعية واستخدمت الاساليب العلمية لتنميتها كالأسمدة الكيمياوية والمكائن الزراعية واستخدام رؤوس الاموال الضخمة للمشاريع الزراعية والانتاج على نطاق واسع بغية تزويد المدن الصناعية بالمواد الغذائية •

وخلال الفترة بين ١٨٤٠ و ١٨٧٤ استفاد اصحاب الاراضي من ذلك استفادة عظيمة غير ان الرخاء الناتج من كثرة الانتاج الزراعى اخذ يتدهور بعد ١٨٧٤ نتيجة للكساد الأقتصادي الذى عمّ فى البلاد فى ١٨٧٣ و ١٨٧٤ وشمل التجارة والصناعة ايضا • وبينما نشطت التجارة والصناعة بعد ذلك بسرعة استمرت الزراعة فى تدهور مستمر • وكان السبب في ذلك ان امريكا (الولايات المتحدة وكندا وارجنتين) واستراليا انتجت كميات هائلة من الحبوب التي بدأت تغزو اسواق اوربا وانكلترا ، وكانت السفن التجارية الضخمة تحمل عشرات الالوف من الاطنان عبر المحيطات وتغرق اسواق اوربا بالمواد الغذائية الرخيصة التي لم تكن تتوفر سابقا بالسفن الشراعية وتحت الاساليب القديمة للزراعة • وكانت نتيجة ذلك ان قلت المساحات المزروعة من (٨ ¼ ملايين فى ١٨٧١ الى (٥ ¾) ملايين دونم فى ١٩٠١ ، وقلت الارباح من تجارة

الحبوب • ولمدة ما عوضت المراعي وتربية الحيوانات المنتجة للالبان المستخدمة في صناعة الالبان عن النقص الحاصل من تجارة الحبوب • لكن بعد ١٨٩٠ وبعد ظهور الثلاجات وشحن البواخر باللحوم والالبان الى مسافات طويلة في الثلاجات اخذت امريكا واستراليا تغرق اسواق اوربا وانكلترا بمنتجات الالبان واللحوم فزعزعت الصناعات المحلية لهذه المنتجات ان لم تقضي عليها ، وازداد استيراد الزبد والجبن الى الضعف خلال عشرين سنة من التأريخ المذكور • وهكذا بدأت انكلترا تعتمد على الخارج للحصول على غذائها في اوائل هذا القرن • ولم يستطع الفلاح البريطاني ان يواجه المنافسة الاجنبية ، لان اراضيهم كانت أقل خصوبة ، ونظام تملك الاراضي من قبل الطبقة الارستقراطية ماسك برقاب المزارعين الذين كان المفروض منهم دفع ايجارات ضخمة الى الملاكين • وما تبقى من الحاصل الزراعي يكاد لايكفي لمعيشتهم • فكيف والحالة هذه يستطيعون مواجهة الكميات الهائلة من الحبوب الاجنبية الرخيصة •

لقد كانت الطبقة الزراعية في انكلترا قليلي العدد بالنسبة لسكان البلاد ، فلم يستطيعوا ممارسة ضغط شديد على الحكومة للقيام بالتشريع من اجلهم • وقد زَجَّ الملاكون من الطبقة الارستقراطية انفسهم بين طبقة التجار واصحاب البنوك والمصانع فأصبحوا مديرين ورؤساء في الشركات والمؤسسات التجارية والصناعية واستفادوا كثيرا من وراء هذه الاعمال فعوضوا بذلك عما خسروه في الزراعة وحوّلوا اراضيهم الى ساحات صيد ومنتزهات • أما الزراع فانتقلوا الى المدن أو هاجروا الى الخارج ، الامر الذي ادى الى تدهور الزراعة تماما •

وقد عوضت انكلترا عما خسرته في الزراعة بالصناعة والتجارة • فقد ازدادت قيمة تجارتها الخارجية من (٤١٨) مليون باون في ١٨٦٥ الى (٦٠٠) مليون في ١٨٩٠ و (١٠٨٥) مليون في ١٩١٠ • وكانت مدينة لندن اكبر ميناء

تجارى في العالم ، واصدرت ليفربول البضائع الى الخارج أكثر من أى ميناء آخر فى العالم وكانت السفن المشحونة بالبضائع من والى انكلترا أكثر عددا من سفن أى بلد آخر • وهذا دليل على أن التجارة العالمية كانت بيد البريطانيين الى درجة كبيرة • وان انكلترا لعبت دورا كبيرا فى الصناعة والتجارة والصيرفة وتزويد العالم بالمال والمصنوعات •

لقد كانت حمولة السفن التجارية الانكليزية بالاطنان فى ١٨٧٠ خمس ملايين ونصف يقابلها ثمان (٨) ملايين طن فى ١٨٩٠ و (١١ ½) مليون في ١٩١٠ • وكانت ثروة بريطانيا الوطنية فى ١٨٦٥ (٦) مليارات باون استرليني بلغت (١٠٫٧٠٠) مليارات فى ١٨٩٥ حوالى (١٤) مليار فى ١٩١٠ ، فكانت بريطانيا اغنى دولةفى العالم وأكثرها رأسمالا وصار باستطاعتها ان تزود العالم بالمال والرأسمال • وقد بلغ مقدار الرأسمال المستغل فى الخارج في عام ١٩١٣ (٣٫٧٦٠) مليون باون استرليني منها (١٫٨٢٥) مليون في الامبراطورية البريطانية و (٧٥٥) مليون فى الولايات المتحدة ونفس المقدار فى بقية ارجاء امريكا و (١١٠) مليون فى روسيا و (٦٥) مليون في اليابان و (٢٥) مليون فى الامبراطورية العثمانية • وقد استغلت هذه المبالغ فى شتى مجالات الحياة واصبحت لندن المركز المالى والصيرفي فى العالم •

وكلما ازدادت الثروة الوطنية ازداد دخل الحكومة الانكليزية ونفقاتها• وقد بلغت هذه النفقات (١٥٠) مليون باون فى ١٩١٠ بينما ازدادت نفقات الادارات المحلية الى ١٦٨ مليون باون فى نفس السنة • وقد توقع الناس من الحكومة خدمات أكثر بكثير من السابق وليس مجرد المحافظة على الامن والنظام فى الداخل والدفاع الخارجى •

وليس بغريب ان نجد الاتجاه الاشتراكي واضحا فى انكلترا فى هذا الوقت لأن اكثرية السكان ظلت فقيرة فى الوقت الذى كانت الثروة فى نمو

متزايد • ويرجع سبب هذا التناقض الى عدم توزيع الثروة توزيعا يتناسب مع زيادة السكان • ومع ان العوز والفاقة التى كانت موجودة في بداية الثـــورة الصناعية اضمحلت تقريبا ، لكن الوضع الاقتصادى للعمال المزارعين والمزارع عامة كان فى تدهور تدريجى • واذا كان وضع العمال فى المدن احسن بقليل من هؤلاء فان اجورهم كانت قليلة ، وساعات عملهم طويلة ، والبطالة متفشية • وكانت ارباح الصناعات الانكليزية تستفيد منها فئة قليلة من الناس • وقـــد حلل لويد جورج الوضع العام فى سنة ١٩١٣ بقوله • ان هناك مئات الالوف من الناس يعيشون على شفا حفرة من العوز والفاقة فى الوقت الذى تنعم فئـة قليلة بكل مالذ وطاب من نعم الحياة • اننا ننسى ان العدل الالهي لايعطي مهلة للظلم والتعسف •

غير انه هناك حقيقة عن بريطانيا يجب معرفتها وهي ان الكيان السياسي والاجتماعي البريطانى تتطور نشوئيا وليس ثوريا • فقد اتخـــذ البريطانيون عبرة من الثورة الدموية التى حدثت فى منتصف القرن السابع عشر وقرروا عدم الالتجاء الى السلاح مرة اخرى لحل مشاكلهم السياسية والاجتماعية • وافضل وسيلة فى نظرهم لحل المشاكل هو التفاهم • ولهذا نجد ان بريطانيـا بجانب تقدمها الصناعى والعلمى الهائل احتفظت بنظام حكم ومجتمع طبقـي كيّف نفسه للاوضاع المتغيرة عن طريق سلسلة من المساومات • وقبل نهايـة القرن التاسع عشر اصبحت المساومة كلمة مقدسة فى اللغة الانكليزية • فكـان هناك ملك يملك ولا يحكم ، وكنيسة وطنية ينتمي اليها عدد قليل من الناس ، وطبقة صغيرة من النبلاء اصحاب الامتيازات يملكون الاراضي لكنهم يعيشون على ارباح الاسهم والسندات لاشتغالهم بالاعمال التجارية والصنـــاعية دون الزراعية كما أن هناك مجلس العموم ينتخب من قبل الجماهير لكن قيادته بيد زعماء الطبقة الارستقراطية • وعلى الرغم من وجود جميع المفاهيم الدمقراطية،

كالحرية الفردية والصراحة التامة فى النقد وعرض الآراء والمناقشة فان أغلب السكان يطيعون زعماءهم السياسيين ويحترمون من هم احسن حالا واعلى مرتبة في المجتمع • واذا اشتد بهم الفقر والعوز فيطالبون بالاصلاح وهناك من يستجيب دائما لنداء الاصلاح •

التغيرات الوزارية
بين ١٨٦٨ ـ ١٩٠٦

كانت الاصلاحات البرلمانية عبارة عن تفاهم بين البورجوازية الرأسمالية والارستقراطية الزراعية • وقد قامت حكومة بريطانيا بأول اصلاح برلمانى سنة ١٨٣٢ تبعه اصلاح ثان سنة ١٨٦٧ ، وكان الاخير يشير الى نوع من التفاهم بين الارستقراطية والدمقراطية • فقد احتفظت الطبقة العليا الغنية بمنزلتها العليا فى الحياة العامة واحتكرت لنفسها مجلس اللوردات واحتلت أكثر المقاعد فى مجلس العموم وكل الوظائف العالية فى الوزارات وكان رؤساء الدوائر والموظفين الكبار فى الوظائف المدنية والبحرية والعسكرية منهم • كما ان زعماء حزب الاحرار والمحافظين كانوا من بين هذه الطبقة • غير ان الحكومة الارستقراطية لم تكن تعمل الا ضمن اطار دمقراطى بعد توسيع قاعدة الانتخابات • وهذا يعنى أن الارستقراطيين فى الحكومة والبرلمان كانوا يعملون وفق متطلبات الرأى العام • فكان الحصول على الوظائف والتقدم سياسيا عن طريق الانتخابات •

وزارة كلادستون الاولى
١٨٦٨ ـ ١٨٧٤

على الرغم من أن المحافظين هم الذين قدموا لائحة الاصلاح البرلمانى سنة ١٨٦٧ ، الا أن الشعب البريطاني انتخب حزب الاحرار فى انتخابات

١٨٦٨ لأنهم تبرموا من حزب المحافظين والأرستقراطيين اصحاب الاراضي واتباع الكنيسة الانكليزية وفضلوا حزب الاحرار بزعامة كلادستون لانه كرس جهوده للتقدم الصناعي وحرية التجارة وعدم الاكتراث للانسجام المذهبي والديني .

استمرت وزارة كلادستون في الحكم بين ١٨٦٨ - ١٨٧٤ وتمسكت بمبدأ السلم فى الخارج والاقتصاد فى النفقات في الداخل . واتبعت سياسة عدم التدخل فى الشؤون الخارجية ووقف على الحياد التام فى الحرب البروسية الفرنسية فى ١٨٧٠ . ولم تتدخل فى الاستعمار ومنحت الحكم الذاتي الى عدد من المستعمرات . واول ما قام به گلادستون انه جرد الكنيسة الانكليزية من املاكها فى ارلندة وفصل بين الكنيسة والدولة هناك . وفى عام ١٨٧٠ منع اصحاب الاراضى من طرد مزارعيهم في ارلندة . ولم يستطع الملاك ان يرفع الايجار بصورة كيفية ، واذا حدث ان قام المؤجرون بتحسين فى الاملاك والاراضي فيجب على الملاكين ان يعوضوهم مقابل ذلك .

ومن اهم اعمال وزارة كلادستون الاولى هو التربية والتعليم . كانت التربية والتعليم تحت اشراف ورعاية المؤسسات الاهلية والدينية وخاصة فى المرحلة الابتدائية وكانت ماليتها تتكون من التبرعات والمنح والاجور التدريسيه . وفي ١٨٣٣ قررت الحكومة الانكليزية تقديم منح مالية الى المدارس سنويا . وعينت مفتشين للمراقبة . وفي ١٨٧٠ قامت الحكومة بتأسيس مديرية التربية والتعليم لفتح المدارس فى الاماكن التي لاتوجد فيها المدارس الاهلية ، وتقديم منح اضافية الى المؤسسات الاهلية ، كما خصصت ضرائب خاصة لتمويل هذه المدارس . ومنعت تدريس الدروس الدينية فيها لمراعاة المذاهب الدينية المختلفة التي لاتقبل تدريس تعاليم مذهب دون آخر . وفي سنة ١٨٨٠ أصبح التعليم الزاميا ونقصت نسبة الامية من ٢٤٪ فى ١٨٧١ الى ٧٪ في ١٨٩١ ، و ١٪ في

١٩١١ • وكان عدد الطلاب الذين يدخلون المدارس الحكومية فى سنة ١٩١١ يبلغ (٣) ملايين • بينما الطلاب الذين دخلوا المدارس الكنسية بلغ عددهم (٢٫٥٠٠٫٠٠٠) فى نفس السنة • وكانت الحكومة الانكليزية تصرف (٢٥) مليون باون سنويا على المدارس الابتدائية فقط •

ومن اعماله ان أجاز تكوين الاتحادات العمالية وخولها حق التملك والدفاع عن حقوقها فى المحاكم • واعترف بحق التعامل والتعاقد الاجتماعي وتقييد حرية التعاقد الفردى • الا أنه منع الاضرابات واستخدام الاساليب العنيفة من قبل العمال لتحقيق اهدافهم ارضاء للطبقة الرأسمالية • وقد انتشرت النقابات العمالية فى بريطانيا بكثرة بعد هذا التأريخ (١٨٧١) •

اما بخصوص الوظائف الحكومية فقد سن كلادستون قانونا يفرض بموجبه اجتياز امتحان الكفاءة لكل من يطلب وظيفة حكومية باستثناء موظفي وزارة الخارجية • وقام بتنظيم الجيش وترفيع رجال الجيش بحسب الاقدمية والاستحقاق والكفاءة وليست المحسوبية وشراء الذمم كما كان فى السابق • واستخدمت الحكومة التصويت السرى فى الانتخابات بموجب قانون ١٨٧٢ ، وقامت باصلاح القضاء فى السنة التالية (١٨٧٣) •

وقد لاقت اصلاحات كلادستون معارضة شديدة من قبل الطبقة الارستقراطية ورجال الكنيسة الانكليزية ، اذ انتقدوا قانون الاصلاح الاراضي والغاء سيطرة الكنيسة الانكليزية فى ارلندة • وانتهز دزرائيلي زعيم حزب المحافظين الفرصة وهاجم حكومة الاحرار واتهمهم بالجبن فى السياسة الخارجية والاستعمارية وفقدان الوطنية اذ أن بريطانيا وقفت على الحياد فى الحرب السبعينية ، وافسحت المجال لظهور دولتين كبيرتين المانيا وايطاليا •

وتمكنت روسيا من تعديل معاهدة باريس (لسنة ١٨٥٦) وكسب بعض المنافع فى المضايق • وأخذت المعارضة تؤكد على أن تلعب بريطانيا دورا فعالا

فى السياسة العالمية والسيطرة الاستعمارية لاعلاء منزلتها السياسية تتناسب مع تفوقها الصناعي والاقتصادي • وكان المحافظون والوطنيون الاستعماريون يتوقعون الكثير في هذه الناحية من دزرائيلي وحزبه • وفي انتخابات ١٨٧٤ نال المحافظون الاكثرية في البرلمان فسقطت وزارة كلادستون الاحرار وشكل المحافظون الوزارة بزعامة بنيامين دزرائيلي •

وزارة دزرائيلي

١٨٧٤ – ١٨٨٠

استمرت وزارة دزرائيلي فى الحكم من ١٨٧٤ الى ١٨٨٠ ، ومن اعمالها ان الغت القيود التى فرضتها حكومة الاحرار على النقابات العمالية ، كما سنت فى ١٨٧٥ قانون الصحة العامة وتحسين اماكن السكن بهدم الابنية القديمة وتوفير الشروط الصحية فى البيوت • وفى ١٨٧٨ شرعت عددا من القوانين العمالية تعين بموجبها ساعات العمل وشروطه • غير ان ما قام به دزرائيلي ووزارته المحافظة كان فى حقل الاستعمار ورفع راية الامبراطورية البريطانية• فأكد على وحدة انكلترا وارلندة ، وبين اهمية الهند لبريطانيا ومنح لقب امبراطورة الهند الى الملكة فيكتوريا • وقد اتبع سياسة عدوانية ضد الافريقيين فى جنوب افريقية بمحاولته ضم الولايتين ترانسفال واورنج الحرة التابعتان للبويرين (وهم من اصل هولندى) بمستعمرة كب • وأصطدم بقبائل زولو الافريقية • كما شن حربا عدوانية على افغانستان • واشترى اسهم قنال السويس من حكومة مصر فضمن السيطرة البريطانية على القنال ومهد السبيل لاحتلال البلاد • وتدخل فى الحرب الروسية – التركية التي انتهت بمعاهدة برلين واجبر روسيا على ان تقوم بكثير من التنازلات وحصلت بريطانيا على جزيرة قبرص •

وزارة كلادستون الثانية

١٨٨٠ ـ ١٨٨٦

كان لتوغل بريطانيا فى الاستعمار وما جلب اليها من خسارة فى الاموال والانفس اثر كبير فى تغيير الرأى العام البريطاني ضد حكومة المحافظين فأطاح بوزارة دزرائيلي فى ١٨٨٠ وتوفى الاخير فى السنة التالية • ورجع حزب الاحرار مرة أخرى الى الحكم بزعامة كلادستون • كان كلادستون سياسيا محنكا وخطيبا بليغا ، لكن ميوله وآراءه كانت عبارة عن ميول وآراء الاحرار في منتصف القرن التاسع عشر • وكان يكره النزعة الجديدة في القومية العدائية والاستعمار التى ورثها من دزرائيلي وحكومته المحافظة التي في نظره ونظر الاحرار دائما من مسببات الحروب والكراهية بين الشعوب وتقديم الضحايا المادية والمعنوية فى سبيل اسعاد فئة قليلة اذ كان يؤمن بالسلم والرفاه المادي اللذان يمكن تحقيقهما عن طريق الاكثار من الاصلاحات الداخلية كالتي قامت بها حكومة الاحرار فى النصف الاول من القرن بين ١٨٣٠ و ١٨٥٠ • ومع أنه تكلم كثيرا عن الاصلاح فان الشيىء المهم الذى قام به هو توسيع الانتخابات بحيث يشمل العمال المزارعين • وحقق ذلك فى ١٨٨٤ • وليس من المؤكد انه كان يقوم بالاصلاحات الاجتماعية لو أن وزارته استمرت مدة اكثر ، لان السياسة الخارجية والاستعمار والمسئلة الارلندية اشغلته الى درجة استنفذت طاقاته • وهو فى الوقت الذى كان يصرح بان حكومته تدافع عن حقوق الشعوب المضطهدة من جور المحافظين سمح لنفسه بأحتلال مصر ، على أن يتركها بعد مدة قليلة • لكنه انسحب من افغانستان وأوقف التقدم الانكليزي فى جنوب افريقيا •

ومن اعماله الاخرى تهدئة الارلنديين • فان هؤلاء لم يرضوا بما قام به كلادستون فى وزارته الاولى وتكونت جمعيات ارلندية تريد فك الوحدة مع

بريطانيا ونيل الحكم الذاتي • ومع ان كلادستون لم يقبل بمبدأ الحكم الذاتي لكنه قدم لائحة الى البرلمان سنة ١٨٨١ تضمن للفلاح الارلندى موردا عادلا من مزرعته التي يزرعها ودوام البقاء فى الارض • وفي الوقت نفسه خول كلادستون السلطات الارلندية صلاحيات واسعة للقضاء على الشغب هناك •

وقد ازداد التذمر ضد وزارة كلادستون اذ انه اهمل العمال فى المدن ولم يعمل شيئا من أجلهم ، واتهمه الوطنيون بانعدام الوطنية لانه لم يستمر فى سياسة المحافظين الاستعمارية • كما تذمر اصحاب الاراضي من القيودات التي فرضها كلادستون على الاراضي فى ارلندة لصالح الفلاحين دون المالكين • بينما اصر الارلنديون على الحكم الذاتي Home Rule فاستقال كلادستون في صيف ١٨٨٥ وشكلت المعارضة وزارة برئاسة مركيز اوف سالزبورى زعيم المحافظين بعد موت دزرائيلي ولما اجريت الانتخابات بعد عدة اشهر اسفرت عن فوز الاحرار ورجوع كلادستون للمرة الثالثة للوزارة في اوائل ١٨٨٦ •وقد اعتمد على القوميين الارلنديين فى البرلمان لنيل الاكثرية • ولاجل الحصول على تأييدهم قدم لائحة الحكم الذاتي لارلندة الى البرلمان وقرر تأسيس برلمان مستقل لارلندة فى دوبلن ، وعلى أثر ذلك انقسم حزب الاحرار وانفصل منه « الوحدويون الاحرار » بزعامة جوزيف شمبرلن • وكان هؤلاء قوميين أستعماريين انضموا الى المحافظين وصوتوا ضد لائحة الحكم الذاتي لأرلندة • عندئذٍ استقال كلادستون حالا وشكل سالزبورى وزارته الثانية على رأس المحافظين ، يؤيدهم الوحدويون الاحرار • ولم تكن القومية الاستعمارية السبب الوحيد لانشقاق حزب الاحرار ، بل ان عددا لايستهان به من شبان الاحرار بينوا امتعاظهم من آراء كلادستون القديمة وطريقة زعامته للحزب وآمنوا بآراء جديدة فى الحرية « الحرية الجديدة » لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية •

ولقد كان زعيم الوحدويين الاحرار الاستعمارى جوزيف شمبرلن المار الذكر ١٨٣٦ – ١٩١٤ الذى كان صاحب مصنع فى برمنكهام ، ومن الذين ايدوا الدمقراطية السياسية والاصلاحات الاجتماعية • ولما كان رئيسا لبلدية برمنكهام قام باصلاحات جمة وقضى على الاحياء الفقيرة وامم مشروع الانارة واسالة الماء فى المدينة • لكنه لم يكن استعماريا الا بعد ان دخل وزارة كلادستون الثانية عندئذ ابدى رغبة عظيمة فى حماية التجارة والتعريفة الكمركية والاستعمار متأثرا بالنزعة السائدة فى المانيا فى اعادة تطبيق المذهب التجاري الجديد Neo mercantilism وعليه فان لائحة منح الحكم الذاتي لارلندة كانت ذريعة للانفصال عن حزب الاحرار •

وزارة سالزبورس الثانية
١٨٨٦ – ١٨٩٢

اتبعت حكومة سالزبورى السياسة الاستعمارية التي وضع دزرائيلي مخططها سابقا • فأحتفلت باليوبيل الذهبي (مرور خمسين سنة) لارتقاء الملكة فيكتوريا عرش بريطانيا سنة ١٨٨٧ • وانتهزت الفرصة لعقد مؤتمر لرؤساء حكومات المستعمرات البريطانية فى لندن لبحث القضايا العامة بالامبراطورية • وفي سنة ١٨٨٩ قررت الحكومة تقوية الاسطول البريطاني لحماية مستعمراتها التي بدأت توسعها عن طريق المعاهدات مع المانيا وفرنسا والبرتغال بين ١٨٩٠ – ١٨٩١ تعهدت هذه الدول بموجبها تقسيم افريقيا فيما بينها على أن تكون لبريطانيا حصة الاسد • ورفضت حكومة سالزبورى منح الحكم الذاتي لارلندة لكنها قامت باصلاح الاراضي بطريقة افضل بكثير من طريقة كلادستون ذلك بمنح القروض الحكومية الى الفلاحين الارلنديين بشروط بسيطة يتمكن هؤلاء بواسطتها شراء الاراضي من الملاكين فيتحولون

عندئذ الى اصحاب اراضٍ من مجرد مزارعين. وبهذه الطريقة اكثر اصحاب الاراضي فى ارلندة من بين طبقة الفلاحين .

لم يكن سالزبورى مولعا بالاصلاحات الاجتماعية لان حزب المحافظين كان لا يزال حزبا زراعيا (أى ان معظم اعضاءه من الملاكين الكبار اصحاب المزارع الكبيرة) . غير انه فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر اصبح هذا الحزب يكيف نفسه للظروف الجديدة ويتغلغل فى صفوف الطبقة الصناعية والتجارية من أصحاب البنوك واقطاب الرأسمال ، فلم يضحّ بالرأسمالية من أجل العمال . الا ان جماعة سمّت نفسها بالدمقراطيين المحافظين Tory Democrats (من نفس الحزب) يتزعمهم راندولف شرشل (والد المستر ونستن شرشل) ويسانده جوزيف شمبرلن، رئيس الوحدويين الاحرار Liberal Unionists ، اقنعت وزارة سالزبورى فى القيام ببعض الاصلاحات العمّالية وتنفيذ بعض مطاليبهم . وفي ١٨٨٧ سنت قانونا يمنع اشتغال الاطفال دون ١٢ سنة . واصبح التعليم مجانا بقانون آخر سن فى ١٨٩١ .

وزارة كلادستون الاخيرة
١٨٩٢ - ١٨٩٥

اجريت الانتخابات العامة في سنة ١٨٩٢ وحصل الاحرار بموجبها على الاكثرية فشكل كلادستون وزارته الاخيرة . ولما لم تكن له اكثرية ساحقة أعتمد على القوميين الارلنديين ووعدهم بالحكم الذاتي . وقد وافق مجلس العموم على لائحة الحكم الذاتي لارلندة لكن مجلس اللوردات رفض الموافقة على ذلك عندئذ استقال كلادستون من رئاسة الوزارة واعتزل السياسة لكبر سنه ، وأصبح اللورد روزبرى رئيسا للوزارة وزعيما لحزب الاحرار سنة ١٨٩٤ . وقد توفي كلادستون بعد اربع سنوات فى ١٨٩٨ . وفي سنة

١٨٩٥ سقطت وزارة الاحرار بسبب عدم الانسجام فى صفوف الاحرار • ولما اجريت الانتخابات حصل المحافظون والوحدويون على الاكثرية الساحقة ورجع سالزبورى للحكم للمرة الثالثة •

وزارة المحافظين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٥

اصبح سالزبورى رئيسا للوزارة للمرة الاخيرة اذ توفى سنة ١٩٠٣ • وقد عين جوزيف شمبرلن وزيرا للمستعمرات • وكان النشاط الاستعمارى أهم ما يميز هذه الفترة اذ ان القومية والاستعمار سارا متكاتفين جنبا الى جنب، وظهر المنادون بحماية التجارة والابتعاد عن حرية التجارة ، وكانت بريطانيا تشعر بمنافسة المانيا الصناعية والتجارية ، وتقدمت عليها الولايات المتحدة ايضا ، وخشيت طموح روسيا فى آسيا وفرنسا فى افريقيا وألمانيا فى الامبراطورية العثمانية • وكان هناك عدد من الاستعماريين البريطانيين يرقصون على نفس النغمة التي يعزفها جوزيف شمبرلن وزير المستعمرات، امثال سيسل رودس (الذى سمي روديسيا باسمه ، وكان صاحب مناجم الذهب والماس هناك ، وصار رئيسا للوزارة فى جنوب افريقيا) • وكان رودس يريد أن تكون افريقيا لبريطانيا • وتغني الشاعر الانكليزى كيبلينك Kipling بعبء الرجل الابيض The Whiteman's Burden وان الغرب غرب ، والشرق شرق ، والى الابد لا يلتقيان •

The west is west and East is East and the two will never meet.

وابرز مثال للنزعة الاستعمارية السائدة فى ذلك الوقت هو حرب البوير ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ بين الانكليز والبويريين فى جنوب افريقيا ، وهم الهولنديون المهاجرون الى ولايتي ترنسفال واورنج الحرة واسسوا لانفسهم جمهورية مستقلة هناك وعلى الرغم من وعود الحكومات السابقة بعدم التعرض أراد سالزبورى الان ضم المقاطعتين الى جنوب افريقيا • وقد اثار رئيس الوزارة

وجوزيف شمبرلن النعرة الوطنية والقومية لهذا الغرض • واستمر الاستعمار الاقتصادى والسيطرة البريطانية السياسية فى الهند والصين وأيران ومصر • وتم التفاهم مع فرنسا فى ١٩٠٤ بموجب معاهدة الوفاق الودي لحل المشاكل الاستعمارية بين البلدين • وكتعبير للنخوة الاستعمارية والقومية قامت وزارة المحافظين باحتفال مهيب لليوبيل الفضي بمناسبة مرور ستين سنة على تتويج الملكة فيكتوريا • ولما توفيت الملكة فى ١٩٠١ دفنت على الطريقة الرومانية القديمة • وتوج ابنها ادوارد السابع فى وسط الابهة والعظمة ألتي تتناسب مع الروح الأستعمارية السائدة فى دولة تعتبر نفسها اكبر دولة استعمارية في تأريخ الكرة الارضية • وقد استقال اللورد سالزبورى بعد ذلك بقليل بسبب تقدمه فى السن وتوفى فى السنة التالية ١٩٠٣ • وأصبح آرثر بلفور Arthur Balfour رئيسا للوزارة وزعيما لحزب المحافظين • وقد قام كل من سالزبورى وبلفور بعده بتشريع قانون التعويض للعمال ضد الحوادث الطارئة، وكان قانون التعليم الاجبارى والمجاني قد سهل على الطبقة العامة تعليم ابناءهم• كما أن الاستعمارى جوزيف شمبرلن قد بدأ بحملة ضد حرية التجارة فى ١٩٠٣ • وقال بان القرن العشرين يقتضى التخلي عن الافكار الحرة التي سادت فى القرن التاسع عشر كالتجارة الحرة وتحرير الشعوب ويجب على بريطانيا فرض الضرائب لحماية تجارتها ومصنوعاتها والتأكيد على التجالة مع المستعمرات فقط • كما أكد على التسلح للدفاع عن الامبراطورية على أن تشترك المستعمرات مشاركة فعلية فى هذا الدفاع ، وقال بوجوب عقد المؤتمرات الدورية لرؤساء حكومات المستعمرات البريطانية لبحث القضايا المشتركة •

هذا هو جوزيف شمبرلن الذى سبب انشقاق حزب الاحرار في سنة ١٨٨٦ وانضم هو ومن معه من الوحدويين الاحرار الى المحافظين • والان فى ١٩٠٣ اصطدم بحزب المحافظين وانشق عنهم بعد سنتين وسبب سقوط وزارة

المحافظين فى ١٩٠٥ ذلك لان عددا من المحافظين ايدوه فى سياسته الرامية الى حماية التجارة وأعطاء الافضلية فى التجارة الى المستعمرات ، وبث الروح العسكرية والتسلح للدفاع عن الامبراطورية • غير ان عددا كبيرا من المحافظين كانوا يخشون حماية التجارة التى تسبب ارتفاع الاسعار وغلاء المعيشة وارتفاع أجور العمال فى المصانع والمزارع • ولهذا السبب رفضوا مقترحات جوزيف شمبرلن واجبروه على الخروج من الوزارة والاستقالة • وقد حاول رئيس الوزراء بلفور عبثا التوفيق بين انصار التجارة الحرة وهم الاكثرية وانصار حماية التجارة وهم فئة شمبرلن ، فاستقال فى١٩٠٥،ودعا ادوارد السابع السير هنرى كامبيل بانرمان ، زعيم حزب الاحرار ، لتشكيل الوزارة • وقام هذا بأجراء الانتخابات في اوائل ١٩٠٦ والتى أسفرت عن فوز ساحق للاحرار فى مجلس العموم اذ حصلوا على ٣٩٠ عضوا مقابل ١٥٧ عضو للمحافظين • وقد حصل القوميون الارلنديون على ٨٣ مقعدا وحزب العمال على ٤٠ كرسيا ، وكلاهما من مؤيدى الاحرار • وأستمر الاحرار فى الحكم الى ١٩١٥ •

الحرية الجديدة

والاصلاحات الاجتماعية

لم يكن انتصار حزب الاحرار فى الانتخابات نتيجة للنزاع الذى حدث فى صفوف المحافظين وحده ، ولا لان اغلبية الناس فى انكلترا كانوا لايزالون متمسكين بمبادىء حزب الاحرار القديمة والتى تعود الى منتصف القرن التاسع عشر • وعلى الرغم من ان الناس كانوا لايزالون متمسكين بالتجارة الحرة الا أنهم ارادوا التشريعات الاجتماعية وتدخل الدولة فى تحديد أمتيازات أصحاب الاراضى ، وتقييد الكنيسة الانكليزية ، وتحسين أحوال المعيشة ، والتشريعات العمالية ، وتنظيم الثروة الصناعية وتوزيعها على أكبر

عدد ممكن من الناس ، والغاء القيود السياسية على الرأى العام وأفساح المجال للناس في أظهار ميولهم ورغباتهم وآرائهم • ولتنفيذ كل ذلك كان حـــزب الاحرار أكثر ملائمة من حزب المحافظين •

ولم تكن جماهير الشعب على خطأ لما انتخبت حزب الاحرار في ١٩٠٦، لان هؤلاء كانوا يمثلون حرية جديدة تختلف تمام الاختلاف عما كان يؤمن به كلادستون وجماعته فى اواخر القرن التاسع عشـــر • وكان استقالـــة كلادستون وموته نهاية للطبقة القديمة من الاحرار • وقد ظهرت طبقة من الشبان الاحرار يؤمنون بآراء جديدة متأثرين فى ذلك بالنداء العـام لاجـل الاصلاحات الاجتماعية وحتى الاشتراكية • وكان طلب الاصلاح الاجتماعى هذا نتيجة للتيارات الفكرية الثلاث كانت تتطور منذ ١٨٧٠ وتؤثر على الجيل الجديد • ومن هذه التيارات : ظهـــور افكار وآراء جـــديدة مناؤة لآراء الاقتصاديين الكلاسيكيين امثال آدم ســـمث ، وريكاردو ، وتوماس مالثس وجيمس مل وغيرهم من الذين أكدوا على حرية التجارة والمنافسة الفردية ، وحرية التعاقد بين العمال واصحاب الاعمال ، والتأكيد بدلا من ذلك عـــلى دراسة علم الاجتماع لمعرفة مشاكل الناس ، والقيام بالمشاريع الاجماعيـــة (التعاونية) ، وسيطرة الحكومة سيطرة دمقراطية • لقد كان جون ستيوارت مِـــــل John Stuart Mill من اوائل المفكرين الذين اثروا بآراءهم على تغير مفهوم الحرية من النظريات الاستنتاجيـــة الى الملاحظات العلميـــة والتجريبية وميز بين الثروة المنتجة بحسب القانون الطبيعى وتوزيع الثـــروة الخاصة عن طريق التنظيم الحكومي • ودعا الى اصلاحات اجتماعية واشتراكية وتحرير المرأة ، وتأميم الاراضى وتحسين أحوال الطبقة العاملة • وكانت هذه الحرية منبثقة من التقـــدم العلمى والصناعى والحضارة المادية والتطـــور التدريجى نحو اشتراكية الدولة • وقد أكد جون راسكن John Ruskin على حب الجمال وتقديره كرد فعل للتقدم الميكانيكى الصرف ، وأكد عـــلى

العنصر الانسانى ومراعاته في العصر الميكانيكى والمـادى • أما الفيلسوف هربرت سبينسر Herbert Spenser على الرغم من فرديته أكد على القضايا الاجتماعية والبحث لايجاد الحقائق • وهنا يجدر بنا ان نبين آرائه بهـذا الخصوص اذ يقول : كل شيء عضوى او غير عضوى نشأ وتطور طبيعيا عن طريق التنازع على البقاء وبقاء الاصلح من المتجانس الى غير المتجانس ، ومـا وراء هذا التطور والنشوء يجب ان تكون هناك قوة أو سببا لايمكن معرفتـه دفع المادة الى الحركة • غير ان الذى يمكن معرفته هو هذه المـادة والحركة• وفى كتابه أسس علم الاجتماع عالج المجتمع البشرى ككائن عضوى متطور وبين التنازع على البقاء الاجتماعى متمثلا فى الصناعة والحرب والتنـافس الصناعى والرأسمالى السائد فى ذلك العصر • وفى كتابه مبادىء الاخـلاق لخص آراءه السابقة فى النشوء والارتقاء وأكد ان سعادة الجميع تتحقق عن طريق حب الخير وبذل الجهد لتحقيق منفعة الاكثرية من الناس • وبـين ان المبادىء الاخلاقية والاحساسات الانسانية يجب ان تقود الانسان الى حالة من الانسجام الاجتماعي تقضى على روح العداء والبغضاء والانانية وأحلال التعاون وحب الخير محلها • وبناء على ما تقدم من التأكيد الاجتماعى قام شارل بووث Charles Booth احد الصناع الاغنياء فى لندن بالبحث عن احوال الجماهير العمالية وظروف عملهم ومعيشتهم • وكانت المانيا قد سبقت الدول الاوروبية الاخرى فى القيام بالتشريعات الفعلية لتحسين احوال العمـال وظـروف معيشتهم وعملهم ، فاراد هؤلاء المفكرين من بريطانيا ان تقلد المانيا فى ذلك •

ثانيا ـ وكان التيار الثاني الذي أثر على الاحرار هو الحملة الموجهـة ضد تملك الاراضى في بريطانيا • وهذا لايعنى تملك الاراضى الزراعية من قبل النبلاء فحسب بل تملك العقارات فى المدن المزدحمة من قبـل فئة من الارستقراطيين الاغنياء • وكان جون ستيوارت مل قد بحث هذا الموضوع مع منظمة اصلاح الاراضى وبين مساوىء تملك الاراضى وشرورها وتأثيرها على

الطبقة العاملة • كما كان هناك نقد صريح لهذه المسألة فى المناقشات البرلمانية حول اصلاح الاراضى فى ارلندة فى وزارة كلادستون • الا ان أشهر من نقد نظام تملك الاراضى وقدم اقتراحات لاصلاحه هو هنرى جـــورج ١٨٣٩-١٨٩٧ ، الذى ولد فى فلاديلفيا فى الولايات المتحدة الامريكية ، وكصحفى في كاليفورنيا لاحظ الازدهار الاقتصادى الناجم عن المضاربة فى بيع الاراضى وارتفاع قيمتها فى مدينة سان فرانسيسكو وتوصل الى نتيجة هى ان متعهدى الاملاك (الدلالين) هم المنتفعون وهم فئة قليلة من اصحاب الثروة والباقى ، الاكثرية ، يعيشون فى بؤس وشقاء • وفى كتابه التقـدم والفقر Progress and Poverty بين مشكلة احتكار الاراضى وقـــدم حلا لذلك بأن تجبي الدولة ضريبة عالية على أصحاب الاراضى مما يجبر المالك على بيع اراضيه • لقد كان لهذا الكتاب صدى بعيدا فى امريكا ، واشتهر بواسطته هنرى جورج وانتخب رئيسا لبلدية نيويورك • كما سافر الى انكلترا لالقاء محاضرات بهذا الخصوص ، واثر على المحامى الشاب دافيد لويد جورج ، والعالم البايولوجى الفرد رسل والاس Alfred Russell Wallace الذى كتب عن ضـرورة ومقاصد تأميم الاراضى • وعلى أثر ذلك رغب عدد كبير من احرار انكلترا فى اصلاح الاراضى لكنهم رفضوا ضريبة الارض او العقـارات • وبدأ كل من لويد جورج والاحرار المتطرفين يشجعون فكرة اصلاح الاراضى فاقلقوا بذلك مضاجع المحافظين ورحبت الطبقة العاملة بالفكرة •

ثالثا ـ ويعتبر الفعاليات السياسية والاقتصادية للعمال أهم سبب لتبلـور الحرية الجديدة • ظهرت النقابات العماليةوتطورت منذ ١٨٥٠ واجيزت لاول مرة فى وزارة كلادستون سنة ١٨٧١ • وقد توسعتالنقابات وبلغعددها ٨٣فى سنة ١٨٧٢ وكان بوسعها عقد الاجتماعات والقيام بالاضرابات • وكان عـــدد اعضاء النقابات ٢٠٣٫٠٠٠ عامل ومجموع مورد النقابات بلغ ١٢٥٫٠٠٠ باون، وكان زعماء النقابات تحت تأثير الاحرار ولهذا يرغبون فى تحسين احـوال

العمال عن طريق التعاقد المباشر مع اصحاب الاعمال دون تدخل الحكومة • لكن فى سنة ١٨٩٠ وقعت النقابات العمالية تحت تأثير حركتين جديدتين اولها حركة العمال غير الفنيين الذين وقعوا تحت تأثير الزعيم الثورى جون برنز John Burns الذى كان يحرض جماعته على القيام بالاضرابات وتحدى الحكومة واستخدام الاساليب العنيفة •

أما الحركة الثانية فهي ظهور الاشتراكية الماركسية • كان وليم موريس ١٨٣٤-١٨٩٦ وهنرى هيندمان ١٨٤٢-١٩٢١ قد أسسا الاتحاد الاشتراكى الدمقراطى لنشر الاشتراكية الثورية بين الجماهير • وكان الاول منذ البدأية يميل الى الفن وضد الرأسمالية الحديثة والنزعة الحرة • وفى ١٨٨٣ تكونت الجمعية الفابية من سدنى ويب Sidney Webb وجورج برناردشو ، وآن بيسانت • ودون أن يعتنق هؤلاء الماركسية قاموا بحملة لاجل تأميم الاراضى والصناعات • وفى ١٨٩٣ أسس عامل من عمال مناجم الفحم بأسم كيرهاردى Keir Hardie حزب العمال المستقل وطبق منهجا مشابها للماركسية المعدلة وقدم مرشحيه للبرلمان • ومع انه لم يحصل على أى مقعد في البرلمان لكنه احرز ٥٠٫٠٠٠ صوت فى انتخابات ١٨٩٥ وكلهم من النقابات العمالية •

كان الاشتراكيون قليلين فى النقابات لكنهم نشطين واستطاعوا التأثير على الاكثرية • وكلما ازدادت النقابات ثورية ووعيا سياسيا ازدادوا عددا وثروة • وكان هناك ٤٩٠ نقابة رئيسية فى ١٨٩٠ يبلغ عدد اعضائها ٦٥٠٫٠٠٠ وميزانيتها مليون باون استرلينى • وفى ١٩٠٦ وصل عدد النقابات الى (٦٧٥) انخرط فيها ١٫٧٢٠٫٠٠٠ عضو ، وكان ميزانيتها ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ باون استرلينى • وفى حادثة Taff Vale سنة ١٩٠١ قرر مجلس اللوردات ان مسؤولية الاضرار الناجمة عن الاضرابات وما شابه ذلك تقع على عاتق النقابات التى يجب ان تعوض اصحاب الاعمال مقابل خسائرهم • ولما كان حزب المحافظين على الحكم في هذا الوقت وكانت الانتخابات بعيدة الوقوع

لرجوع الأحرار للحكم لم يكن لهؤلاء أى امل بتغير قرار مجلس اللوردات • عندئذ اضطر العمال ان يؤلفوا حزبا سياسيا لانفسهم باتحاد النقابات مع الاتحاد الاشتراكى الدمقراطى والجمعية الفابية وحزب العمال المستقل وسمى هذا الحزب بحزب العمال Labor Party الذى كان نصف نقابى ونصف اشتراكى • وبينوا استعدادهم لتأييد أى حزب يقوم بالتشريعات من أجل العمال • وفي انتخابات ١٩٠٦ نال الحزب ٤٠ كرسيا فى مجلس العموم وايدوا حزب الاحرار •

لقد كان لظهور حزب العمال اهمية كبرى فى تأريخ انكلترا لانه حل محل حزب الاحرار فيما بعد ••• وقد تبنى حزب الاحرار جميع القضايا التى كان العمال يريدون حلها • وبدأوا بتشريع القوانين الاجتماعية وهاجموا الملاكين والاستعماريين • وظهر مع ذلك عدد من الامبرياليين فيما بينهم امثال هربرت أسكويث Herbert Asquith ، ادورد كرى Sir Eduard Grey وريتشارد هلدن Richard Haldane وقرروا بأن حزب الاحرار فى الوقت الذى يقوم بالاصلاحات الداخلية يحافظ على مصالح بريطانيا فى الخارج • والعامل المشترك الذى ربط بين الجماعتين الثورية والاستعمارية فى حزب الاحرار هو التجارة الحرة التى اتفقتا عليها وحالت دون الانشقاق •

الاحرار فى الحكم ١٩٠٥ – ١٩١٥

بينا كيف ان وزارة الاحرار نالت الاكثرية الساحقة فى انتخابات ١٩٠٦ ، وكان هنرى كامبيل بانرمان رئيسا للوزارة ، وهربرت أسكويث وزيرا للمالية • وفى ١٩٠٨ مات بانرمان واصبح اسكويث رئيسا للوزراء واحتفظ بهذا المنصب الى ١٩١٦ وصار دافيد لويد جورج معاونه ووزيرا للمالية • وقد حافظت الوزارة على التجارة الحرة ، وسنت قوانين اجتماعية عديدة بمساعدة العمال واحيانا بعض المحافظين • ولم يكن هناك أى تغير فى السياسة الخارجية •

وأهم التشريعات التى قامت بها حكومة الأحرار بعد مجيئهم للحكم اولا بخصوص النزاع بين العمال واصحاب الاعمال فقد ألغى مجلس العموم قرار مجلس اللوردات لسنة ١٩٠١ بشأن دفع نقابات العمال التعويضات عن الخسائر التى تلحق باصحاب الاعمال نتيجة للاضرابات • واجاز الاضراب والاساليب السلمية لحل مشاكل العمال • ولاجل ان يتمكن نواب العمال من ممارسة اعمالهم كنواب قرر مجلس العموم في ١٩١١ دفع الرواتب الشهرية للنواب• وفى ١٩١٣ أجاز مجلس العموم استخدام مالية النقابات فى اغراض سياسية كالحملات الانتخابية لانتخاب البرلمان • وفى نفس الوقت قام مجلس العموم بتشريع سلسلة من القوانين للعمال مبتدءا بقانون تعويضات العمال لسنة ١٩٠٦ ، يجبر فيه اصحاب الاعمال تأمين العمال ضد الحوادث الطارئة والامراض • وفى ١٩٠٩ أسست دائرة العمل لاخبار العاطلين بمكان توفر العمل • وفى نفس الوقت اجاز تأسيس دوائر خاصة اعضاؤها من العمال وأصحاب الاعمال لوضع حد ادنى لاجور العمال • وقد وضع الحد الادنى لاجور عمال مناجم الفحم في سنة ١٩١٢ •

أما بخصوص الاطفال فقد سن قانون فى ١٩٠٦ ينص على ان دوائر التربية تزود أطفال الفقراء والمعوزين فى المدارس بوجبات الطعام المجانى Free meals وفى ١٩٠٨ اصبح حضور الاطباء اثناء الولادة ومعالجة الاطفال المرضى مجانا • واذا اسيء معاملة الاطفال من قبل آباءهم فيجب على الحكومة اخذهم وأيوائهم فى المؤسسات العامة الحكومية المبنية لهذا الغرض • كما أن أطفال العائلات الفقيرة يجب ان تخصص لهم قسما من النهار للذهاب الى المدارس والمنتزهات •

ولقد كان لسن قانون التقاعد والضمان الاجتماعي أهمية كبرى ، اذ ان مليون شخص من المتقدمين فى السن اخذوا يقبضون التقاعد ، كما ان المعالجة المجانية قُدِّمت للعمال عند المرض والتعويض عند الحوادث الطارئة •

لقد كانت المعارضة لهذه الأجراءات قليلة حتى من قبل المحافظين واذا كانت هناك معارضة فوجهت الى وزراء الاحرار لقيامهم بهذه الاجراءات .

وقد كانت ميزانية ١٩٠٩ من اضخم الميزانيات بسبب مصاريف الدولة الهائلة وخاصة المبالغ اللازمة لمواجهة تكاليف التشريعات الأجتماعية الضخمة ، والاستعدادات الحربية والبحرية .

وقد اقترح لويد جورج ، وزير المالية الذى قدم هذه اللائحة الى البرلمان والمسؤول الاول لكل هذه التشريعات ، وضع العبيء المالى (عبيء الضرائب) على الاغنياء وفرض الضرائب على أصحاب الاراضى ، وكان هذا خطوة اخرى لتحقيق الاصلاح الاجتماعى . وقد فرض ضريبة تصاعدية على الدخل باهضة بحد ذاتها جعلها مضاعفة على دخل الاغنياء جدا . كما فرض ضريبة الارث أو التركات ، وضرائب أخرى على الطوابع والسيارات والاراضى المتروكة . وكان غرضه فى فرض ضريبة الارض اجبار أصحاب الاراضى على بيعها والتخلص منها للزراع وبذلك يكون قد قام بتوزيع الثروة توزيعا عادلا. وقد وضع الميزانية والتشريعات الاجتماعية الاخرى كلها فى لائحة واحدة حتي اذا رفضها المحافظون يكون قد قضوا على انفسهم سياسيا لان الشعب الانكليزى ينتقم منهم . وقد وافق مجلس العموم على اللائحة لوجود اكثرية الاحرار والعمال هناك ، ورفضها مجلس اللوردات بدعوى انها ليست ميزانية أنما تشريعات اشتراكية ويجب ان يوافق عليها الشعب الانكليزي بحل البرلمان واجراء الانتخابات . عندئذ حلت الحكومة البرلمان وأجريت انتخابات جديدة فى اوائل ١٩١٠ اسفرت عن تساوى الحزبين الاحرار والمحافظين فى المقاعد، لكن العمال والقوميين الارلنديين ساندوا الاحرار فظل هؤلاء فى الحكم . وبعد تعديل طفيف اجتازت لائحة الميزانية مجلس العموم ووافق عليها اللوردات .

الوضع الدستورى لمجلس اللوردات

أعتقد الاحرار بأن مجلس اللوردات ، معقل المحافظين ، العقبة الكأداء فى سبيل تشريعاتهم التى على الاكثر تعدل أو ترفض هناك • وأكبر دليل على ذلك رفضهم الموافقة على الميزانية الاخيرة وأجبار الحكومة فى القيام بالانتخابات التي خسر فيها الاحرار عدداً كبيراً من المقاعد • ومما هو جدير بالملاحظة أن الراديكاليين الاحرار والعمال كانوا يعتبرون مجلس اللوردات مربض الارستقراطية والرجعية والتملك والاثراء بطرق غير مرضية • وكان القوميون الارلنديون يعتقدون أن حكمهم الذاتى لايمكن أن يوافق عليه مجلس اللوردات كما لم ينس العمال قرار مجلس اللوردات بحق نقابات العمال فى قضية Taff Vale فى سنة ١٩٠١ ، الامر الذى حدى بحكومة الاحرار ان يلغى هذا القانون كما مر معنا • وعليه أتفق الاحرار والعمال والقوميين الارلنديين على تجريد مجلس اللوردات من سلطاته •

وفى سنة ١٩١٠ قدمت حكومة الاحرار لائحة الى البرلمان تنص على ثلاث مواد أساسية (١) أية لائحة مالية يوافق عليها مجلس العموم تصبح قانونا بصورة آلية بعد شهر من تقديمها الى مجلس اللوردات ، سواء وافق الاخير عليها أم لم يوافق • (٢) أما اللوائح العامة الاخرى فتصبح قانونا اذا وافق عليها مجلس العموم فى ثلاث جلسات متتالية على الرغم من رفض مجلس اللوردات المتكرر ، على ان تمر سنتين على الاقل بين الجلسة الاولى والاخيرة• (٣) يجب أجراء الانتخابات لمجلس العموم كل خمس سنوات بدلا من سبعة• وكانت المادة الاخيرة تجعل من مجلس العموم أكثر تمثيلا للرأى العام الذى قد يتغير بسرعة • أما المادة الاولى فكانت تجعل من مجلس العموم الجهاز الدمقراطى المتسلط في قضايا المالية والضرائب • وقد وافق مجلس العموم على اللائحة ورفضها مجلس اللوردات •

عندئذ أمر الملك تحت ضغط الحكومة بحل المجلس وأجراء الانتخابات•

لقد كانت نتيجة الانتخابات أن تساوى الأحرار والمحافظين فى مجلس العموم غير أن العمال والقوميون الارلنديون ساندوا الاحرار فى الحكم • وقد وافق مجلس العموم الجديد على اللائحة ، وهدد رئيس الوزراء مجلس اللوردات بأنه يعين عدداً كبيراً مساويا لهم من أعضاء جدد فى المجلس ان لم يوافقوا على اللائحة الامر الذى أجبر اللوردات على الموافقة • وبذلك أصبح المجلس الاعلى مجلسا رمزيا •

الحكم الذاتي لأرلندة

قرر حزب الاحرار مكافأة الارلنديين والعمال مقابل خدماتهم وتأييدهم المطلق فى التشريعات التى قام بها الاحرار بمنح الحكم الذاتي لارلندة وألغاء التصويت المضاعف الذى يتمتع به أصحاب الثروة بينما العمال يتمتعون بصوت واحد فقط فى صندوق الاقتراع ، والغيت أمتيازات الكنيسة الانكليزية فى مقاطعة ويلز • وقدمت اللائحة الى البرلمان فى سنة ١٩١٢ ووافق عليها مجلس العموم غير ان مجلس اللوردات رفضها • وأستفادت الحكومة الانكليزية من القانون الجديد فى تقييد صلاحيات مجلس اللوردات ، وقدمت اللائحة مرتين اخريين سنة ١٩١٣ ، و١٩١٤ • واصبحت اللائحة قانونا لكنه لم تنفذ بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى •

وقد تكلمنا عن السياسة الخارجية فى موضوع العلاقات الدولية فلا حاجة الى تكرارها هنا •

الفصل الرابع

الجمهورية الثالثة فى فرنسا

المقدمة :

انهارت امبراطورية نابليون الثالث فى فرنسا تحت ضربات الجيش الالماني الذى غزى البلاد فى ١٨٧٠ ، وتألفت حكومة مؤقتة اعلنت نظام الحكم الجمهورى ، وعقدت الهدنة مع المانيا ريثما يتم انتخاب جمعية وطنية تمثل الشعب الفرنسى وتأخذ على عاتقها عقد الصلح مع الالمان ووضع الدستور للبلاد • ولقد اجرت الحكومة المؤقتة انتخابات عامة فى فرنسا اسفرت عن فوز الملكيين باحرازهم ٤٠٠ عضو فى الجمعيةالوطنية ، بينما ظفر الجمهوريون بمائتى عضو • وكانت الدلائل الاولية تشير الى فوز الملكيين ورجوع ال بوربون الى عرش فرنسا مرة أخرى •

واجتمعت الجمعية الوطنية في بوردو (Bordeaux) وانتخبت من بين اعضاءها ادولف ثيير (Adolph Thiers) رئيسا موقتا للسلطة التنفيذية على ان يمارس صلاحياته باشراف الجمعية وبمساعدة وزراء ينتخبهم هو نفسه • ثم انتقلت الجمعية بعد ذلك الى فيرساى (Versailles) لابرام معاهدة الصلح مع المانيا • وقبل أجتماع الجمعية فى فيرساى نشبت ثورة الكوميون فى باريس وبعض المدن الرئيسية فى ١٨ آذار (مارت) ١٨٧١ •

ثورة الكوميون فى باريس Paris Commune

بينما كان الجيش الالمانى يحاصر باريس والجمعية الوطنية تعقد اجتماعاتها فى بوردو تشكلت حكومة فى باريس من قبل لجان العمال والحرس الوطنى الجمهورى والراديكاليين الثوريين تؤيدها عناصر مختلفة من

اشتراكيين وفوضويين على الرغم من تباين وجهات نظرهم واهدافهم • أما العوامل التى أدت الى ثورة الكوميون هى :-

١ - كان الثوار يريدون الاستمرار في الحرب بينما صوت الشعب الفرنسى للسلم مع الالمان •

٢ - اسفرت انتخابات الجمعية الوطنية عن فوز الملكيين المبغوضين لدى الثوار ، وقررت الجمعية جعل فيرساى معقل الرجعية مقرا لها •

٣ - تدهور الاحوال الاقتصادية فى باريس بسبب الحرب والحصار الالمانى وارتفاع الاسعار وقلة المواد الغذائية •

٤ - اوقفت الجمعية الوطنية رواتب الحرس الوطنى وأمرت بتسريحهم •

٥ - أمرت الجمعية دفع الايجارات والديون التى اوقفتها الحكومة الفرنسية أثناء الحرب ، في الوقت الذى كانت باريس تعانى آلام الجوع والفاقة والناس كانوا يموتون بالمئات •

وقد انتشرت البطالة بسبب توقف الصناعات والاعمال التجارية منذ بداية الحرب فرفع المتذمرون راية الاشتراكية الحمراء وأعلنوا الثورة على الجمعية الوطنية ، وحرضوا المدن الاخرى بتأسيس الكوميونات على غرار كوميونة باريس ، وتأسيس نظام فيدرالى بين الكوميونات الفرنسية ، على ان تكون كل كوميونة عبارة عن حكومة مستقلة استقلالا ذاتيا • ورفضت كوميونة باريس سلطة الجمعية الوطنية ، وتكونت كوميونات فى مناطق عديدة من فرنسا كمارسيليا ، وليون وغيرهما ، لكن الحكومة الفرنسية قضت عليها بسرعة • أما كوميونة باريس فظلت تقاوم مدة شهرين بسبب مساعدة العناصر اليسارية والثورية للحركة ، ومهارة الحرس الوطنى المدرب فى اساليب الحرب • وخشيت العناصر المحافظة فى فرنسا من عاقبة ثورة الكوميون فساعدت الجمعية فى اخمادها • ولما رجعت الجيوش الفرنسية من ساحة

القتال فى نيسان حاصرت باريس وبعد قتال دام ستة اسابيع انتهت كوميونة باريس • غير ان روح الانتقام التي انتشرت بين اعضاءها استمرت تفتك بالناس فقتل عدد كبير من الرجال البارزين فى باريس ، ودمرت المؤسسات والبيوت الفخمة واحرقت قصر التويلرى واوتيل دى فيل ومسكن ادولف ثيير وقصر العدالة • واستمرت اساليب القتل والتخريب تفتك بالناس الى اواسط حزيران من تلك السنة وقد قتل عدد كبير من الناس لا يقل عن ٢٠٫٠٠٠ شخص من بينهم رئيس اساقفة باريس وعدد كبير من الابرياء •

انتصرت الجمعية الوطنية اخيرا برئاسة تيير وفتكت بزعماء كوميونة باريس عن طريق القتل والسجن والنفى الامر الذى ادى الى تخفيف الروح الثورية في البلاد وقلل من عدد الاعضاء الثوريين فى الجمعية الوطنية بين صفوف الجمهوريين واخذت الجمعية تطبق سياسة معتدلة • كما ان البورجوازيين ومن شاركهم فى الرأى والمصلحة اخذوا يرتابون من السياسات اليسارية الى مدة طويلة •

الصلح مع الالمان

كانت الخطوة الثانية التى اتخذتها الجمعية الوطنية بعد القضاء على كوميونة باريس هى الصلح مع الالمان • وفى مايس ١٨٧١ وقعت معاهدة فرنكفورت بين الجانبين نصت على الحاق الالزاس والقسم الاكبر من اللورين بالمانيا ، ودفع غرامة حربية قدرها (٥) مليارات فرنك (اى ٢٠٠ مليون دينار) على ان تبقى الجيوش الالمانية تحتل بعض مناطق فرنسا الى ان يتم دفع المبلغ ، وتقوم الحكومة الفرنسية بدفع نفقات القوات المحتلة •

وقد قام تيير بحملة واسعة لجمع التبرعات فى فرنسا وقدم الفرنسيون الغالى والنفيس للتخلص من الجيش الالمانى • فتم دفع المبلغ فى غضون ثلاث سنوات وانسحب الجيش الالماني ١٨٧٣ من فرنسا ، واعتبر تيير محرر البلاد •

دستور الجمهورية الثالثة

واخيرا لم يبق الا وضع دستور للبلاد وتقرير نظام للحكم • وهنا اختلف الفريقان الملكيون والجمهوريون • كان الملكيون منقسمين الى : (١) ملكيين رجعيين اتباع الكونت دى شامبور The Conte de Chambord حفيد شارل العاشر البوربونى الذى طرد من العرش الفرنسى سنة ١٨٣٠ ، و (٢) ملكيين اورليانيين وهم من الاحرار اتباع الكونت دى باريس The Conte de Paris حفيد لويس فيلب •

وبينما كان الكونت دى شامبور يؤمن بنظرية الحق الالهي والحكم البوربونى والعلم الابيض ، كان الكونت دى باريس حرّ التفكير خبيرا بالسياسة ويريد تأسيس نظام برلمانى دستورى على غرار الحكم الملكي في انكلترا • ولما بدأ الرأى العام الفرنسى يتغير نحو قبول النظام الجمهورى أراد النواب الجمهوريون حل الجمعية الوطنية واجراء الانتخابات لانتخاب جمعية تتمتع بأكثرية جمهورية • لكن الملكيين رفضوا ذلك وسنّوا قانوناً فى آب ١٨٧١ سُمّيَ بقانون ريفيت Rivet Law الذى نصّ على ان الجمعية الوطنية لها السلطة المطلقة في وضع الدستور وخوفا من ان تفلت الفرصة من يد الملكيين حاول نوابهم التوفيق بين الجانبين الرجعيين والاورليانيين • فذهب الكونت دى باريس الى فيانا لرؤوية قريبه كونت دى شامبور الذى لم يكن له من يرث العرش بعده ، واتفقا على ان يخلف الاول الاخير بعد موته • لكن اصرار شامبور على مبادئه الرجعية ادى الى أن يؤجل الملكيون امرهم الى حين يغير شامبور رأيه او يموت ويصبح كونت دى باريس ملكا •

بيد ان اغلبية الفرنسيين مالو الى الجمهورية ، وحتى ان تيير الذى انتخبه الملكيون بأغلبية الاصوات رئيسا للجمهورية اصبح الان جمهوريا • ولهذا قرر الملكيون اقالته (فى ١٨٧٣) وانتخاب المارشال ماكماهون الملكى النزعة محله لمدة سبع سنوات • وكان الفرق عظيما بين الرجلين ، فبينما كان

تيير سياسيا بارعا وخطيبا مفوها ، كان ماكماهون رجلا عسكريا قليل الكلام يتبرم بالسياسة ، ولما أصر شامبور على مبادئه الرجعية انضم الملكيون الاحرار الى الجمهوريين وقرروا بناء على اقتراح مسيو والون وضع دستور ونظام للبلاد ووافقت الجمعية على ذلك باغلبية صوت واحد وذلك سنة ١٨٧٥ .

وقد نص دستور الجمهورية الثالثة على ان ينتخب رئيس الجمهورية من قبل الجمعية الوطنية المؤلفة من مجلسين النواب والشيوخ مجتمعين فى فيرساى برئاسة رئيس مجلس الشيوخ ، على ان يكون ذلك باغلبية مطلقة لمدة سبع سنوات قابلا للتجديد .

ولقد أعطى حق التصويت الى كل فرنسى بلغ العشرين من العمر من الذكور ، وجعل مجلس الشيوخ لمدة تسع سنوات تنتخب الجمعية الوطنية ربع الاعضاء (٧٥ من مجموع ٣٠٠) لمدى الحياة ، وينتخب الباقون بنفس الطريقة التي ينتخب بها أعضاء الجمعية الوطنية . وقد الغى انتخاب هذا الربع لمدى الحياة سنة ١٨٨٤ ، واصبح جميع الاعضاء فى مجلس الشيوخ ينتخبون انتخابا لمدة تسع سنوات . أما المجلس النيابي فكان ينتخب اعضاءه لمدة أربع سنوات . لقد كان رئيس الجمهورية يمارس سلطته اسميا ، لان الدستور أعطى الصلاحيات الفعلية الى هيئة الوزراء التى تكون مسؤولة أمام الجمعية الوطنية . وكان للبرلمان سيطرة كبرى على الحكومة ، وقد عمد الجمهوريون الى ذلك اثناء وضع الدستور ، بغية تقوية البرلمان كى تكون الجمعية الوطنية حصنا منيعا فى وجه دكتاتورية السلطة التنفيذية . وكانت الوزارة تؤلف من الاحزاب التى أحرزت على أكثرية المقاعد فى البرلمان . وبوضع الدستور انتهت مهمة الجمعية الوطنية التى حكمت فرنسا مدة خمس سنوات . وهنا يجدر بنا ذكر بعض اعمال الجمعية الوطنية بالاضافة الى وضع الدستور . فقد نظمت المالية العامة للبلاد من جديد ، وحصلت على قروض لدفع التعويضات الالمانية ، وقام بأصلاح الجيش وتنظيمه على غرار الجيش البروسى واستخدام

التجنيد الاجبارى لمدة خمس سنوات ، وانشاء القلاع والحصون على الحدود الالمانيـــة .

وقد اجريت الانتخابات سنة ١٨٧٦ لانتخاب أول مجلس تشريعى فى ظل الدستور الجديد ، واسفرت النتيجة عن فوز الجمهوريين بأغلبية ساحقة فى المجلس النيابي وفوز الملكيين فى مجلس الشيوخ . واعتماداً عـــلى مجلس الشيوخ قام الرئيس مكماهون بدعاية واسعة لارجاع الملكية الى فرنسا ، ومنح الملكيون وظائف هامة فى الكنيسة والدولة ، وحاول التدخل لانتصار البابـــا والكنيسة الكاثوليكية ، كما اراد اضعاف المجلس النيابى وتقوية السلطة التنفيذية وخاصة سلطة الرئيس . الا أن المجلس النيابي كان واقفا له بالمرصاد وعلى رأسهم المحامي المشهور گامبيتا Gambetta احد زعماء الجمهوريين . فهاجم هذا الملكيين والكنيسة واعتبر الاخيرة عدوة الشعب فصار النزاع بين گامبيتـا والرئيس ماكماهون سجالا وكل واحد منهما اراد أن يبين قوته . فأجـــل ماكماهون المجلس النيابي لمدة شهر واحد في مايس ١٨٧٧ ، ثم امر بحله بعد الحصول على موافقة مجلس الشيوخ . ولما اجريت الانتخابات الجديدة كانت المعركة حامية بين ماكماهون وگامبيتا . وكانت النتيجة ان فاز الجمهوريـــون باغلبية ساحقة ، واجبروا الوزارة التى اغلب اعضاءها من الملكيين برئاســـة الدوق بروگلى Broglie على الاستقالة ، وتألفت وزارة من الجمهوريين برئاسة دوفـــر Dufaure وعضوية فريسيني Freycinet . وقد ظل ماكماهون سنة اخرى فى الحكم يجرب حظه . لكن الانتخابات التـــي كانت تجرى لاشغال المقاعد الشاغرة في مجلس النواب والشيوخ اسفرت عن فـــوز الجمهوريين . ولم يحل عام ١٨٧٩ حتى كان الجمهوريون مسيطرين عـــلى المجلسين النواب والشيوخ . فاصبح الرئيس ماكماهون فى مركز متزعـــزع فقدم الاستقالة . عندئذ اجتمعت الجمعية الوطنية لانتخاب رئيس جديد ليحل محله . فانتخب جول گريفي رئيسا للجمهورية . وهكذا بعد تسع سنوات من

تأسيسها اصبحت الجمهورية الثالثة بيد الجمهوريين • وفي ١٨٨٠ انتقل مقر الحكومة الفرنسية من فيرساى الى باريس •

وقد عزز النزاع بين الرئيس والجمعية الوطنية جانب الاخيرة بفوزها في انتخابات ١٨٧٧ ، واصبحت السلطة التنفيذية تحت رحمة السلطةالتشريعية من الان فصاعدا • وتعيين الوزراء من الاحزاب التي تنال الاكثرية فيالجمعية الوطنية • لقد كان الحكم لحد هذا التاريخ ١٨٧٩ بيد الطبقة الارستقراطية والطبقة البورجوازية العليا ، وكانت الجمهورية جمهورية الدوقات (كما قيل في حينه) يرأسها ماكماهون •

فرنسا فى عهد الجمهوريين المعتدلين
١٨٧٩ ـ ١٩٠٠

ثيير وگامبيتا

كانت انتخابات ١٨٧٧ انتصارا للجمهوريين الذين يمثلهم ثيير وگامبيتا وقد توفى ثيير اثناء الحملة الانتخابية دون ان يرى ثمرة جهوده فشيعه الشعب الفرنسي وسط حزن عميق وغفر له اصحاب كوميونة باريس لمجرد انضمامه الى الجمهوريين • ولقد كان من الطبيعي ان يرجع الى رئاسة الجمهورية ويعين سنده الجديد في النضال گامبيتا رئيسا للوزارة • الا ان موته جعل گامبيتا وحيدا يعتمد على رجال أقل كفاءة ودراية لمواجهة خصمه العنيدالرئيس ماكماهون • وبعد هذه الانتخابات لم يستطع أى رئيس حل الجمعية الوطنية، ولم تظهر أية سلطة تنفيذية قوية تجسر على تحدى الجمعية • ولهذا كانت الوزارات تسقط بمجرد سحب الثقة البرلمانية منها •

ومما هو جدير بالذكر ان لكل من ثيير وگامبيتا دوره الخاص في تقوية الجمهورية الثالثة • لقد كان ثيير ملكيا في ١٨٧٠ يكره الجمهورية فيشكلها العنيف الذي يمثله گامبيتا ووصم الاخير بالمجنون الهائج • غير انه كلما توجه

ثيير الى اليسار بحكم الضرورة كلما توجه گامبيتا نحو اليمين • وحاول الرجلان بعد ١٨٧٣ تخفيف حدة الثورية عند الجمهوريين ، فكان دور ثيير ان يجعل شكل حكومته مقبولا لدى الناس وان يكون حزبه الجديد المكون من الملكيين الاحرار ، الذين اصبحوا جمهوريين مع ثيير لانهم ذاقوا ذرعا بالملكيين الرجعيين ، حزبا محترما لدى الشعب الفرنسي • اما گامبيتا فكان جمهوريا ثوريا يعتمد على العمال البروليتار في انتخابه فى بادىء الامر • وقد طالب بانتخاب الموظفين سنة ١٨٦٩ بدلا من تعيينهم ومنح الحريات الدمقراطية، وفصل الكنيسة عن الدولة ، والتعليم الالزامى المجانى • كما طالب بعدم أقامة جيش دائمى فى اوقات السلم ، والغاء الامتيازات والاحتكارات غير أنه خلال الخمس السنوات بين ١٨٧٠ الى ١٨٧٥ تغير كثيرا لانه دخل معترك الحياة السياسية وحنكته التجارب واصبح من المعتدلين • وكان يدعو الى تنظيم الكيان الدمقراطى والحياة الدمقراطية فى فرنسا وتهيئة الكادرين وتدريبهم للقيام بمهام الوظائف الحكومية فى ظل النظام الدمقراطى • فكان غرض گامبيتا الان تهيئة الطبقة البورجوازية الصغيرة للاشتراك فى الحكم • وهكذا ترك گامبيتا مبادئه الثورية واصبح ينتهج السياسة الواقعية ، وبعبارة اخرى أصبح انتهازيا كما كان يسميه خصومه • لقد نبذ الانتهازيون (الجمهوريون المعتدلون) منهاجهم الاول الى درجة كبيرة لان المسائل السياسية ، وليست الاجتماعية ، كانت تهمها كثيرا • كما ان الغرض الاساسى التى من أجله ناضلوا ، الا وهو تأسيس الجمهورية والجمهوريين فى الحكم ، قد تم انجازه، اذا فليس هناك حاجة الى تخويف الناس بالقضايا الاشتراكية وخاصة اغلبية الشعب الفرنسى هم من الفلاحين المحافظين (٦٥٪) ولا تهمهم قضايا العمال في المدن • كما انه لم يكن بالامكان ان ينتصر الجمهوريون فى انتخابات ١٨٧٧ لو ان برامجهم تضمن مسائل اشتراكية ، لان الجمهوريون أدركوا أن الملكيين الاورليانيين الذين أنقلبوا الى الجمهورية حديثا كانوا من أقطاب

الطبقة البورجوازية العليا من أقطاب الصناعات والمال ، وهؤلاء بالطبع ضد الاشتراكية .

تركيب الجمهوريين

أصبح الجمهوريون بعد ١٨٧٩ يحكمون فرنسا . وكان السياسيون فى الحكم من الطبقة البورجوازية . وكذلك كان النواب في المجلس الوطنى وموظفى الدولة . وقل عدد النبلاء فى الدولة بدرجة اصبحت الحكومة حكومة الطبقة الوسطى . وكانت الاحزاب السياسية تنقسم الى فئات منشقة فيما بينها من جمهوريين معتدلين ، وراديكاليين ، واشتراكيين وغيرهم . وكان المعتدلون هم المسيطرين على الوزارة والمجلس النيابى فى أول الامر ، واشتهروا بنزعتهم الاصلاحية والتوسع الاستعمارى ، ومعارضة الكنيسة الكاثوليكية . وكان زعيم هؤلاء گامبيتا الذى لم يعش طويلا اذ توفى بعد شهرين من توليه رئاسة الوزارة فى مطلع ١٨٨٢ . وكان قبل ذلك رئيسا للجمعية الوطنية ، المنصب الذى احتفظ به منذ ١٨٧٩ . والسبب فى عدم توليه رئاسة الوزارة خلال هذه الاعوام الثلاثة ، بينما اصحابه كلهم صاروا وزراء ، هو خوف رئيس الجمهورية گريفي من تعين شخص قوى مثل گامبيتا كرئيس للوزارة فيصبح دكتاتورا . وحتى لما أصبح رئيسا للوزارة رفض الرجال الكفوئين قبول كرسى الوزارة فى حكومته خوفا من سطوته وتدخله فى كل شيء . ولهذا فكانت وزارته من الاشخاص المعتدلين .

جول فيرى وكليمنصو

وبعد گامبيتا اصبح جول فيرى ١٨٣٢-١٨٩٣ زعيم الحزب . وكان هذا محاميا وصحفيا ، برز فى السياسة مع گامبيتا الا انه كان ينقصه سحر الاخير وبلاغته فى الخطابة . وقد أثر فيرى على تكوين الجمهورية الثالثة تأثيرا بليغا عن طريق تشريعاته بين ١٨٧٩-١٨٨٥ .

أما الراديكاليون فكانوا أكثر ثورية ودعاة الى الاصلاح من المعتدلين • كما أنهم كانوا أقل ميلا الى الاستعمار والاهتمام بالسياسة الخارجية • وكان زعيمهم جورج كليمنصو ١٨٤١–١٩٢٩ الذى اصبح رئيسا للوزارة في اواخر الحرب العالمية الاولى • لقد كان كليمنصو طبيبا غير افكاره عن الدين والمجتمع بقراءة آراء الفيلسوف الانكليزى جون ستيوارت ميل والفيلسوف الفرنسى اوگست كومت وصارت أفكاره عن الدمقراطية متطرفة بعد ذهابه الى امريكا وبقاءه هناك ٣ سنوات بين ١٨٦٦ – ١٨٦٩ • وقد شاهد كوميونة باريس وايدها فعلا • الا ان تأثيره فى المجتمع لم يظهر حتى ١٨٨٠ لما أسس جريدة وأخذ يهاجم حكومة جول فيرى والمعتدلين والملكيين على السواء • ورفض مراراً الاشتراك فى الوزارة على الرغم من عرض المناصب عليه مراراً • ولما لم يفز الراديكاليون بمقاعد كثيرة فى البرلمان لم يستطيعوا تشكيل الوزارة فظلو يخلقون المشاكل للحكومات الفرنسية المختلفة فى زمن الجمهوريين المعتدلين الامر الذى يفسر لنا سبب سقوط الوزارات بسرعة فى هذه الفترة •

لقد كانت الوزارات فى عهد الجمهوريين المعتدلين ائتلافية وأستمرت كذلك الى ١٨٩٥ • وظل الجمهوريون متحدين على الرغم من معارضة الراديكاليين خوفا من رجوع الملكيين الى الحكم غير ان هذا الاحتمال قل بموت كونت اوف شامبور سنة ١٨٨٤ ولما مات كونت دى باريس سنة ١٨٩٥ انتهى أمر الملكيين وفقدوا املهم باستعادة النظام الملكى الى البلاد • كما أن الناس قد تعودوا على النظام الجمهورى وقل عدد النواب الملكيين في البرلمان •

اعمال وزارة جول فيرى

وقامت الحكومة الفرنسية خلال الثمانينات بعدد من الاعمال المهمة ، كتخليد ذكرى الثورة الفرنسية بجعل ١٤ تموز يوم سقوط الباستيل ، عيدا وطنياً لفرنسا ، والعفو عن زعماء ثورة الكوميون باطلاق سراح المساجين

ورجوع من كان منهم فى المنفى • والبدء بسلسلة من المشاريع العامة بغية نشر الرخاء فى البلاد • واستحداث امتحان الكفاءة للحصول على الوظائف المدنية والدبلوماسية ، وأنتخاب الموظفين الاداريين بدلا من تعيينهم من قبل الحكومة • وافساح المجال لتكوين الاتحادات العمالية للدفاع عن حقوق العمال ، ومنح حرية الصحافة والاجتماعات • ومن القوانين المهمة التى أهتم بها الجمهوريون هي القوانين التى تخص التعليم ، لانه لا يمكن اجراء الانتخابات النزيهة الا اذا كان المواطن صالحا وذلك بتثقيفه • ولما كان جول فيرى وزيرا للتربية والتعليم ثم رئيسا للوزراء أهتم بهذه الناحية • ففى سنة ١٨٨٢ سن قانونا يجعل التعليم الابتدائى أجباريا من السادسة الى الثانية عشر ، كما ان المدارس أصبحت تحت اشراف الحكومة بدلا من المؤسسات الدينية الكاثوليكية وخاصة فى المرحلة الابتدائية • وقامت الحكومة بتأسيس عدد من المدارس الحكومية بغية توسيع التعليم ، وأخراجها من سيطرة رجال الدين • وتعتبر هذه القوانين من مآثر الجمهورية الثالثة فقد انخفضت الامية فى فرنسا من ١٥٪ فى ١٨٨٠ الى ٤٪ فى نهاية القرن وبين الاناث الى ٧٪ وقد تم بناء ٢٥ الف مدرسة وصرف عليها بما يعادل ٤٠ مليون دينارا •

الصراع بين الدولة والكنيسة

كان لتأسيس المدارس الحكومية ومنع رجال الدين فى القيام بالتعليم أثره البالغ فى تصدع العلاقات بين الكنيسة والدولة • لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية قد احتكرت التربية والتعليم منذ قرون عديدة ، وأعتبرت عمل الحكومة هذا تجاوزا على حقوق الكنيسة • وكانت حكومة جول فيرى قد منعت رجال الدين والمؤسسات الدينية غير المجازة عن القيام بالتدريس ، وعينت محل رجال الدين معلمين مدنيين • وعممت منشورا بأن التعليم من الآن فصاعدا يكون علمانيا • فاعتبرت الكنيسة هذه المدارس الحادية •

وبلغت المعركة شدتها ضد اليسوعيين الذين الغت الحكومة امتيازاتهم ومنعتهم من التدريس ، ومع ذلك ظل هؤلاء يمارسون مهنتهم ، عندئذ أمر فيرى اليسوعيين بترك البلاد فاضطر هؤلاء ان ينفذوا أمر الحكومة • وعلى الرغم من بعض الاحتجاجات من جانب المحافظين والطلاب لم يقم الشعب الفرنسى باى حركة للدفاع عنهم • ولما انتشرت المدارس الحكومية وبدأ الجيل الجديد يتخرج من هذه المدارس اصبح تدريس رجال الدين في المدارس أمراً منسياً • ومع ذلك فقد حاول البابا ليو الثالث عشر الذى خلف بايوس التاسع فى ١٨٧٨ ان يتبع سياسة المصالحة مع الجمهورية الثالثة بتشجيع الكاثوليك فى تأيد الحكومة ، كما كان الحال فى المانيا فى هذا الوقت لما تحسنت العلاقات بين بسمارك والفاتيكان •

مشاكل الجمهوريين المعتدلين : (١) حادثة بولانجى ١٨٨٦ ـ ١٨٨٩

اضطر جول فيرى ان يستقيل فى ١٨٨٥ نظرا لان الكاثوليك اصبحوا ضده بسبب سياسته الدينية والتعليمية كما ان الراديكال سحبوا منه الثقة بسبب سياسته الاستعمارية في افريقيا وآسيا • وكانت الانتخابات الجديدة قد أسفرت عن فوز الجمهوريين فحصلوا على ٣٧٢ مقعد مقابل ٢٠٢ للملكيين الدين استعادوا نشاطهم • وكان رجال الجمعية الوطنية فى الثمانينات على العموم أقل كفاءة ممن سبقوهم من النواب قبل ١٠ سنوات • وقد انتخب گريفي مرة أخرى لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٨٦ • وكان هذا يخشى أن يعين رجلا قويا لرئاسة الوزارة فعين مسيو فريسينى دون كليمنصو • ولما كانت الوزارة ائتلافية أجبر كليمنصو رئيس الوزراء على ادخال جنرال بولانجى وزيرا للحربية حتى يقوم باصلاحات شاملة فى الجيش • لقد كان بولانجي رجلا وسيما يميل الى النظام الجمهورى وبين كفاءة فى الحرب انسبعين • وقد استخدم منصبه الوزارى لتعزيز مركزه وأخذ يعرض نفسه

أمام الجيش والجماهير ويتكلم عن حرب الانتقام مع المانيا وبذلك نال شعبية عظيمة واصبح معبود الباريسيين وبطل فرنسا الامر الذى ارعب كليمنصو والحكومة الفرنسية ، فطلبوا منه الاستقالة فى الحال وطرده من الجيش ١٨٨٧ .

(٢) فضيحة دانيال ويلسن ١٨٨٧ .

وفى هذا الوقت بالذات حدث ان تورط دانيال ويلسن ، نسيب الرئيس كريفي ، فى فضائح مالية ، باستغلال منصبه في جمع المال عن طريق بيع الوظائف والقاب الشرف وأعمال مربحة أخرى متخذا قصر الرئاسة ايليزى مسكنا له ولزوجته بنت الرئيس . وقد عينت الجمعية الوطنية هيئة تفتيشية لدرس القضية فحكم على ويلسن بالسجن لمدة سنتين وتبين ان وزير الحربية واحد قادة الجيش كانا مشتركين فى الفضيحة . ومع ان صفحة الرئيس كريفى كانت ناصعة البياض ، لكن الجمعية توقعت منه الاستقالة . ولما أستمر هذا فى منصبه دون ان يبين اثرا لترك الوظيفة قررت الجمعية عدم التعاون معه ، ولم يقبل أى وزير الخدمة فى حكومته ، الامر الذى ادى الى ان يقدم استقالته وانتخب سادى كارنو Sadi Carno رئيسا للجمهورية .

على ان بولانجي لم يقف مكتوفة الايدى ، اذ تجمع حوله البونابارتيون والملكيون والكاثوليك الحاقدين على الجمهورية الثالثة وبذلك كون لنفسه حزبا وانتخب عام ١٨٨٩ الى الجمعية الوطنية . وكاد ان يقوم بانقلاب يجعل نفسه دكتاتورا لولا انه خانته الشجاعة فامرت الحكومة بالقاء القبض عليه ومحاكمته بتهمة الخيانة . غير انه انهزم الى بلجيكا وهناك انتحر بعد سنتين تحت أقدام محظيته .

كانت نتيجة حادثة بولانجى ان اتحد الجمهوريون وقرروا ابعاد الجيش عن السياسة وأحالة المغامرين منهم على التقاعد ، وتقليل مدة الخدمة

العسكرية • كما ان الملكيين فقدوا كل أمل باعادة الملكية الى البلاد • وقام البابا بتشجيع رجال الدين الكاثوليك لتأييد الجمهورية الثالثة بغية الغـــاء القوانين ضد الكثلكة بطرق دستورية •

وبعد هذه الحادثة أخذت الراديكالية تضعف فى فرنسا لمدة موقتـة ، لان الثوريين منهم أنحازوا الى الاشتراكيين فسموا بالراديكاليين الاشتراكيين• بينما المعتدلين أنضمـــوا الى الجمهوريين والمحافظين لتكوين جبهة ضـــد الاشتراكية • ولهذا ســـميت الوزارات التي تألفت فى العقد ألاخـــير من القرن التاسع عشر بالرالى Rally او « لم الشعث » لانها كانت نقطة تجمـع الكاثوليك المؤيدين حول الجمهوريين المعتدلين ضد الاشتراكية واليسارية •

(٣) فضيحة باناما : ١٨٨٩ ـ ١٨٩٤ •

لم تكن فرنسا تتخلص من فضيحة حتى تصاب بفضيحة اخرى فى هذه الفترة التاريخية • وكان مشروع قنال باناما الذى تبنـاه فرديناند دليسيبس ، فاتح قنال السويس ، قد انتهى الى فضيحة • لقد بدأ هذا المهندس بمشروعه سنة ١٨٨٩ وبرأسمال قدره ٣٠٠ مليون دولار ، كان مبلغا جسيما فى وقته ، وأشترك فيه عدد من الرأسماليين اليهود وبعض رجال الدولة • وكان الغرض من هذا المشروع ربط المحيط الهادى بالمحيط الاطلسى فى أضيق نقطة تربط امريكا الشمالية بالجنوبية • لقد واجه المشروع صعوبات جمـــة بسبب رداءة الاحوال المناخية واختلاف طبيعة الارض هناك عن منطقة السويس • الامر الذى استنفذ الاموال المخصصة له قبل اكماله • فسيق المشتركين فى المشروع الى المحكمة سنة ١٨٩٤ ومن بينهم المهندس الشيخ دليسيبس وبعض رجالات الدولة فادينوا جميعا ، واضطرت الحكومة الفرنسية ان تبيع المشروع الخاسـر الى امريكا لانجازه • وفي هذا الـوقت بالذات حدثت حادثة اخرى هـزت الجمهورية الثالثة وهي حادثة دريفوس •

(٤) حادثة دريفوس ١٨٩٤ ـ ١٩٠٦ .

كثر اعداء الجمهورية فى نهاية القرن التاسع عشر وخاصة من بين الملكيين والمحافظين والعناصر اليمينية بصورة عامة . وقد اتهم اليهود بأنهم سبب نكبة فرنسا . وكتب احدهم وهو ادوارد دراموند كتابا بأسم (فرنسا اليهود) سنة ١٨٨٦ هاجمهم فيه (اليهود) مهاجمة عنيفة . وفي كتاب اخر (نهاية العالم) ١٨٨٨ قام بحملة اشد من السابق ضد اليهود . كما انه فى صفحات جريدته اخذ ينبه الفرنسيين ضد الخطر اليهودي ونصح العمال بان مستغليهم الحقيقيين واعداءهم الاصليين هم اليهود المسيطرين على المال والصناعات والموجهين لسياسة فرنسا . ولم يقتصر الحملة ضد اليهود على بعض الكتاب، بل ان رجال الكاثوليك كانوا يضعون اللوم على اليهود فى قيام الجمهورية الثالثة بالتشريعات اللادينية ، لان اليهود هم الذين كانوا يبثون الافكار الحرة والالحادية . وحدث ان اتهم رئيس يهودي فى الجيش الفرنسي اسمه الفرد دريفوس بسرقة اسرار عسكرية وبيعها الى الالمان فحوكم هذا بالاشغال الشاقة مدى الحياة من قبل محكمة عسكرية سنة ١٨٩٤ وجرد من رتبه وطرد من الجيش ونفي الى جزيرة نائية بالقرب من ساحل غانا تسمى بجزيرة الشيطان. وكادت الحادثة تنتهي عند هذا الحد لولا ان العقيد بيكارت فى استخبارات الجيش الفرنسي وجد سنة ١٨٩٧ ان الاسرار المسروقة لم تكن بخط الرئيس دريفوس انما بخط شخص اخر هو المقدم ايستر هيزى ، وان دريفوس برىء . عندئذ قام اليهود فى الحال يطلبون اعادة محاكمة الرئيس دريفوس وانقسم الفرنسيون على اثر ذلك الى دريفوسيين وضد الدريفوس . وكان الراديكاليون واليساريون على العموم مع دريفوس . وقام عدد من الكتاب والصحفيين بالدفاع عن دريفوس من بينهم الكاتب الشهير اميل زولا والسياسي جورج كليمنصو . غير ان قادة الجيش والمراكز العليا اعتبروا اعادة المحاكمة وصمة لا تمحى فى جبين الجيش وفضلوا البرىء يموت فى سجنه من أن

يتبين الحق من الباطل • وكان الرئيس سادى كارنو قد اغتيل سنة ١٨٩٤ من قبل أحد الفوضويين ، وجاء بعده فيلكس فور رئيسا للجمهورية وكان هـذا رجلا بليدا لم يتدخل فى الامر وتوفي سنة ١٨٩٩ فانتخب اميل لوبيت Lubet رئيسا للجمهورية • وتغيرت الوزارة فى نفس الوقت وجاءت الكتلة الى الحكم واغلبهم راديكاليين فاعادوا محاكمة دريفوس ، فادين مرة اخرى من قبل المحكمة التي خولت رئيس الجمهورية باعفاءه من العقاب ان اراد ، فعفا عنه الرئيس لوبيت حالا • غير ان اليهود اصروا على براءته واستمر الدعوى الى ١٩٠٦ حيث قررت المحكمة العسكرية رفع التهمة عنه واعادة رتبه وشرفه العسكري اليه وعين بدرجة اعلى من درجته السابقة ومات سنة ١٩٣٥ •

كانت نتيجة حادثة دريفوس ان شكل انصاره فى البرلمان كتلة من الراديكاليين والراديكاليين الاشتراكيين والاشتراكيين والمعتدلين بعد تسوية أختلافهم للدفاع عن الجمهورية سنة ١٨٩٩ •

فرنسا فى عهد الجمهوريين الراديكاليين

١٨٩٩ ـ ١٩١٤

وزارة كتلة الدفاع عن الجمهورية : ١٨٩٩ ـ ١٩٠٧

انتهى حكم الجمهوريين المعتدلين سنة ١٨٩٩ على اثر الحوادث الكثيرة التي هزت الجمهورية الفرنسيةوانتهت بحادثة دريفوس• وكان الفرنسيون قد انقسموا الى قسمين من مؤيدين وأعداء لدريفوس • وفى انتخابات ١٨٩٩ فازت الكتلة بالاكثرية وشكلت الوزارة بزعامة ريني والديك ـ روسو • كان روسو من ابرز الوزراء الذين ساعدوا گامبيتا وجول فيرى • وقد اثرى عن طريق المحاماة ، وخلص بعض كبار رجال الدولة من العقاب اثناء محاكمة مشروع بناما • لقد كان خطيبا مفوها نال اعجاب الكثيرين • وكان من النوع

المحافظ الذى لا يخلو عباراته من بعض الجفاء والجمود على الرغم من سلاسته، وكان هذا مبعث احترام كثير من الناس له • ومع انه كان رجلا محافظا الا أن اغلب اعضاء وزارته الائتلافية كانوا من الراديكاليين • وعين المحامي الاشتراكي اللامع اسكندر ميليراند Millerand وزيرا للتجارة • وقد قررت الوزارة اليسارية تطهير الجيش من العناصر الرجعية والملكية وكل من لايؤيد الجمهورية الثالثة ، وابعاد الجيش عن السياسة نهائيا وتقليل مدة التجنيد الاجبارى الى سنتين من ثلاث سنوات •

سياسة الكتلة ضد الكنيسة :

بينا سابقا ان الخلاف بين الكنيسة والحكومة الفرنسية بدأ فى عهد جول فيري لما سن قوانينه بشأن التعليم وابعاد رجال الدين والمؤسسات الدينية عن القيام بالتدريس والاشراف على المدارس • وكان منهج الراديكاليين منذ البداية جعل التعليم علمانيا بعيدا عن الكنيسة والملكية والرجعية • ولما اصبح والديك ـ روسو رئيسا لوزارة الكتلة سنة ١٨٩٩ اتبع سياسة معادية الى الكنيسة اكثر من جول فيرى الامر الذى ادى الى فصل الكنيسة عن الدولة سنة ١٩٠٥ • ويجب أن نذكر هنا بأن العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والحكومة الفرنسية كانت تسير وفق الكونكوردات (او الاتفاقية المعقودة بين نابليون والبابا بيوس السابع سنة ١٨٠١) وأهم ما جاء فى الكونكوردات :

١ ـ ان الحكومة الفرنسية تعترف بالمذهب الكاثوليكى على أنه مذهب اكثرية الفرنسيين •

٢ ـ ان تشرف الدولة على رجال الدين فى فرنسا •

٣ ـ ان تقوم الحكومة الفرنسية بدفع رواتب رجال الدين •

وكانت الاسباب التى شجعت الحكومة الفرنسية للقيام بالتشريعات ضد

الكنيسة الكاثوليكية والتي انتهت بالغاء الكونكوردات هى تواطىء رجال الدين والملكيين والرجعيين لقلب نظام الحكم الجمهورى ، الامر الذى ادى بالجمهوريين المعتدلين والراديكاليين والاشتراكيين فى تكوين كتلة ضدهم • ويجب أن لانسى ان الحكومة الفرنسية كانت تتوخى الاقتصاد في نفقاتها الداخلية وذلك بالتخلص من الاعانات التي تدفع الى رجال الدين ومصادره ما تبقى للكنيسة من املاك فى فرنسا • وقد بدأت وزارة الكتلة بتشريع قانون الجمعيات سنة ١٩٠١ الذى ينص على ان كل جمعية دينية يجب ان تحصل على اجازة حكومية تسمح لها بممارسة اعمالها سواء فى المدارس او المستشفيات أو الجمعيات التبشيرية • ولا يحق لاية جمعية دينية ممارسة أعمالها بدون ذلك • اما الجمعيات التى لا تمنح لها الاجازة المطلوبة تقوم السلطات الحكومية بمصادرة جميع اموالها • وقد رفضت الحكومة كافة الاجازات التى تقدمت بها الجمعيات الدينية الكاثوليكية ولهذا امر بحل (٥٠٠) جمعية دينية ومصادرة كافة املاكها ومنع اعضاءها من ممارسة التدريس والارشاد الديني • وقد وجد (١٠) الاف راهب وراهبة انفسهم فجأة بدون مأوى • وقد اجريت الانتخابات قبل ذلك مباشرة واسفرت عن فوز حكومة الكتلة بأكثرية ساحقة فى الجمعية الوطنية • الا ان والديك ـ روسو استقال عن منصبه بسبب رداءة صحته وأصبح زميله اميل ـ كومب المتطرف رئيسا للوزراء • وكان هذا مسؤولا عن عدم منح الاجازة الى رجال الدين الامر الذى ادى بعشرات الالوف من هؤلاء المشردين ان يتركوا فرنسا الى اسبانيا وانكلترا وبلجيكا والولايات المتحدة وبذلك حرم أميل كومب المدارس من كثير من رجال الدين الكفوئين • وحدث ان توفى البابا ليو الثالث عشر سنة ١٩٠٣ وحل محله البابا بيوس العاشر ، وكان هذا ضيق التفكير لم يختلف كثيرا عن بيوس التاسع فحرض رجال الدين ضد الحكومة الامر الذى عقد الامور اكثر من السابق وفى ١٩٠٤ شرعت الحكومة قانونا منعت فيه الجمعيات الدينية المجازة من قبول اعضاء

جدد • هذا وقد امرت تلك الجمعيات بان تنقطع عن كافة فعالياتها فى داخل فرنسا خلال العشر سنوات القادمة ، غير انه يجوز لها ذلك فى الامبراطورية الفرنسية وكانت الخطوة الاخيرة ضد الكنيسة هى الغاء الكونكوردات • وكان السبب المباشر لهذه الخطوة ، ان رئيس الجمهورية اميل لوبيت قام بزيارة لايطاليا واحتّج البابا على ذلك لاعتباره ملك ايطاليا مغتصباً لحقوق الكنيسة ولهذا فقد اعتبر الاشتراكيون والمتطرفون الفرنسيون هذه البادرة من البابا تدخلا في شؤون فرنسا الداخلية وطالبوا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الفاتيكان • وقد أُلّفت لجنةبرلمانية سنة١٩٠٤برئاسةارستيد بريانالذىدخل الوزارة حديثا وقدم هذا لائحة فصل الكنيسة عن الدولة الى البرلمان وبعد مناقشة عنيفة وافق المجلس باغلبية ضئيلة على لائحة الفصل سنة ١٩٠٥ وبموجبها الغيت اتفاقية الكونكوردات • ونصت اللائحة على ان الدولة تمتنع عن دفع رواتب رجال الدين (٢) يمكن للجمعيات الدينية التى يشرف عليها العلمانيون تقديم طلب للحكومة لاقامة شعائر دينية كلما دعت الحاجة الى ذلك • (٣) تتنازل الحكومة الفرنسية عن الاشراف على تعيين رجال الدين الكبار فى فرنسا • وقد انكر البابا هذا التصرف من الحكومةالفرنسيةوأعترض على قانون فصل الكنيسة بانه : (١) ان الغاء الكونكوردات كان من طرفواحد الامر الذى يخالف العرف الدولى ، (٢) يمثل القانون مخالفة صريحة للقانون الكنسي باعطاء العلمانيين حق التصرف فى المؤسسات الدينية ، (٣) ان قطع الاعانات عن رجال الدين انتهاك صريح لحقوق الكنيسة لان الحكومة الفرنسية كانت تدفع تلك الاعانات نتيجة لمصادرتها اراضي الكنيسة فى فرنسا • ونتيجة لهذه الاعتراضات عدلت الحكومة الفرنسية هذه القوانين سنة ١٩٠٧ واصبح فيها للكاثوليك حرية فى اقامة شعائرهم الدينية في الكنائس دون الالتجاء الى وساطة الهيئات الدنيوية وعلى أى حال كان قانون فصل الكنيسة عن الدولة

قد كلف أميل كومب منصبه السياسي فاجبر على الاستقالة فى الحال عن رئاسة الوزارة .

الاشتراكية الماركسية فى فرنسا : لم تتقدم الاشتراكية الماركسية فى فرنسا بسبب بطىء التقدم الصناعى وبقاء فرنسا مجتمعا زراعيا ، وكان لثورة كوميونة باريس ومقتل عدد كبير من الاشتراكيين ونفي زعماءهم الى الخارج أهمية كبرى فى تأخر انتشار الماركسية. وما ان رجع هؤلاء الزعماء من منفاهم بعد ١٨٨٠ حتى بدأت الحركة الاشتراكية تنتشط من جديد واخذت تنتشر بين العمال في المناطق الصناعية فساد التذمر بينهم بخصوص احوالهم الاقتصادية ووضعوا اللوم على رجال السياسة والحكومة واتهموهم بالتهاون فى القيام بالاجراءات اللازمة لتحسين احوالهم . وبدأ زعماء الحركة الاشتراكية بتنظيم صفوف العمال . وكان من اشهر هؤلاء الزعماء هو جول كيسست Jules Guesed الذى كان صحفيا من باريس واشترك في ثورة الكوميون ونفى الى الخارج فرجع سنة ١٨٧٦ وأسس حزب العمال وطبق منهجا ماركسيا سنة ١٨٨٠ . وقد ظهرت احزاب اشتراكية اخرى بعد ذلك لكن كيست لم يستطع توحيدها مع حزبه الا بعد ١٨٩٠ . وفى هذا الوقت بالذات اعتنق بعض المفكرين المذهب الماركسى اشهرهم هو جان جورى Jean Jaures استاذ الفلسفة فى جامعة طولوز ، والمحاميان اليكسندر ميليران وارستيد بريان وبذلك اصبح الحزب الاشتراكى فى مركز قوى وفى انتخابات ١٨٩٣ فازت الاحزاب الاشتراكية بـ (٥٠) مقعدا فى الجمعية الوطنية وأخيراً أستطاع الاشتراكيون من القيام بتسوية خلافاتهم لتأسيس حزب اشتراكى موحد سنة ١٩٠٥ بزعامة جان جورى وازداد عدد نوابهم الى ٥٤ فى ١٩٠٦، و ٧٦ نائب فى ١٩١٠ ، و١٠١ نائبا فى ١٩١٤ . وفى نفس الوقت ظهرت حركة جديدة عرفت بالحركة السندكالية التي اتبعت جورج سوريل مؤلف كتاب تأملات عن العنف الذى طبع سنة ١٨٩٧ . وكانت الحركة السندكالية

اعنف الحركات الاشتراكية باستثناء الفوضوية • وقد أكدت على الاضرابات لشل أقتصاديات البلاد حتى تكسب مطاليبها • فكانت تريد مصادرة أموال الرأسماليين وتنظيم المجتمع على أساس السندكالية ، وتأسيس دكتاتورية العمال حالا من قبل الاتحادات العمالية • وقامت الاضرابات في فرنسا بعد ١٩٠٦ وأستمرت فى السنوات التالية فى الموانىء والمصانع ومصلحة الكهرباء والبريد وحدث أضراب عام سنة ١٩٠٩ • وفى أغلب الاحوال اضطرت الحكومة الى أستخدام الجيش للقضاء على الاضراب •

وفى انتخابات ١٩٠٦ فازت الكتلة مرة أخرى بالاكثرية ولكن رفضت قبول اميل كومب كرئيس للوزارة فجاء كليمنصو وعبثا حاول ان يوحد اجزاء الكتلة بالتأكيد على النعرة الدينية والقيام بتشريعات ضد الكنيسة لان المعتدلين سئموا من هذه التشريعات ووجدوا بطلان ادعاء الراديكاليين بوجود اعداء للجمهورية من بين الكاثوليك ، وكانوا فى هذا الوقت يخشون الاشتراكيين واليساريين الذين كانوا فى تزايد مستمر • وأضطر كليمنصو ان يوجه حملاته العنيفة ضد الاشتراكيين والسندكاليين ومسببي الاضرابات الكثيرة • وكان يؤيده فى ذلك الجمهوريون المعتدلون والمحافظون وأغلبية الحزب الراديكالى ، ويهاجمه جان جورى والاشتراكيين • على ان كليمنصو لم يكف عن تشريعاته ضد الكنيسة الكاثوليكية ،معتقدا بأن الهجوم على الكنيسة هو العامل الوحيد لتوحيد وزارة كتلة الدفاع عن الجمهورية ، ولهذا لما أراد فرض ضريبة الدخل التصاعدية سنة ١٩٠٩ اتحد جميع القوى اليمينية ضده واجبروه على الاستقالة • وأصبح ارستيد بريان من بعده رئيسا للوزارة •

وقام بريان ببعض التشريعات عن الضمان الاجتماعى منها دفع التقاعد للعمال عند بلوغهم سن الشيخوخة • ولما كانت الاضرابات على نطاق واسع أستخدم بريان الجيش للقضاء عليها فجعل نفسه بطل المحافظين والراديكاليين

بينما كان بطل الاشتراكيين فى اوائل القرن • وقد طرد هو وصاحبه اسكندر ميليران من الحزب الاشتراكي بحجة انهما أتخذا الحزب سلماً للحصول على مناصب وزارية • وفى ١٩١١ سقطت وزارته وبذلك انتهي دور وزارة الكتلة نهائيا • وشاهدت الفترة من ١٩١١ الى ١٩١٤ سقوط عدة وزارات مختلفة قسم منها برئاسة بارثو Barthu وقسم برئاسة بوانكارى وكان الاخير قد انتخب رئيسا للجمهورية سنة ١٩١٣ •

التقدم الصناعى والاقتصادى فى فرنسا فى عهد الجمهورية الثالثة

قامت الحكومات المختلفة فى فرنسا بتقوية الناحية الاقتصادية بين ١٨٧١–١٩١٤ فقد شجع الجمهوريون التجارة والصناعة والزراعة • وقاموا بمد السكك الحديدية واصلاح وتوسيع الموانى الفرنسية وتجميل باريس ، وربط الانهر بعضها ببعض بواسطة القنواة • كما أقيمت المعارض الدولية بين حين واخر اشهرها معرض ١٨٨٩ ، و١٩٠٠ •

وقد أسست وزارة الزراعة عام ١٨٨١ ، ولمساعدة الزراع استبدلت الضرائب المباشرة على المحاصيل بالضرائب غير المباشرة • وقدمت المنح المالية لزراع كروم العنب ومربى دودة القز والذين يقومون بصناعة الحرير والكتان • وشجعت الحكومة الجمعيات التعاونية الفلاحية لتقوم بالبيع والشراء بالجملة • وقد أسست البنوك لتقديم القروض للزراع ، كما أسست مؤسسات الضمان الاجتماعى عام ١٨٩٤ تحت رعاية الحكومة • وفتحت المدارس الزراعية وفرضت الحكومة ضريبة على المحاصيل المستوردة لحماية الزراع الفرنسيين • فارتفعت قيمة المحاصيل الزراعية الفرنسية من ست مليارات فرنك فى ١٨٦٠ الى أكثر من ١١ مليار فرنك فى ١٩١٣ • أما فى الحقل الصناعى فخطت الجمهورية الثالثة خطوات واسعة فى تصنيع وزيادة عدد المكائن

والمصانع • وكانت الزيادة من ٨٧٠ الف قوة حصانية للمكائن الى (٨٫٦٠٠) مليار قوة حصانية • وكان أنتاج الفحم (٤١) مليون طـــن فى ١٩١٣ ثلاثـة أضعاف انتاجها فى منتصف القرن التاسع عشر • ويرجع سبب قلة انتـــاج الفحم الى قلة مناجم الفحم في فرنسا • وفرضت الحكومة التعريفة الكمركية على البضائع المستوردة لحماية الصناعات الوطنية وازدادت الثروة القومية من ٢٠٠ مليار فرنك في ١٨٧٢ الى ٣٠٠ مليار فى ١٩١٣ •

وقامت الحكومة الفرنسية بتشريع القوانين العمالية منها قانون ١٨٩٢ لتنظيم اشتغال النساء ومنع اشتغال الاطفال دون سن ١٣ • وحددت ساعـات العمل اليومى بـ ١٠ ساعات • ومنعت السخرة •

الاحزاب السياسية قبل الحرب العالمية الاولى :

لم تكن لفرنسا احزاب سياسية منظمة بالمعنى المتعارف فى انكلترا وامريكا وغيرهما ولهذا فيشار لها بالفئات السياسية أحياناً • ونظرا لتعـــدد هـــذه الفئات فأن الوزارات الفرنسية لا تستمر فى الحكم الا فترات قصيرة لانها تمثل جبهات متعددة (أى أن الوزارات ائتلافية) ويلاحظ عدم أستقرار الوزارة فى فرنسا بحيث ان ٥٠ وزارة تناوبت فى الحكم بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ مقابـــل ٩ وزارات لانكلترا فى هذه الفترة • وأهم الفئات السياسية او الحزبيـــة فى الجمعية الوطنية قبل ١٩١٤ هى :

١ ـ الملكيون : وهم أقصى اليمين فى الجمعية وقل عددهم بصورة تدريجية بعد ١٨٧٥ بحيث ان عددهم فى ١٩١٤ كان ٢٦ نائبا • ومن مبادءهـــم تأييد رجال الدين والجيش •

٢ ـ الاحرار : وهم محسوبون على اليمين ايضا وكان لهم حوالى ٣٤ مقعـد في المجلس النيابى • وكانوا يدعون الى انهاء المشكلة مـــع الكنيسـة والقيام بتشريعات أجتماعية •

٣ ـ الجمهوريون : وهم يشكلون الفئات الرئيسية التي تناوبت فى الحكم من ١٨٧٠ الى ١٩١٤ مكونين الكتلة الرئيسية فى البرلمان للدفاع عن الجمهورية • وأهم الفئات فى الكتلة الجمهورية عبارة عن الجمهوريين المعتدلين والجمهوريين الراديكاليين ، والراديكاليين الاشتراكيين •

وقد أتحدت هذه الفئات فى مقاومة الرجعية والملكية ورجال الدين • وقد أختلفت هذه الفئات بعد ١٩١٠ حول اللوائح القانونية المتعددة منها لائحة الخدمة العسكرية الإجبارية فلم توافق على جعل الخدمة ٥ سنوات ، كما لم توافق على لائحة الاصلاح البرلمانى وبذلك أنقسمت الى جمهوريين اتحاديين يساريين ، وجمهوريين يمينيين متطرفين •

الاستعمار الفرنسي :

ورثت الجمهورية الثالثة حوالى ٣٧٥ الف ميل مربع من المستعمرات من الحكومات الفرنسية السابقة بما فيها الجزائر والهند الصينية ، وأماكن متفرقة أخرى فى المحيط الهادى وأفريقيا • وأستولت فى ١٨٨١ على تونس، وفى ١٨٩٦ ضمت مدغشقر والصومال وساحل العاج فى ١٨٨٨ وأستولت على مراكش فى ١٩١١ • فكانت مساحة المستعمرات الفرنسية فى ١٩١٣ حوالى ٣١/٤ مليون ميل مربع يسكنها ثلاثين مليون نسمة • فكانت فرنسا بذلك ثاني دولة أستعمارية بعد بريطانيا • وأغلب المستعمرات الفرنسية لم تكن صالحة لسكنى الاوربيين باستثناء سواحل افريقيا الشمالية •

وكانت فرنسا تربح كثيرا من هذه المستعمرات وأزدادت قيمة التجارة الفرنسية مع مستعمراتها من ٣٥٠ مليون فرنك في ١٨٧٩ الى مليارين فى ١٩١٣ •

سياسة فرنسا الخارجية :

لا نجد حاجة الى ذكر تفاصيل السياسة الخارجية لان ذلك مذكور فى

الفصل الاول من هذه المحاضرة • ويجدر بنا هنا ان نذكر بعض الشيء عن العلاقات الالمانية الفرنسية قبل الحرب العالمية الاولى • فقد انقسمت فرنسا الى قسمين لهذا الخصوص : قسم أراد التفاهم مع المانيا لضمان السلام فى أوربا وتخفيف العبىء المالى الذى سببته الاستعدادات العسكرية • وقسم أرأد الاستعداد لمواجهة المانيا عسكريا • ولما حدثت أزمة مراكش سنة ١٩١١ كان كالو Callaux رئيسا للوزراء وزعيم الجبهة الاولى فوافق على أعطاء (١٠٠) الف ميل مربع من الاراضى الى المانيا لتضيفها الى كاميرون مقابل اعتراف المانيا بمحمية مراكش لفرنسا • فلم تلق هذه المبادلة رضى الجمعية الوطنية فسقطت وزارته وجاء بوانكارى الى الحكم وتزعم جبهة المناوئين لالمانيا وأصبح رئيسا للجمهورية فى ١٩١٣ وهيأ فرنسا للحرب فى السنة التالية •

الفصل الخامس

ايطاليـــا

١٨٧٠ ـ ١٩١٤

المقدمـــة

كانت ايطاليا قبل ١٨٦١ ينطبق عليها قول مترنيخ بأنها تعبير جغرافى • اذ أن شبه الجزيرة الايطالية كانت مجزأة سياسياً وتسيطر النمسا على أكثر أجزائها • ويرجع الفضل فى وحدة ايطاليا بالدرجة الاولى الى ثلاثة أشخاص هم مازينى الذى أستطاع بجمعيته ايطاليا الفتـــاة ان يبعث الهمم في نفوس الشباب ويدفعهم الى تحرير البلاد من الاجانب وتوحيدها ؛ وغاريبالدى الذى دفعه حماسه القومى الى تكوين فرقةمن المتطوعين المعروفين «بذوى القمصان الحمر»فأغاروا على نابولى وصقلية وحالفه التوفيق فى ضم المملكة الى ساردنيا • أما كافور فقد تمكن بمهارته السياسية فى الحقلـــين الداخلى والخارجى أن يوحد البلاد • فبدبلوماسيته تمكن من ان يجعل من مملكة بيدمونت بطـــلة الوحدة الايطالية ضد النمسا فأشرك البلاد فى حرب القرم وأقنـــع نابليون الثالث بتقديم المساعدة الفعالة في الحرب النمساوية الايطالية فى سنة ١٨٥٩ وهكذا فى سنة ١٨٦١ قد احتفل رسمياً باعلان الوحدة الايطالية وأصبح الملك فكتور عمانوئيل الثانى أول ملك لهذه المملكة الجديدة • غير ان ايطاليا لـــم تستكمل الوحدة تماماً ، فهناك اجزاء أخرى لم تزل ترسخ تحت اغـــلال الاستعمار النمساوى وتعانى الشدائد من الحكم البابوى ومثـــال الاولى هى ثنسيا (البندقية) والثانية الولاية البابوية المتمركزة فى روما وضواحيها • وقد انفصلت الاولى عن النمسا سنة ١٨٦٦ على أثر الحرب البروسية النمساويـــة والتى كانت فيها ايطاليا حليفة بروسيا ، أما الثانية فقد اصبحت عاصمة ايطاليا

سنة ١٨٧٠ على أثر الحرب الفرنسية ـ الالمانية بعد ان سحبت الحامية الفرنسية من روما .

١ ـ الاوضاع العامة:

لقد أصبحت ايطاليا سنة ١٨٧٠ وحدة سياسية ملكية مستقلة لاول مرة في تأريخها منذ عهد ثيودوريك ملك القوط الشرقيين فى القرن السادس الميلادى . وقد جابهت هذه الدولة الجديدة مشاكل عديدة أثرت فى سيرها التأريخى تأثيراً عميقاً . فهنالك المشكلة الاقتصادية التى كانت من أعوص المشاكل التى جابهتها الحكومة الايطالية . فطبيعة البلاد تفتقر الى غزارة الموارد الطبيعية ، بعكس ما هو عليه الحال فى انكلترا وفرنسا والمانيا ، فكان عليها أن تستورد الحديد والفحم أن أرادت هى نفسها التصنيع على نطاق واسع . هذا بالاضافة الى أفتقارها للأراضى الصالحة للزراعة . فأكثرية الاراضى أما جبلية جرداء أو أهوار ومستنقعات ، والاقسام الزراعية كائنة في القسم الجنوبى من شبه الجزيرة ، الا أن حالة الفلاح الجاهل هناك وسوء توزيع الاراضى مما جعلت الانتاج لايتناسب وما عليه من طلب نتيجة تزايد السكان المستمر ، وبقيت الاقسام الجنوبية حتى وقتنا الحاضر تعانى من سوء أدارة المقاطعات الزراعية الكبيرة هناك والتى تعرف بـ لاتيفونديا Latifondia

أما المشكلة الثانية فهى ناتجة عن التقلبات التأريخية التى تعرضت لها ايطاليا ، فكانت فوارق عميقة بين السكان مما يميز الاقسام الشمالية من الاقسام الجنوبية ، هذا بالاضافة الى أفتقار البلاد الى المواصلات ألتى تعمل على دمج السكان وتقليل الفوارق بينهم . فالاقسام الشمالية مثلاً تعتمد على الصناعة والسكان هناك أكثر تحضراً وأن نسبة الأمية قليلة بينهم نسبياً . أما الاقسام الجنوبية فتعتمد على الزراعة البدائية والسكان أقل ثقافة . ومن المشاكل

الأخرى لهذه الدولة هى عدم تمكنها ردحاً من الزمن من المحافظة على الأمن ، فكانت عصابات قطاع الطرق تمارس السلب والنهب بحرية تامة كما يتوضح ذلك من الاعمال التي كانت تقوم بها عصابة (الكامورا) فى نابولى وعصابة (المافيا) فى صقلية • أما الحكم فكان دستورياً •

٢ ـ الدستور :

ودستور البلاد هو ذلك الدستور الذى منحه شارل البرت ملك ساردنيا أوبيدمونت سنة ١٨٤٨ فقد اصبح اساساً لحكم المملكة الايطالية الجديدة • وكان المفروض فى هذا الدستور الذى منحه شارل البرت ان يكون على غرار الدستور الانكليزى حيث ان الملك فيه يملك ولا يحكم • لكن الواقع كان يمارس صلاحيات واسعة من الناحية النظرية • أذ أن المادة ٦٥ خولته حق تعين الوزراء وأقالتهم • كما أن المادة الخامسة منحت السلطة التنفيذية الى الملك وحده • فهو رئيس الدولة والقائد العام للقوات المسلحة البحرية والبرية • وله حق أعلان الحرب وعقد المحالفات والصلح وأبرام المعاهدات التجارية على أن يخبر المجلس (البرلمان) ضمن الحدود التى تسمح بها سلامة وأمن الدولة • ولا يمكن البت فى القضايا المالية والقضايا التى تخص تبادل الاراضى وتغير حدود البلاد الا بموافقة البرلمان • وكانت السياسة الخارجية ضمن صلاحيات الملك ولهذا كان وزير الخارجية من أتباع الملك ويمارس سياسة مستقلة ومناقضة احيانا لسياسة رئيس الوزراء ؛ كما أن الملك كان يصدر المراسيم التي لها حكم القانون الامر الذى ساعد على ظهور دكتاتورية موسوليني •

ولقد كانت السلطة العليا بيد البرلمان عملياً والذى كان مؤلفا من مجلس الشيوخ الذى كان الملك يعين جميع أعضاءه • أما النواب فكان يجرى انتخابهم من قبل حوالى ٢ر٥٪ من مجموع السكان • وقد أستطاع المجلس النيابى أن يأخذ بيده السلطة لان الميزانية كانت تقدم الى هذا المجلس أولاً الأمر

الذى أدى الى تفوقه على مجلس الشيوخ • كما أنه أستطاع أن يسيطر على الوزارة عن طريق الاستجواب وسحب الثقة فأصبحت المسؤولية الوزارية أمامه • ومع أن الدستور لم يذكر منصب رئاسة الوزراء ، لكن كافور جعل هذا المنصب خطيراً وخاصة بعد أن أحتفظ بمنصب وزارة المالية والدفاع •

وكانت الوزارة مسؤولة عمليا أمام البرلمان ، وللوزراء أن يخاطبوا المجلسين ، لكن أعتاد كل وزير أن يخاطب المجلس الذى ينتمى اليه • وقد منح الدستور حرية التعبير وحق التجمع للمواطنين وحرية الصحافة ، وقد نصت مقدمة الدستور على عدم أمكانية تعديله ، لكن الحكومات المتعاقبة عبرت الدستور روحاً وتفصيلاً باتجاه دمقراطى حر فى أول الامر ، وباتجاه دكتاتورى فاشستى بعد الحرب العالمية الاولى •

ومهما كان نوع الدستور فان نظام الحكم لم يكن دمقراطيا تماما وخاصة فى بداية تكوين الدولة الايطالية ، لان الحكم كان بيد فئة ضئيلة من الطبقة الارستقراطية وأغنياء الطبقة الوسطى • أما الاكثرية الساحقة من الفلاحين وعمال المدن فحرموا من حق التصويت •

أما الاحوال الحزبية فى ايطاليا فكانت أشبه بمثيلتها في فرنسا اذ أن الفئات السياسية كانت مقسمة الى حزب اليمين وحزب اليسار • وكان الاول أكثر أرستقراطية وأقل حماساً ضد الكنيسة • وكان زعمائهم على الأكثر جاؤا من المنطقة الصناعية فى شمال ايطاليا وهم على الأكثر من الطبقة الصناعية العليا • بينما أغلب اليساريين كانوا من الطبقة البورجوازية من أصحاب الحرف والمثقفين • ونظراً لوجود الفوارق الكثيرة بين الشمال والجنوب فى أيطاليا وبين الطبقات الاجتماعية المختلفة ، كان من واجب الساسة فى أيطاليا العمل على صهر الايطاليين فى بودقة واحدة والتخفيف من تلك الفوارق بينهم ورفع مستواهم كما بين ذلك المركيز دازكليو الذى أصبح رئيساً للوزارة بعد كافور مباشرة حيث قال أننا كوّنا أيطاليا غير انه يجب

علينا أن نعمل على تكوين الأيطاليين • وهذا يفسر لنا الأسباب التى حدت بالساسة الايطاليين أن يجعلوا الحكم مركزياً بدلاً من أن يكون أتحادياً كما هو الحال في المانيا •

٣ ـ المشكلة الرومانية:

ومن أولى المشاكل السياسية التى حاولت ايطاليا التغلب عليها هى أعادة العلاقات بين الحكومة الايطالية والبابوية الى مجراها الطبيعى • فبالرغم من أن العمل الذى قامت به الحكومة الايطالية بجعلها روما العاصمة كان عملاً شعبياً الا أن البابا أعتبر ذلك انتهاكاً الى حقوقه الدنيويه ، ولهذا فقد أرتأت الحكومة معالجة الوضع بتشريع قانون ينظم العلاقات مع البابوية • ويشار الى هذا القانون بقانون الضمانات ، أو التعهدأت البابوية ، سنة ١٨٧١ • وأهم ما جاء فى ذلك التعهد :

١ ـ تتعهد الحكومة الايطالية بأبقاء ممتلكات كنيسة القديس بطرس تحت تصرف البابا وهى مكونة من الفاتيكان وحدائقه وقلعة بانثولفو وقصر اللاتيران •

٢ ـ تعترف الحكومة الايطالية بسيادة البابا المطلقة ضمن حدود هذه الممتلكات ، وتعترف بحقه فى أرسال السفراء الى الخارج وأستقبالهم •

٣ ـ يسمح للبابا ورجال حكومته بأستعمال وسائل المواصلات مجاناً •

٤ ـ تخصص الحكومة الايطالية مساعدة سنوية للبابا تقدر بحوالى ¼ مليون دينار • غير أن البابا بيوس التاسع رفض تلك التسوية وأعلن نفسه والبابوات الذين جاءوا من بعده أسرى الفاتيكان • ولم يبرح الباباوات أماكنهم حتى سنة ١٩٢٩ حيث توصل موسوليني الى عقد كونكوردات مع البابا •

هذا وقد بذل البابوات جهدهم فى القرن التاسع عشر لمحاكمة الحكومة

الأيطالية وخاصة عندما حاولوا عبثاً أن يستنجدوا بالدول الكاثوليكية للتدخل وحمل الحكومة على أعادة حقوق البابا المسلوبة • ومن أهم المراسيم البابوية التى صدرت ضد الحكومة الايطالية هى مرسوم المقاطعة لسنة ١٨٧٤ حرض فيها البابا بيوس التاسع الكاثوليك فى ايطاليا على عدم الاشتراك فى الانتخابات البرلمانية ، وأن لا يقبلوا أية وظيفة فى الجهاز الحكومي أما المرسوم الثانى فقد أصدر سنة ١٨٨٦ والذى أكد فيه البابا على ضرورة عدم الاشتراك فى أية فعالية سياسية من شأنها ان تسند الوضع السياسى القائم • غير أن هذه المراسيم أثارت اشمئزاز كثير من الكاثوليك الوطنيين ولم يكترثوا لها فى الواقع • ومع ذلك فأن الحكومة الايطالية قد قررت أن تكون الكاثوليكية المذهب الرسمى وأستمرت بدفع رواتب رجال الدين والاشراف على تعييناتهم • كذلك أعترفت بوجهة نظر الكنيسة فى موقفها من الطلاق • وقد عمدت الحكومة على ذلك تقرباً للأقلية المتدينة من شعبها • غير انها من ناحية أخرى قامت باصلاحات أجتماعية كان من شأنها ان تعقّدَ العلاقات مع البابوية ، منها مصادرة ماتبقى من أملاك الكنيسة خارج قانون التعهدات السالفة الذكر ، وتعطيل دراسة اللاهوت في الجامعات الايطالية ، وأخضاع المدارس الدينية لمراقبة ألحكومة والتشديد فى تطبيق قانون الزواج المدنى • وقد أشير الى المشكلة البابوية مع الحكومة الايطالية با « المشكلة الرومانية » •

١ ـ اليمينيون فى الحكم ١٨٦١ ـ ١٨٧٦

كان اليمينيون فى الحكم منذ أن توحدت أيطاليا فى ١٨٦١ • وكان هؤلاء يدينون بمبادئهم الى كافور • وبعد موت الاخير لم يظهر فى أيطاليا رجل سياسى يستطيع أن يواجه المشاكل المتعددة التى كانت تواجه ايطاليا ، وبدأ الحزب يتدهور تدريجيا • ومع ذلك فقد أستطاع هذا الحزب ان ينظم الفوضى والارتباك في مالية البلاد ، ووضع أساساً للتنظيم العسكرى وتأسيس البحرية الايطالية • ومن أشهر زعمائهم مانغيتى Munghetti وراتازى Rattazi ولانزا Lanza • وقد ظل اليمينيون فى الحكم الى سنة

١٨٧٦ ، وكانت الضرائب الثقيلة التى فرضوها على الطبقات المختلفة بغيـــة أصلاح النظام المالى عبئاً ثقيلاً على الفقراء وخاصة ضريبة الطحين التى سببت سقوطهـــم .

٢ ـ حزب اليسار فى الحكم ١٨٧٦ ـ ١٨٩٦

وكان هذا الحزب ملكياً أيضاً لكن منهاجه كان تقدمياً نسبيا ومن أهم زعمائه اوگستينو ديبريتس ١٨١٣–١٨٨٧ . لقد كان هـــذا تلميذاً لمازينى لكنه تصالح مع النظام الملكي ونبذ الجمهورية . وكان قد عين حاكماً عـــلى صقلية مدة من الزمن فحكمها حكماً دكتاتورياً . ولما عـــين رئيسا للوزارة أشغل فى نفس الوقت منصب وزير المالية . لقد أتبع ديبريتس أساليب ملتوية فى الانتخابات وقام بأعمال أهمها :

١ ـ توسيع الحقوق الانتخابية بقانون ١٨٨٢ .

٢ ـ قانون التعليم الالزامى سنة ١٨٧٧ ، لكن هذا القانون لم ينفذ فبقى حبراً على الورق .

٣ ـ أصبحت مراكز رؤساء البلديات فى المدن الكبيرة انتخابية .

٤ ـ الاصلاح الزراعى وذلك على أثر التقرير الرسمى العام المقدم ســـنة ١٨٧٧ والذى كشف رداءة أحوال الفلاحين هناك وانحطاط مستوى معيشتهم ، لذلك أمرت الحكومة بادخال مناهج زراعية في التعليـــم الثانوى ، وقامت بتجفيف المستنقعات للأستفادة منها فى الاراضى الزراعية . وخصصت مبالغ كبيرة لمكافحة الملاريا . وقد تقدمت الصناعة كثيرا فى حكم هذا الحزب فاصبحت معامل الحديد تسد حاجة البلاد الاساسية من السكك الحديدية ، وأصبحت صناعة الحـرير فى ميـــلان تنافس صناعته فى فرنسا فى ليون . وقد شجعت الحكومة المتمولـين عـــلى أستخدام مساقط المياه لتوليد القوة الكهربائية وبذلك استعاضوا عـــن

كميات كبيرة من الفحم المستورد • وقد أصبحت ايطاليا سنة ١٩٠٥ من أكبر الدول فى العالم المنتجة لهذا النوع من القوة الكهربائية وألذى يشار له بالفحم الأبيض ، كما أن الحكومة طبقت التعريفة الكمركية لحماية البضاعة الايطالية •

لم يكن حزب اليسار كفواً للمهمة التي القيت على عاتقه • ومع ان قسماً من وزرائهم جرّبوا حظهم فى الادارة وبيّنوا شيئاً من الكفاءة فى هذا المضمار سابقاً ، الاّ أنه لم يكن بينهم من يعادل وزراء حزب اليمين • فلم يظهر بين اعضاء حزب اليسار وزيراً للمالية يعادل سيلا Sella ، ولا وزيرا للخارجية يعادل فينوستا Venosta فى حزب اليمين • كان حزب اليمين مع كل اخطاءه حزباً سياساً مجرباً كفوءاً • بينما كان حزب اليسار عبارة عن فئات ذات مصالح متضاربة اتحدت لتكوين معارضة قوية لما كان حزب اليمين فى الحكم لازاحتهم وتنصيب انفسهم • ولقد كان شيئاً ان يتحد اليسار فى المعارضة لاجل الوصول الى الحكم ، وشيئاً آخر أن يعمل الاعضاء بأنسجام لتطبيق منهج اصلاحى عظيم بعد المجيء الى الحكم ، وخاصة لما لم يكن هناك من يضحي بمصالحه فى سبيل المنفعة العامة •

لقد ظل ديبريتس رئيساً للوزراء لمدة عشرة سنوات بأستثناء فترتين قصيرتين • ذلك الرجل الذى أدرك فيه كافور قبل ثلاثين سنة أن وراء ذلك المظهر من الصرامة والعزيمة ، ارادة ضعيفة وعقلية ضيقة • لقد كان ديبريتس بارد الطبع متهكماً تدرج فى المناصب بأستخدام الاساليب الملتوية وكان ماهراً فى أستغلال ذلك فى البرلمان وفى الانتخابات • ولما كان نافذ البصيرة يعرف مواطن الضعف فى الانسان أخذ يلعب بعواطفهم الدنيئة لصالحه فتدهورت السياسة الايطالية على يده بشكل بلغ الفساد أقصاه فى زمانه • وقد استطاع ان يجذب حوله زعماء الفئات السياسية وأصحاب المصالح فى البرلمان ممن ينمتعون بأصوات كثيرة بأسم تكوين جبهة معتدلة ضد اليسار وانتخب وزراءه

منهم • وهذه الطريقة بلا جدال مناف لكل سياسة مستقيمة ومخرب للأجهزة السياسية السليمة والبروز الحزبى السليم •

وفى عام ١٨٨٧ توفى ديبريتس وحل محله فى رئاسة الوزارة فرنسيسكو كريسبى Crispi • لقد كان هذا ثورياً من فرقة القمصان الحمر ، أستطاع بقوة شخصيته ان يحصل على تأييد الناس • وقد تمكن من أن يبين هيبة السلطة وقوتها ويعمل بسرعة لاجل النظام والاستقرار • وقد شعر الناس كبيراً وصغيراً بقوة رئيس الوزراء فى الادارة والسياسة ، لكن كريسبى كان مغترا صعب المنال ولا يصبر على نقد ، تعوزه البصيرة النفاذة والحصافة الضرورية لأرضاء الناس فكثرت المعارضة ولم يستطع القضاء عليها • ولما كانت تربيته السياسية فى وسط المؤامرات ، كان يرى التآمر والخطر فى كل مكان الأمر الذى أقلق مضجعه وسبب فقدان ثباته • ففى الوقت الذى يهدد بالاستيلاء على الفاتيكان ، كما فعل ذلك مراراً ، كان يحاول التفاوض مع البابا وقد أراد حيناً ان يخلّص العمال من عبودية الرأسمال ، بينما فى حين آخر أخذ يلاحق الثوريين والاشتراكيين ويطاردهم فى كل مكان ويطلب من كل فئة تريد السلام الاتحاد ضد قوى الشغب والتخريب • وعلى الرغم من قدرته على العمل جعلته وظائفه عصبياً سريع الانفجار مما جعله فريسة لنقاده والذين ناصبوه العداوة • ولما أراد أن يقوم ببعض الاصلاحات فى الدوائر الحكومية وقع في الكمين الذى نصبه له أعداءه فى اليمين واليسار فاستقال فى ١٨٩١ • وتألفت وزارة ائتلافية أكدت على الاقتصاد فى النفقات ، غير ان اختلافاتهم الكثيرة وعدم وجود الانسجام بين الأعضاء أدى الى سقوط الوزارة ، ورجع اليسار الى الحكم بزعامة جيوڤانى جيوليتى الذى أضطر بعد مدة وجيزة من الحكم ان يستقيل بسبب الفساد المالى المنتشر فى البلاد والذى تورط فيه عدد من السياسيين ومدير بنك رومانا سنة ١٨٩٣ • ورجع كريسبى مرة أخرى الى رئاسة الوزارة •

لقد حكم كريسبى البلاد بيد من حديد وعاقب المفسدين ، ووجد من تقارير الشرطة أن هناك جماعات يريدون بيع صقلية وساردنيا الى فرنسا فطاردهم وسجنهم ، فكان عهده عهد أرهاب وتشريد • ولما أراد جيوليتي أتهام رئيس الوزراء فى البرلمان بالفساد المالى قابل كريسبى التحدى بجرأة فائقة وأثبت بطلان الاتهام الامر الذى أدى بجيوليتى ان يترك البلاد موقة •

على ان كريسبى لم يبق طويلا في الحكم ، مع موقفه القوى فى داخل البلاد ، اذ أن مغامراته الاستعمارية سببت سقوطه فى آذار ١٨٩٦ لما انهزم الجيش الايطالى أمام قوات الاحباش فى معركة عدوة •

لقد تأزم الوضع بعد سقوط كريسبى ، وفقد الناس ثقتهم بزعمائهم السياسيين ، وتدهورت الاوضاع الاقتصادية ، ونادى الفقراء برفع القيود على الحبوب وأنتشر الفوضى والشغب فى المدن الشمالية ، الامر الذى أدى ألى تدخل الجيش للقضاء على الاضطرابات وأرجاع النظام الى نصابه ، ولم ترجع الامور الى مجرها الطبيعى الا فى نهاية القرن •

لقد أغتيل ملك أيطاليا (همبرت) الذى جاء الى العرش سنة ١٨٧٨ بيد أحد الفوضويين ، وأرتقى أبنه فكتور عمانوئيل الثالث عرش أيطاليا سنة ١٩٠٠ • ولقد فسح هذا المجال لتطبيق سياسة متنوّرة حرة توافق متطلبات العصر • وفى ١٩٠١ تألفت وزارة من حزب اليسار وأصبح (زاندريلى) رئيسا للوزراء يؤيده جيوڤاني جيوليتى • ولاول مرة بدأت الحكومة تؤيد مطاليب العمال • ولقد قام جيوليتى بعرض سياسته فى الدمقراطية والحرية السياسية ، فأيدت الحكومة حرية الرأى ولم تعرقل الاجتماعات العامة • وأصبح للعمال حق التجمع والاضراب على أن لايخلوا بالأمن والنظام • وقد قام زاندريلى ببعض التشريعات العمالية منها قانون تقاعد العمال ١٩٩٨ ، وقانون المعامل الخاص بالنساء والاطفال دون سن ١٣ بتخفيض ساعات عملهم ، وعدم أشتغال النساء شهراً بعد الولادة ، وتأسيس صندوق لغرض دفع نفقات

الولادة ونفقات الاسرة أثناء العطلة • وخولت الحكومة بنوك نابولى وصقلية صلاحية منح القروض الى الزرأع فى الجنـــوب • والغيت الضرائب عـــلى الحبوب وكانت الضرائب فى ايطاليا عالية جداً بالنسبة للدخل الفردى الواطىء فكان من السخف بمكان والحالة هذه أزدياد الضرائب وخاصة على المـــواد الغذائية الضرورية كالطحين والخبز • توفى زاندريلى فى ١٩٠٣ وخلفـــه جيوليتى فى رئاسة الوزارة •

جيوڤانى جيوليتى

تعتبر المدة بين سنة ١٩٠٣–١٩١٤ عصر جيوليتى في أيطاليا ، فقد ترك هذا آثاراً سياسية بالغة فى تأريخ البلاد فى هذه الفترة • لقـــد بدأ حيـــاته السياسية كنائب في البرلمان ثم وزيراً للمالية سنة ١٨٨٩ وتقلد رئاسة الوزارة لأول مرة سنة ١٨٩٢ • وفى ١٩٠١ أصبح وزيراً للمالية وأصبح رئيســـاً للوزراء بعد سنتين مرة أخرى • ومنذ ذلك التأريخ حتى عـــام ١٩١٤ كان الشخصية الاولى المسيطرة على سياسة أيطاليا • ومن أهم ما يتميز به جيوليتى هو أنه كان متعدد الجوانب محنكاً لين العريكة جرب الحياة • وكان يتكلـم بأيجاز وله الخبرة بفنون الاساليب الملتوية فى البرلمان وكيفية استخدامها • وقد حاول تأليف حزب ملكى حر من السياسيين التقدميين بغية فصلهـم عن الثوريين والجمهوريين لكنه لم ينجـــح • ومن عيوبه أنه كان غـــير هياب بالاساليب والمبادىء لبلوغ القمة • ولقد حاول كسب تأييد الطبقات الشـعبية وذلك بانتهاج مناهج اشتراكية الى حدما ، كتحسين أحوال العمال بتقليـــل ساعات العمل وأصلاح الضرائب والتزام جانب الحياد فى الصرأع ألناشـىء بين أصحاب المعامل والعمال • ولقد عمت البلاد موجة من الاضرابات سـنة ١٩٠٤ نتيجة لهذه السياسة مما سبب انتكاس الوضع الاقتصادى فى أيطاليا • وقد أنتشرت فى عهده اتحادات العمال على أختلاف أنواعهـا والتى اندمجت أخيرا فى مؤسسة واحدة عرفت باتحاد العمال العام • وفي عهـــده تحالف

الجمهوريون مع الاشتراكيين فى البرلمان وأصبح هذا الاتحاد مصدر قلق الى العناصر اليمينية وحتى الى جيوليتى نفسه الذى حاول أن يقنع البابا بالغاء المرسوم السابق ، وبذلك حاول جيوليتى أن يكسب تأييد الاشتراكيين وفصلهم عن الجمهوريين وذلك بعرض المناصب الوزارية على زعمائهم ، دون جدوى • وعلى أثر مرض انتاب جيوليتى استقال هذا وشكل فورتى Fortis الوزارة فى ١٩٠٥ وسونينو فى ١٩٠٦ • فقضى الأخير على الاضطرابات الداخلية وأعاد النظام الى نصابه • وقد قدم سونينو منهجاً للأصلاح الاقتصادى والاجتماعى وتطوير جنوب أيطاليا وفتح الطرق وتقديم المساعدات المالية للزراع والاهتمام بالتعليم الابتدائى وغير ذلك من المشاريع لكن قوى اليمين ومؤامرات جيوليتى سببت أسقاط الوزارة • فشكل جيوليتى وزارته الثالثة • وقد طبق جيوليتى منهج سونينو بعد القيام ببعض التغيرات لارضاء اصحاب الأراضى والمحافظين •

الحزب الكاثوليكى والحزب الأشتراكي

شاهدت نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهور قوتين في السياسة الايطالية أحداها الحزب الكاثوليكى الذى ساعد على تنظيم قوى المحافظة والنظام ، والثانية ، وهى الاهم ، ظهور الحركة الاشتراكية ألتى ساعدت على تقوية النظام الدمقراطى وتخليصه من الفوضوية عن طريق التنظيم •

الحزب الكاثوليكي :

الحزب الكاثوليكي : لقد تشكل الحزب الكاثوليكى ، أو حزب الشعب، سنة ١٩٠٤ بعد أن الغى البابا بيوس العاشر المرسوم السابق الذى كان ينص على عدم مشاركة الكاثوليك فى الوظائف الحكومية والانتخابات البرلمانية • وسبب هذا هو استفحال الحركات الاشتراكية ، مما حدى بالبابا أن يحث

الكاثوليك على ضرورة التعاون مع الحكومة لكى يقفوا صفا واحدا تجاه الحركات الاشتراكية الهدامة • هذا مع العلم أن البابا لم يتنازل عن قراره الاول فى عدم الاعتراف رسمياً بالحكومة الايطالية • وقد ساعد هذا الحزب فى تحسين حالة الفلاحين والعمال •

الحزب الأشتراكي :

الحزب الاشتراكي : انتشرت الاشتراكية فى أيطاليا لما أنفصل اناتورى كوستا Anatore Costa عن الأممية الاولى سنة ١٨٧٩ وبدأ ينشر الماركسية ، وقال بأن عهد الحركات الثورية العنيفة التى قام بها الجماهير غير الواعية بقيادة عدد من المفكرين قد انتهى ويجب ان يحل محلها العمل البناء عن طريق الدعاية بين العمال وتثقيفهم وتوعيتهم وحثهم على النزاع الطبقى لاجل التحرر الأقتصادى الذى ينتهي بانتصارهم حتماً وتملكهم الاجماعى لثروة البلاد والقيام بادارتها •

على أن الاشتراكية لم تتقدم فى أيطاليا حتى العقد الاخير من القرن التاسع عشر لما أسس فيليبو توراتى محرر أحدى الصحف الكبرى في ميلانو حزبه الاشتراكى مع انتونيو لابريولا Labriola الذى كان استاذاً فى جامعة روما • وقد تمكن الاثنان من التأثير على الشبان المثقفين فى المناطق الصناعية ، وأعتنق عدداً من المفكرين الاشتراكية الماركسية وأنضموا الى الحزب كالعالم النفسى لامبروزو ، والاقتصادى لوريا ، وقد أنقسم الحزب سنة ١٨٩٣ الى جماعتين أحداهما بقيادة فيرى وهم من الذين أرادوا تطبيق الاشتراكية النشوئية دون اللجوء الى الثورة وأظهروا أستعدأدهم للتعاون مع النظام الملكى البرلمانى والجمهوريين والرأديكاليين • أما القسم الثانى فهم الماركسيون الثوريون الذين تزعمهم توراتى Toratti ، وقد رفضوا أى نوع من التفاهم مع الرأسماليين •

وفى سنة ١٨٩٦ أنقلبت الآية بصورة مفاجئة فأصبح توراتى زعيم المصلحين من الماركسيين بينما فيرى أصبح زعيم الماركسيين الثوريين • وفى أجتماع سنة ١٩٠٠ للمؤتمر الاشتراكي فى روما انضم النقابيين (السندكاليين) أصحاب جورج سوريل الى الماركسيين • وكان النقابيون بقيادة لابريولا أكثر ثورية من الماركسيين وأكدوا على الصفة الثورية للأشتراكية ونيل الانتصار عن طريق العمل المباشر للعمال المنظمين • وفى سنة ١٩٠٣ أستطاع الماركسين الثوريين ان يستولوا على جريدة الحزب المسماة التقدم Avanti واصبح فيرى هو المحرر • وفى مؤتمر الاشتراكيين فى بولونا سنة ١٩٠٤ حدث الصدام المبدئى بين الزعماء فكان فيرى يقوم بدور الوسيط بين توراتى ولابريولا ، وأكد على وحدة الصف فى الكفاح ضد الرأسمالية فأيدته العناصر المعتدلة فى اليمين وفى اليسار وأدى القرار الى تفاهم تام بين الفئات المختلفة من الاشتراكيين • ولما انعقد مؤتمر الاشتراكيين سنة ١٩٠٦ فى روما برئاسة اناتورى كوستا ، نشب الخلاف مرة أخرى وقام فيرى بدور الوسيط بين الفئات المختلفة وأكد على ان الاضراب ولو أنه ضرورى يجب ان لا يتخذ سلماً يستعمل دائماً • وكان الذين يؤيدون الثورة أقل عدداً من الذين يريدون تطبيق الاشتراكية عن طريق البرلمان • وكان فيرى يمثل الاشتراكيين فى البرلمان الايطالى وتزعمهم ببلاغته واصبح محرراً لجريدة التقدم Avanti • وكان مركز قوة الاشتراكيين المناطق الصناعية فى شمال ايطاليا وخاصة فى ميلانو وپارما ووادى نهر البو • وقد ايد الاشتراكيون في البرلمان عدد من رجال السياسة البارزين امثال فيلارى، وسونينو من المحافظين الذين وجدوا ببعد نظرهم ان من الافضل القيام ببعض التشريعات الاشتراكية •

وقد احرز الحزب الاشتراكي تقدماً محسوساً مستفيداً من قانون توسيع الانتخابات فحصلوا على ٤٣ مقعد فى انتخابات ١٩٠٩ ، و٧٨ مقعد في

١٩١٣ بعد توسيع قانون الانتخابات فى تلك السنة ، وبذلك ضعف الحزب الحكومى وسقط جيوليتى .

وكانت ايطاليا قد خطت خطوة واسعة نحو الدمقراطية سنة ١٩١٢ بتوسيع دائرة الانتخابات واعطاء حق التصويت للذكور البالغين سن الرشد فما فوق . وبذلك ازداد عدد الذين يحق لهم التصويت من ٢٤٧٫٧٧٢ الى ٨٫٦٣٥٫١٤٨ نسمة ، وكان أغلبهم أميين ولهذا لم يمارسوا حق الانتخاب الامر الذى حدى بكثير من الناس ان يقول ان الايطاليين ليسوا مستعدين للنظام البرلمانى .

ومن ناحية أخرى قامت الحكومة الايطالية بالتشريعات الاجتماعية التى من شأنها تحسين حالة العمال وضمان مستقبلهم ، وضمان العمال ضد الامراض والحوادث العارضة . وقد أممت الحكومة السكك الحديدية وشركات التأمين سنة ١٩١٢ ، وسنت قوانين لتكوين النقابات والاتحادات العمالية وحل المنازعات العمالية .

وقد انتعشت ايطاليا اقتصادياً نتيجة للمعاهدات التجارية مع المانيا والنمسا ، وانتهاء الحرب الكمركية مع فرنسا سنة ١٨٩٨ . وظهرت الجمعيات التعاونية ، وازدادت صادرات ايطاليا من ٩٣٫٧٩٠٫٨٩٠ باون استرلينى فى ١٨٧٢ الى ١٠٤٫٢٨٣٫٣٦٠ مليون باون فى ١٨٨٧ ، والى ١٩٣٫١٨١٫٥٠٠ مليون باون فى ١٩٠٧ . وقد ازداد اصدار البضائع المصنوعة بمقدار ثلاثة اضعاف فى ١٨٩٢ ، كما ازداد استيراد مواد الخام بمقدار الضعف . وازداد أصدار الحرير المصنوع والخام من ١٣٫٢٤٨٫٥٠٠ باون فى ١٨٩٧ الى ٢٧٫٣٤٧٫٠٠٠ باون فى ١٩٠٦ .

وازداد صادرات القطن من ٩٢٧٫٩٦٨ باون في ١٨٨٨ الى ٤٫٩٥٢٫٩١٥ باون في ١٩٠٦ . كما تقدمت صناعة الصلب والحديد والمواد الكيمياوية . ومع ذلك فقد ظلت ايطاليا بلداً زراعياً بسبب فقدانها لمناجم الفحم والحديد

اذ ان الذين كانوا يعيشون على الزراعة في ١٩٠١ بلغ حوالى ١٦٫٨٣٦٫٥٥١ من مجموع ٣١ مليون نفوس ايطاليا فى ذلك التأريخ •

لقد بدأت الحكومة الايطالية تخطو خطوات استعمارية فى اوائل القرن العشرين نتيجة لتسرب الافكار الاستعمارية فى الاوساط المعنية • فكانت هذه الأوساط تتوقع من الحكومة القيام بدور فعال فى الحصول على المستعمرات وحصلت فعلاً على اريتريا والصومال الايطالى • ودخلت فى الحرب مع الدولة العثمانية سنة ١٩١٢ واستولت على طرابلس الغرب (ليبيا) • وقد ذكرنا سياسة ايطالية الخارجية فى الفصل الخاص بالعلاقات الدولية فى الفترة بين ١٨٧٠ – ١٩١٤ •

الفصل السادس

روسيا والنمسا

روسيا ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

كانت روسيا حتى القرن التاسع عشر لا تزال متأخرة على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها بطرس الكبير ١٦٨٢ ـ ١٧٢٥ فى ادخال الحضارة الغربية اليها ، والقضاء على الفوضى والتقاليد غير النافعة ، وذلك بسبب ما فعلته الغزوات والهجرات البربرية طوال العصور الوسطى واوائل العصور الحديثة . فظلت روسيا لذلك السبب فى فوضى واضطراب وعبودية لم تختف اثارها حتى اواخر القرن التاسع عشر . ولا شك ان اصلاحات بطرس الكبير قد ازالت شيئا كثيرا من الفوضى الا انه لم يخلفه في حركته رجل قوى يسير على نهجه ويخرج روسيا من حظيرة الدول المتأخرة ويجعلها في مصاف الدول الغربية وقد سعت كاترينا الثانية ١٧٦٢ ـ ١٧٩٦ ان تجعل روسيا دولة خطيرة في السياسة الاوربية ، لكنها لم تنجز شيئا داخل البلاد . وهكذا بقيت روسيا طوال القرن التاسع عشر يسيطر عليها الرجعيون وتئن من النظم والتقاليد الاقطاعية ، وظلت حكومتها اوتوقراطية الى اوائل القرن العشرين . وقد تنبه احرار الروس الى هذه الحالة واخذوا يعملون لادخال نظم الحكم الدمقراطى الى بلادهم ، ولكن المحافظين قاوموا حركتهم بشدة ، فقام نضال عنيف بين الفريين ادى الى الثورات دون ان يعدل نظام الحكم الاستبدادى .

وقد استطاع الاسكندر الثانى ١٨٥٥–١٨٨١ ان يقوم ببعض الاصلاحات المهمة كتحرير الرقيق ، وتأليف مجالس انتخابية محلية ، واصلاح النظام القضائى ، وادخال اصلاحات عامة فى التربية والتعليم واعطاء بعض الحرية للصحافة . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد هو ان الاسكندر الثانى قد أصدر

مرسوما سنة ١٨٦١ يقضي بالغاء نظام الرقيق في روسيا وتحرير الرقيق من ربقة الاقطاعية • وقد نص المرسوم على تحرير اقنان منطقة البلطيق والاقنان الذين يشتغلون كخدم في البيوت دون تعويض في المال او الاراضي • اما الاقنان الذين يشتغلون بالزراعة فحصلوا على دور سكناهم مضافا اليها بعض الاراضي الزراعية • ولم تمنح ملكية الاراضي الزراعية الى الفلاحين مباشرة انما منحت الى المير Mirs او القرى التعاونية • وفي القرى التعاونية توزع الاراضي من قبل رؤساء العائلات على المزارعين كل بحسب عدد افراد عائلته • وقد قسطت الدولة التعويضات التي دفعتها الى النبلاء مقابل اراضيهم الى الفلاحين بشكل أقساط سنوية وزعت على ٤٩ سنة • وبهذه الطريقة وزّعت الدولة ما يقارب نصف الاراضي الزراعية في روسيا على الفلاحين • اما الاقنان الذين كانوا يعملون في الاراضي الاميرية او اراضي العائلة المالكة فتحرروا دون تعويض بين سنة ١٨٦٣ و ١٨٦٦ •

لم يلق تحرير الرقيق رضا تاما لدى السكان وبصورة خاصة الفلاحين• فقد تذمر هؤلاء لانهم لم يستلموا كل الاراضي التي كان يملكها النبلاء ، وان ملكية الاراضي التي استلموها تعود الى القرى التعاونية دون الفلاحين انفسهم• أما النبلاء فتذمروا لانهم قلما وجدوا من يزرع لهم اراضيهم ، فاضطروا الى بيعها جزئياً او كليا والهاجرة الى المدن للسكني •

وكانت الخطوة الثانية المهمة التي قام بها اسكندر الثاني هو تطبيق الادارة المحلية في روسيا بتأسيس المجالس البلدية زيمستڤو Zemstvo من ممثلي النبلاء وسكان المدن والقرى التعاونية • وكانت المجالس تنتخب انتخابا ولها سلطة فرض الضرائب المحلية والقيام ببناء الطرق وأصلاحها ، وتأسيس المستشفيات والاهتمام بالصحة العامة ، والمرافق العامة ونشر التعليم•

ولم يقتصر الاصلاح على الناحية الادارية فقط بل ان الاصلاح القضائي كان أمرا ضروريا لابد منه • وقد أصدر اسكندر مرسوما يقضي بسحب

القضايا المدنية والجزائية من السلطات الادارية واناطتها بالمحاكم المحلية المستقلة عن الموظفين الاداريين • وكان غرض القيصر تأسيس نظام قضائى شبيه بما هو موجود فى اوربا الغربية ، وادخال نظام المحلفين فى المحاكم Trial by jury فى القضايا الجزائية ، وجعل المحاكمات علنية •

وقام القيصر اسكندر الثانى باصلاحات اخرى فى التعليم بتأسيس مدارس ابتدائية وصناعة واعطاء الحرية للصحافة والتدريس الجامعى • وقد ظهرت الانتقادات فى الجرائد والمجلات على ان هذه الاصلاحات لم تستمر طول حكم الاسكندر ، اذ توقفت نزعته الاصلاحية بعد مضى عشر سنوات من حكمه ، وبدأ يستمر فى سياسة رجعية بتحريض النبلاء الذين استاؤا من ثورة بولندة فى ١٨٦٣ • ففرضت الرقابة على الصحف ، وكثر الجواسيس ومنعت المجالس التمثيلية في التعبير عن اراءها السياسية • وآخر أصلاح قام به هو تطبيق نظام التجنيد الاجبارى سنة ١٨٧٤ مقلدا بذلك المانيا •

وقد نتج من هذه السياسة الرجعية ، بعد انتشار الافكار الحرة وتطبيق الاصلاحات لمدة من الزمن ، ان تأسست الجمعيات السرية لمقاومة الاستبداد منها جمعية الامناء من الاحرار المثقفين ، وجمعية الفوضويين ، والشيوعيين وقد دفعها أضطهاد الحكومة الى التهديد والاغتيال • ولما تمادت الرجعية في جورها قررت هذه الجمعيات القضاء على النظام القيصرى المستبد • وقد اغتيل اسكندر الثانى بيد احد الارهابيين سنة ١٨٨١ •

اسكندر الثالث ١٨٨١ ـ ١٨٩٤

كان اسكندر الثالث يختلف عن أبيه اسكندر الثاني بنزعته العسكرية وعدم أيمانه بالحضارة الاوربية • فاعتقد ان النزعة الحرة هى التى أدت الى فشل والده فى الاصلاح ، ورأى ان أصول الحكم فى روسيا يجب ان لاتقوم على الأسس البرلمانية الغربية ، بل على تقاليد الامة الروسية وهى المذهب الاورثوذكس والروح السلافية ، والحكم الاتوقراطى • ولهذا سعى فى بث

هذه المبادىء ومناصرة الرجعية كوسيلة من وسائل الحصول على الأستقرار وقمع الافكار الثورية •

وكان الاسكندر قد أختار لمعاضدته فى سياسته هذه رجلين يعدان من اركان الرجعية الروسية وهما بوبيد ونستيف وبلهفه • اما الاول فكان استاذا للقانون المدنى فى جامعة موسكو وقد درس عليه الاسكندر مبادىء القانون والادارة • كما تلقى الاسكندر عنه مبادىء الحكم الاوتوقراطي ومقاومة الافكار الحرة والمدنية الغربية • واعتقد ان روسيا يجب ان تستمد أصول الحكم فيها من تقاليدها القديمة • وكان الثاني بلهفة محاميا من أصل ليتوانى ومديرا للشرطة ، فساعد الاسكندر في مطاردة زعماء الاحرار والجمعيات السرية وفى قمع الحركات الثورية •

وقد فرض الاسكندر الرقابة الشديدة على الصحافة وحدد صلاحيات المجالس التمثيلية وعدل فى طريقة انتخابها لزيادة عدد النبلاء فيها والاقلال من عدد مندوبى الفلاحين وعضد الكنيسة وقاوم التعليم العلمانى • وهكذا خنق كل حركة حرة حتى كادت تختفى كل مقاومة للحكومة • ولما كان الشعب الروسى جاهلا وكانت الامية والخرافات منتشرة انتشارا فضيعا بين طبقات العامة والكنيسة سيطرة عليهم تماما لم يستطع دعاة الحرية والاصلاح من الوصول الى اهدافهم • فكانت الرجعية تقاوم كل جديد من شأنه ان يحط من منزلتها او يهدد مصالحها وكانت الحكومة تقاوم الاحرار والطبقة المثقفة بشدة وقساوة ، فكان من الصعب جدا فى مثل هذه الظروف ان تزول الرجعية وتنمو الحركات الحرة •

وقد التجأ اسكندر الثالث الى تقوية الجامعة السلافية واتخذ منهاوسيلة لتوطيد اركان حكمه فى الداخل وتوسيع نفوذه فى الخارج • وعاضد النبلاء والكنيسة هذه الفكرة • وقد ساعد القيصر القوميات البلقانية بأسم الجامعة السلافية ، واضطهد اليهود لاختلافهم عن الروس بالجنس • واتبع سياسة

تحويل العناصر البولندية والفنلندية وغيرها الى عناصر روسية وتمثيلها • وجملة القول لقد كانت هذه السياسة السلافية حجة خطيرة استعملها الاسكندر لتسويغ استبداده فى الداخل ولتدخله الخارجى في الشؤون الاوربية •

وقد لاقى الاحرار مقاومة عنيفة فى هذا الدور فكانوا يترقبون نهاية حكمه بفارغ الصبر للتخلص من هذا الاستبداد • على ان موت الاسكندر سنة ١٨٩٤ لم ينه الحكم الاستبدادى ، لان ابنه نيقولا الثاني ١٨٩٤-١٩١٧ أستمر على سياسة أبيه • فابقي هذا بلهفة وجعله وزيرا للداخلية سنة ١٩٠٢ ، فلم يكن هناك مجال لادخال اصلاح مهم فى نظام الحكم الاوتوقراطى •

على ان الظروف أخذت تتبدل بظهور الثورة الصناعية فى روسيا وبزيادة انتشار التهذيب وتأثير الكتاب والادباء ، فنشط الاحرار وحدثت بضع ثورات طلبا للاصلاح الدستورى والاجتماعى •

الثورة الصناعية فى روسيا

بدأت الحركة الصناعية تدخل روسيا منذ عهد الاسكندر الثالث واشتدت فى عهد نيقولا الثانى ولا سيما بعد ١٨٩٥ • فاستغلت مناجم الفحم والحديد فى اوكرانيا واورال بدرجة واسعة ، كما استغلت آبار النفط فى قفقاسيا على سواحل بحر قزوين والبحر الاسود ، وانشئت المعامل الكثيرة فى كييف وبطروغراد وموسكو • وازداد شحن البضائع الى الخارج من موانى ريكا واوديسا واركانجل ، وفلاديفوستك • وقد ازداد انتاج الحديد سنويا الى ثلاث ملايين طن بين ١٨٨١ و ١٩٠٤ ، وازداد انتاج الفحم في نفس الفترة من ثلاث ملايين الى ١٨ مليون طن سنويا • كما ان عدد المكائن ازداد الى الضعف وأصبحت البضائع المنتجة بالمكائن ثلاثة اضعاف ما كانت تنتجه فى بداية الثورة الصناعية فى البلاد • وقد ساعد على التصنيع السريع رخص

العمال وكثرتهم • ووفرة المواد الخام : الفحم والحديد والبترول ، ووجود رؤوس أموال أجنبية فى البلاد ، وبصورة خاصة رأس المال الفرنسى • وقد مدت شبكة من الخطوط الحديدية ساعدت على ربط اجزاء الامبراطورية الروسية بعضها ببعض ، وسرعة المواصلات ، وانتشار الصناعة والتجارة وازدهارها • وفى سنة ١٩٠٥ تم انشاء خط حديد سيبريا المشهور (٥٠٠٠ ميل) الذى ساعد على نقل البضائع والهجرة من روسيا الى سيبريا • وهكذا كانت روسيا في ١٩١٤ تملك اكثر من ٤٠٫٠٠٠ ميل من الخطوط الحديدية ، وبلغ أنتاج الحديد فيها (٤) ملايين طن •

غير ان روسيا ظلت بلدا زراعيا قبل الحرب العالمية الاولى لان اكثرية الشعب الروسى كانت تعيش على الزراعة (اذ كان ٦/٧ السكان يشتغلون بالزراعة من مجموع ١٣٠ مليون نسمة) ، وكان الانتاج الزراعي يفوق الانتاج الصناعى •

كان التصنيع سببا لنمو الطبقتين الوسطى والعاملة ، وازدياد اهميتها ، الأمر الذى أدى ألى خلق مشاكل كثيرة للاوتوقراطية الروسية • لذلك بذلت جهدا عظيما لعرقلة التطوير الصناعى لانه يؤدى الى ظهور مجتمع مدنى مناوىء للاوتوقراطية وللحياة الريفية التى تعتمد عليها الاوتوقراطية وتؤكد عليها خصوصاً اصحاب التقاليد السلافية • الا ان بلهفة واتباعه لم يستطيعوا صد التيار الاجتماعى والاقتصادى الجارف • ووجدت الطبقة الصناعية والرأسمالية والاحرار عامة عضدا قويا من سياسى روسى آخر هو الكونت سيرج دى ويت •

كان سيرج دى ويت Sergede witte ١٨٤٩ – ١٩١٥ من مدينة تفليس فى قفقاسيا • وكان ابوه من أصل هولندى خدم القيصر كموظف أدارى • وقد درس دى ويت فى جامعة اوديسا وتخرج منها واشتغل موظفا لبناء السكك الحديدية وأهتم بالامور المالية فى جنوب روسيا • ومع انه ظل

محافظا من الناحية السياسية الا انه روج الصناعة والتجارة وتطويرهما أسوة بالغرب • وقد عينه أسكندر الثالث مديرا عاما للسكك الحديدية في وزارة المالية أول الامر ثم ما لبث أن رقاه الى وزارة المواصلات فى ١٨٩٢ ثم اصبح وزيرا للمالية بعد سنة وظل فى المنصب الاخير الى سنة ١٩٠٣ • وقد استخدم نفوذه السياسى والشخصى للتأثير على القيصر نيقولا الثانى فى تطبيق سياسة تجارية وصناعية لصالح الطبقة الوسطي بالتأكيد على الاقتصاد الوطني وتشجيع الصناعة والتجارة وحمايتها بفرض تعريفة كمركية على البضائع المستوردة • وقوى البنك الروسى وجعل العملة الروسية قائمة على أساس الذهب ، وكان له اليد الطولى فى مد السكك الحديدية وانتشار المصانع والمعامل وتدخل الدولة فى النزاع بين العمال واصحاب الاعمال وتنظيم المعامل والمناجم وهكذا قوى الحركة الصناعية •

على ان سياسة دى ويت هذه اثارت انتقاد الرجعيين كثيرا ، لانهم رأوا الاسترسال فيها خطرا على مصالح طبقة الاشراف (النبلاء) وعلى نظام الحكم الاوتوقراطى • وقد طالب اصحاب المعامل والعمال فعلا بان يمثلوا فى المجالس المحلية وبان يمنحوا حريات واسعة • فادى ذلك الى حملة وجهها بوبيد ونستيف ، خلاصتها ان دى‌ويت يضحى بالزراعة لاجل الصناعة ، وان حماية التجارة تضر الفلاحين والعمال على السواء • وعلى اثر ذلك استقال دى‌ويت سنة ١٩٠٣ •

غير ان الحركة الصناعية استمرت فى النمو والتوسع على الرغم من مقاومة الرجعيين واتباعهم • وانتجت هذه الحركة فئات او جماعات معارضة لسياسة الحكومة الرجعية • واخذت الطبقة الوسطى تعتقد بان الاوتوقراطية مضرة بمصلحتها ان لم تحدد سلطتها وتؤسس حكومة دستورية تمثلها ، فنظمت نفسها فى حزب الاحرار الذى اسسه عدد من المثقفين سنة ١٩٠٤ •

الافكار التقدمية والحركات الارهابية

منذ قيام الاسكندر الثانى باصلاحاته ، ظهرت جماعة تطلب المزيد من الاصلاحات وكانت متأثرة الى درجة ما بكتابات اسكندر هيرزن وميخائيل باكونين فى الستينات (١٨٦٠ – ١٨٧٠) وبكتابات بطرس كروباتكين بعد السبعينات• وكان هيرزن قد نفي الى لندن وهناك اسس جريدة باسم (الاجراس) سنة ١٨٥٧ ، قام احرار الروس المثقفين بتهريب اعدادها الى روسيا • وكان هيرزن يهاجم المؤسسات الاوتوقراطية فى جريدته ويدعو الى نوع من الاشتراكية الطوبائية • الا ان هيرزن مع ذلك ظل معتدلا فى مطالبه ، وهو من اوائل الاحرار فى روسيا نادا بالاصلاح • اما باكونين ١٨١٤ – ١٨٧٦ فكان من طبقة النبلاء فى روسيا وخدم كضابط في الجيش القيصرى ، لكنه استقال من وظيفته احتجاجا على الاساليب العنيفة التي كانت تستعملها السلطات العنيفة التى كانت تستعملها السلطات الروسية فى بولندة •

وقضى باكونين مدة فى السجن القيصرى انهزم ثم منه الى اوربا • وكان قد درس فى المانيا وتأثر بفلسفة هيكل • ثم انتقل الى باريس واعتنق افكار بروذون الفوضوية • كان باكونين يدعو الى التخلص من قيود الدولة والعائلة والدين لان هذه القيود الثلاثة فى نظره استعبدت البشرية ولا يمكن التخلص منها الا بالثورة • وقد اتخذ باكونين سويسرة مقره فى المنفى ، ومن هناك اخذ يلهب الحماس فى الفوضويين فى ايطاليا وفرنسا واسبانيا وامريكا اللاتينية • وكان من بين اتباعه في روسيا مفكر اخر يفوقه فى اغلب افكاره واراءه هو الامير بطرس كروباتكين ١٨٤٢ – ١٩٢١ •

كان كروباتكين اميرا من الطبقة الارستقراطية الروسية ، خدم كضابط فى الجيش القيصرى ، واعتنق مذهب الاحرار ، ثم اصبح اشتراكيا • كانت معظم اراءه مطابقة لاراء باكونين الفوضوية وقد دعا كروباتكين الى تكوين نظام تعاونى اختيارى يستغني بواسطته عن الدولة ويجعل وجودها زائدا •

غير ان مثقفى الروس كان لهم اراءهم الخاصة بخصوص الاصلاح ، ولـم يطبقوا اراء باكونين بادىء ذى بدأ • فكان العقل السليم والعلم الحديث فـي نظرهم المقياس الاساس والمحك الحقيقى للحكم على المؤسسات الروسية ، ولا يمكن قبول اية مؤسسة روسية أو رفضها الا اذا قيست بميزان العقل والعلم • وكان الذين يؤمنون بهذه الاراء سمّوا بالعدميين Nihilists . وقال الكاتب الروسى تورجنيف بان العدمى هو ذلك الذى لاينحني امـام السلطات ولا يبالى بأى مبدأ لايخص عقيدته وقد تطورت هذه الحركة الـى المطالبة بالمساواة المدنية ، وحرية الصحافة والسيادة الشعبية وسيطرةممثلى الشعب على مالية الدولة والتشريع البرلمانى للقوانين والمسؤولية الوزارية ، وحرية العقيدة •••

ولاجل تحقيق هذه المطاليب اعتقد اغلب المثقفين فى روسـيا انه مـن الضرورى الذهاب الى الريف والسكنى مع جماهير الفلاحين وتثقيفهم • فظهرت من جراء ذلك حركة سميت بالحركةالشعبية فى السبعينات(١٨٧٠-١٨٨٠)، اذ ان الاطباء والمحامين والعمال والمعلمين حاولوا السكن مع الجماهير وايجاد العمل بينهم والاشتغال معهم • الا ان الحكومة الروسية انتبهت الى نوايـا هؤلاء فقبضت على كثير منهم وفشلت الحركة • وكان الباعث الثانى لفشـل الحركة هو عدم تاثر الفلاحين بهؤلاء لعدم فهم مبادئهم • ولما لم يستطع الشبان المثقفون من هز الجماهير اتخذوا الاسلوب الثورى وسيلة لتحقيق اهدافهـم وبدأت حركة الارهاب باغتيال الموظفين الحكوميين والجواسيس والشرطـة ما لبث ان انتقل الى كبار الموظفين حتى القيصر ، اذ اغتيل فى ١٨٨١بعد فشل عدة محاولات سابقة لاغتياله •

الاحـزاب الاشتراكية

انتشرت الاشتراكية الماركسية فى روسيا بواسطة جورج بليخانوف في الثمانينات (١٨٨٠-١٨٩٠) ولكنه لم يبدأ تأثيرها على العمال الا فى التسعينات،

لما بدأت سلسلة من الاضطرابات بين ١٨٩٠ – ١٨٩٨ غايتها شل الحركة الاقتصادية .

وقد تأسس الحزب الاشتراكى الدمقراطى الماركسى المكون من المثقفين والعمال فى روسيا سنة ١٨٩٨ ، وكان يستهدف استلام السلطة السياسية بقلب نظام الحكم وتأسيس جمهورية اشتراكية . وفى سنة ١٩٠٣ انعقد مؤتمر الحزب الاشتراكى هذا فى لندن وانقسم الى قسمين بسبب التنظيم الحزبى والتاكتيك . فاتبعت الاكثرية ، البولشفيك، نيكولاى لينين، بينما ظلت الاقلية ، المنشفيك ، مع جورجي بليخانوف .

كان البولشفيك يرفضون التعاون مع الاحزاب البورجوازية وسياسه الاصلاح التدريجى ويؤكدون على الثورة وقلب نظام الحكم بالقوة . بينما كان المنشفيك لا مانع لديهم في تطبيق الاشتراكية بالتدريج عن طريق تثقيف الجماهير والتعاون مع الاحرار .

وكان هناك حزب اخر اسمه الحزب الاشتراكى الثورى Social Revelutionary تأسس سنة ١٩٠٠ ، واكد على تطبيق الماركسية وتكييفها لحياة الفلاح الروسى وذلك بتوزيع الاراضى على الفلاحين بعد تأميمها ، واستغلالها من قبل المزارعين . وحصل هذا الحزب على مؤيدين وموازرين ، وكثر عدد اعضاءه بدرجة اصبح ينافس الاحزاب البورجوازية .

وقد ادت سياسة انصهار العناصر المختلفة في روسيا الى انضمام كثير من القوميات من الاحزاب المختلفة . وقد انضم البولنديون واللتوانيون والفلنديون الى الاحزاب البورجوازية الحرة . بينما انضم اليهود الى الاحزاب الاشتراكية والماركسية او الثورية .

غير ان الحكومة الروسية ، على الرغم من كل هذه المعارضة الشديدة

استمرت فى سياستها الارهابية الرجعية • وكا جيش القيصر من الشرطة والامن يقارعون الاحرار فى كل مكان ويضطهدونهم ويقبضون عليهم بمجرد الشبهة • واستمرت الحالة هذه الى ان اندلعت الحرب الروسيةاليابانية سنة ١٩٠٤ فغيرت الحرب مجرى الحوادث كما سنرى •

الحرب الروسية اليابانية

كانت اليابان تريد أن تضع حدا للتقدم الروسى فى الشرق الاقصىولا سيما فى منشوريا وكوريا فاعلنت الحرب عليها فى شباط ١٩٠٤ • لقد كانت اليابان فى وضع افضل من الروس بفضل تفوق اسطولها ، ولسرعة تعبئة جيشها وقربها من ميدان المعارك ، ووحدة الصف فى البلاد لعدم وجود احزاب وعناصر مختلفة ومناوئة ، فاحرزت انتصارات كثيرة والحقت بالروس هزائم منكرة الامر الذى ادى الى استغراب العالم • جميعا وقد انتهت الحربتوسط الولايات المتحدة الامريكية وعقدت معاهدة پورتسماوث فى ولاية نيوهامشاير في امريكا وذلك فى ايلول ١٩٠٥ • وكان الكونت دى ويت يمثل الروس فوافق على المعاهدة بالتنازل عن ميناء بورت ارثر وشبه جزيرة ليوتانك والنصف الجنوبي لشبه جزيرة سخالين والتخلى عن كوريا لليابان • اما منشوريا فتركتها للصين •

وكان سبب انهزام الروس فى الحرب بعد المسافة من روسيا الىالشرق الاقصى وصعوبة المواصلات وتموين الجيش • كما حدثت ثورات واضطرابات فى روسيا في فى هذا الوقت الامر الذى اجبرت الحكومة الروسية ان تنصرف الى الامور الداخلية وتنهى الحرب بسرعة •

ثورة ١٩٠٥

كان لانهزام روسيا امام اليابان اثر عظيم على الاوساط الحرة والناس

عامة ، اذ اقتنع هؤلاء بان الاتوقراطية ونظام الحكم الفاسد مسؤول عما لحق بروسيا من الخزى والانخذال • فان الاوتوقراطية والموظفين الفاسدين بددوا أموال الشعب والثروة الوطنية وزهقوا ارواح الناس من دون ما ضرورة • وقد اغتيل بلهفة بقنبلة وضعت فى طريقه مزقته شر تمزيق وذلك فى سنة ١٩٠٤ • وقدمت المجالس الانتخابية من الاحرار عرائض الى القيصر يطلبون فيها اصلاح الجهاز السياسى بضمان الحرية الفردية وتأسيس برلمان وطنى ، واعطاء الادارات المحلية شيئا من الاستقلال الذاتى •

وكان القيصر قد عين الامير ميرسكى الذى اشتهر بنزعته الحرة في محل بلهفة ما لبث ان عزله وعين الجنرال تريبوف الرجعى رئيسا لدائرة الشرطة، واهمل العرائض المقدمة اليه • غير ان الاحرار في كل مكان بدأوا باقامة الولائم السياسية يلقون فيها الخطابات الحماسية ضد الوضع • وقام العمال بالاضرابات السياسية فى موسكو وفيلنا والمدن الصناعية الاخرى • وكان عدة الاف من الناس قد اجتمعوا لتقديم عريضة الى القيصر يقودهم الراهب الاورثوذكس گپون Gopon ، فتوجهوا الى القصر الامبراطورى الشتوى، وهناك اطلق الحرس القيصرى النار عليهم فقتل گپون وعدة مئات من الناس ، وسمى ذلك اليوم (وهو يوم الاحد ٢٢ كانون الثانى ١٩٠٥) باليوم الدموى •

اما فى القرى والارياف فقام الاشتراكيون الثوريون باعمال السلب والنهب وحرق بيوت النبلاء والاغنياء • واغتيل عم القيصر كراند ديوك سيرج فى موسكو فى شباط ١٩٠٥ مع عدد من السياسيين الامر الذى ادى بالقيصر أن يذعن للواقع • فاصدر عدة مراسيم بخصوص التسامح الدينى والحرية الفردية ، واعفاء الفلاحين من بقايا التعويضات ، وسماح البولنديين والليتوانيين وغيرهم فى استعمال لغتهم القومية ، ومحاكمة المتهمين السياسيين فى المحاكم المدنية • ودعى القيصر دى ويت الى رئاسة الوزارة وطرد تريبوف وبوبيد

ونستيف ووعد فى نفس الوقت بدعوة المجلس الوطني • الا ان القيصر لم يتنازل عن سلطاته الاوتوقراطية قيد شعرة • ولهذا فان الاحرار استمروا فى ثورتهم وشلوا اقتصاديات البلاد •

ازاء هذه الاحوال اضطر القيصر ان يتنازل عن مطاليب الشعب • وفى اوكتوبر ، تشرين الاول ، ١٩٠٥ ، اصدر بيانا منح حرية الصحافة ،والتعبير، وابداء الاراء ، وتكوين المنظمات ، ودعوة البرلمان الوطني (الدوما) الى الانعقاد ممثلا جميع الطبقات في البلاد ولا يكون القانون قانونا الا بعد مصادقة الدوما • وينتخب اعضاء البرلمان بالتصويت العام للذكور والاناث • كما خول الشعب الروسي الاشراف التام على اعمال الموظفين •

ولما حدث اضراباً عاما فى فنلدة فى كانون الاول ١٩٠٥ ، منحهم القيصر الاستقلال الذاتى مع صلاحيات وضع دستور لفنلندة • فاجتمع مجلس الطبقات هناك وقرر وضع دستور للبلاد وانتخاب مجلس واحد (المجلس الوطنى) بالتصويت العام للذكور والاناث ، ليحل محل مجلس الطبقات ووافق القيصر على هذه الاجراءات فى ١٩٠٦ •

على ان قوة الاحرار اخذت تضعف وتتبدد بسبب الصراع الحزبى والانقسامات الداخلية • فان الاحرار المعتدلون وجدوا ان بيان القيصر لشهر اوكتوبر كان مرضيا ولم يستمروا فى الكفاح اكثر من هذا • وسمى هؤلاء بالاوكتوبريين واغلبهم من النبلاء الاحرار واقطاب الصناعات ورؤوس الاموال • وكان زعيمهم اسكندر كشكوف Alexander Gachkov • والى اليسار من هؤلاء كان الاحرار المعروفون بالدمقراطيين الدستوريين (الكاديت) وكان هؤلاء اغلبهم من اساتذة الجامعات والبورجوازيين التقدميين واصحاب الحرف ، وكان يتزعمهم المؤرخ الروسى پول مليوكوف • لقد رفض هؤلاء الاعتراف باجراءات القيصر ، وطالبوا بتأسيس حكومة برلمانية دستورية

دمقراطية يكون القيصر فيها مجرد رئيس رمزى ينتقل سلطاته الى وزارة مسؤولة امام البرلمان ، أى الاعتراف بالسيادة الشعبية ، كما هى الحالة فى انكلترا • وقد اصروا على ان الدوما يجب ان يكون مجلسا تأسيسيا يضع دستورا لروسيا وليس فقط مجلسا تشريعيا يضع القوانين •

اما الاشتراكيون فان بيان اوكتوبر بطبيعة الحال لم يلق تأييدهم ورضاهم غير ان الاراء تباينت بخصوص تنازل القيصر ، فاعتقد المنشفيك بان روسيا غير مستعدة للاشتراكية ، وعلى الاشتراكيين العمل على تأسيس جمهورية دمقراطية تستطيع فيها الجماهير ان تعمل على تحقيق المؤسسات الاشتراكية وتحسين احوال العمال عن طريق البرلمان الوطنى • وقد نظم المنشفيك مجالس العمال أو السوفياتات ، اهمها سوفيت بتروكراد الذى نظم الاضراب العام وشل بذلك اقتصاديات روسيا • وقد وقع هذا السوفيت تحت تأثير ليون تروتسكي بعد اكتوبر ١٩٠٥ واستمر في وضع الخطط للاضرابات •

بينما زعماء البولشفيك وعلى رأسهم نيكولاى لينين ، الذى رجع من الخارج الى روسيا فى نوفمبر ١٩٠٥ ، امتنع عن الاشتراك فى الحركات السوفيتية التي قادها المنشفيك • فلم يكن هو وجماعته يرغبون في الدمقراطية تحت ظل الرأسمالية ، بقدر ما كانوا يرغبون فى قلب نظام الرسمالية • وشنوا حملة عنيفة على المنشفيك الذين حاولوا التعاون مع الاحرار وكان لموقف لينين تأثير كبير فى فشل السوفيتات وفشل الاضرابات الاخيرة التى اراد المنشفيك القيام بها • كما فشلت الثورة المسلحة التى قام بها البولشفيك فى نهاية ١٩٠٥ •

على ان العناصر الرجعية والمحافظة تعاونت فى لمّ شعثها وبدأت بالثورة المعاكسة ضد الاحرار فى سنة ١٩٠٦ ، وبدأ عهد من الارهاب فتك الرجعيون خلاله بكل مناوىء للرجعية والاوتوقراطية • وقد رجع الجيش من ساحة القتال في هذا الوقت واستخدم للقضاء على الحركات الحرة • فقضت الحكومة

القيصرية على ثورة قومية فى القفقاس وفى بولندة بشدة وقساوة عظيمين كان الاعدام والقتل بالمئات والالاف فى كل مكان .

وفى اذار ١٩٠٦ اصدر القيصر مرسوما بين فيه عدم صلاحية البرلمان لمناقشة القوانين الدستورة للدولة ، وان القيصر هو القائد العام والرئيس الاعلى للجيش والبحرية والسياسة الخارجية من صلاحياته المطلقة ، وبموافقته يستطيع الوزراء اصدار المراسيم خلال عطلة البرلمان . واقال دى ويت من رئاسة الوزارة وعين محله كورمكين Goremkyn الهرم الذى كان الة بيد الرجعية . كما عين بطرس ستوليبين Peter Stolypin وزيرا للداخلية . وكان القيصر قد استحدث المجلس الاعلى الامبراطورى (مجلس الشيوخ) ليكون الدرع المنيع للاوتوقراطية للحيلولة دون تطرف المجلس الوطنى (الدوما) في تشريعاته . وكان نصف اعضاء المجلس الاعلى يعينهم القيصر وتختار النصف الاخر المؤسسات الاخرى فى الدولة . والمرسوم الوزارى يصبح قانونا فى مدة شهرين من اجتماع الدوما اذا لم يشرع الاخير قوانين بهذا الخصوص . واذا لم يسن الدوما قوانين بشأن التجنيد والميزانية في اول ايار كل سنة فتستطيع الحكومة ان تشرع القوانين بهذا الخصوص مستخدمة الاحصائيات السابقة .

وفى مايس ١٩٠٦ اجريت الانتخابات لاول مجلس دوما واسفرت نتائجها عن فوز الاحرار ، ونيل الدمقراطيين الدستوريين الاغلبية فى المجلس . ونال الاوكتوبريون والرجعيون بعض المقاعد ، والفلاحون غير المنظمين حصلوا على مائة مقعد بينما نال حزب عمالى مائتين مقعد . أما الاشتراكيون الدمقراطيون ، والاشتراكيون الثوريون فقاطعوا الانتخابات لانهما ارادا مجلسا تأسيسيا لوضع الدستور وليس مجلسا تشريعيا . وحدث نزاع بين الوزارة وبين الاكثرية من الاحرار فى الدوما ، اذ ان الاخيرة طلبت من القيصر الغاء المجلس الاعلى

الامبراطورى، وضرورة المسؤولية الوزارية للدوما ومصادرة مزارع النبلاء لفائدة الفلاحين ، واصدار العفو عن المحكومين السياسيين ولما لم يوافق القيصر على ذلك ، رفض الدوما ان يوافق على بعض القوانين المقترحة ، وعلى اثر ذلك حلّ القيصر الدوما .

وقد حاول اعضاء الحزب الدمقراطى الدستورى (الكاديت) ان يحصلوا على تأييد عام للدوما فعقدوا اجتماعا فى فايبرك Viborg فى فنلندة واصدروا هناك بيانا يدعون فيه الشعب الروسى الى الامتناع عن دفع الضرائب وعن الخدمات العسكرية ، وحرضوا على الثورة . وعلى اثر ذلك خسر عدد كبير من الكاديت مقاعدهم فى الدوما لانهم لم يستطيعوا الرجوع وترشيح انفسهم في الانتخابات .

ولما اجريت الانتخابات لمجلس الدوما الثانى ، كانت النتيجة شبيهة بالمجلس الاول على الرغم من محاولة الحكومة فى التأثير على الناخبين . وكان اعداء الاوتوقراطية والرجعية مسيطرين على اغلبية المقاعد ، فكان مصير الدوما الثاني كمصير الدوما الاول ، فقام القيصر بحله فى حزيران ١٩٠٧ . وفى نفس الوقت قام القيصر بتعديل قانون الانتخابات فقلل من عضوية القوميات التابعة للامبراطورية ، وجعل الانتخابات غير مباشرة على اساس الطبقات كما كانت الحالة فى بروسيا ، وبذلك ازداد نفوذ النبلاء في البرلمان . وكانت الانتخابات التى اجريت فى خريف ١٩٠٧ وفق رغبات القيصر ، اذ ان الجبهة اليسارية وبضمنهم الكاديت حصلوا على اقل من ٧٥ مقعد بينما نال الاوكتوبريين والرجعيين اكثر من ثلاثمائة مقعد . وقد استمر الدوما الثالث الى سنة ١٩١٢ . وكان الدوما الرابع المنتخب فى تلك السنة خاضعاً لرغبات القيصر والحكومة . وظل الاشتراكيون فى المعارضة خارج البرلمان خلال الفترة الى ١٩١٤ . واستمرت الحكومة القيصرية فى رجعيتها تعدم الاف المناضلين الثوريين أو تنفيهم الى سيبريا . وظل مجلس الدوما مجلسا استشاريا

اغلب اعضاءه من الاوكتوبريين والرجعيين • واصبح اقطاب الرأسمال والصناعات من اشد مساعدى القيصر خوفا من الحركات العمالية والثورات الاشتراكية •

وفى سنة ١٩٠٦ حل ستوليبين محل كورمكين فى رئاسة الوزارة • وقام هذا بقمع الحركات الثورية ونفى الاحرار ومساندة الاتوقراطية • ومع ذلك فان ستوليبين قام ببعض الاصلاحات في توسيع التعليم الابتدائى والاشراف على الكنيسة الاورثوذكسية ، وتشريع قانون الضمانات العمالية • كما قام ببعض الاصلاحات لاجل الحصول على مساندة الفلاحين • فقد الغي ما تبقى من التعويضات على الفلاحين فى ١٩٠٦ ، وسمح لهم بشراء الاراضى الخاصة بالعائلة المالكة والنبلاء • واسس مصرفا لدفع القروض الى الفلاحين كي يتمكن الاخير من شراء الاراضى •

اما فيما يخص المير ، فسن ستوليبين قانونا يسمح لرؤساء العائلات الفلاحية بالانسحاب عن المير أو القرى التعاونية محتفظا باملاكه التى كان يزرعها مع حصته من الاراضى التي كانت مشاعة للجميع • وبذلك فسح المجال للملكية الفردية التى حلت محل الملكية الاجماعية • وهكذا ظهرت طبقة من الفلاحين اصحاب الاراضى قبل ١٩١٤ • واستطاع المقتدرين والكفوئين منهم من توسيع رقعة اراضيه وبذلك اصبح هؤلاء من زمرة الفلاحين الاغنياء (الكولاك)وقسم اخر باع اراضيه وهاجر الى المدن وانخرط فى زمرة العمال البروليتاويا • كما ان قسم منهم هاجر الى سيبريا بتشجيع من الحكومة •

ومع ذلك فقد استمرت الحركات الثورية والاضرابات العمالية ، وقتل ستوليبين فى ايلول ١٩١١، ولكن هذا لم يقلل من وطأة الرجعية واوتوقراطية الى وقت اندلاع نار الحرب العالمية الاولى الامر الذى ادى الى الثورة البلشفية وزوال القيصرية •

امبراطورية النمسا والمجر
١٨٦٧ - ١٩١٤

كان لال هبسبرك فى القرن التاسع عشر ، ولا سيما فى عهد مترنيخ، اسم عظيم ، اذ اصبح للنمسا سيطرة على السياسة الاوربية ، ونفوذ فى الشؤون الالمانية والايطالية • وقد ظلت هذه السيطرة قوية حتى عملت الافكار القوميه والدمقراطية عملها فى غربى اوربا وامتد لهيب الثورة التى اندلعت في فرنسا سنة ١٨٤٨ الى النمسا التى خسرت نفوذها فى اوربا ، كما خسرت سيطرتها شيئا فشيئا في المانيا وايطاليا •

ويرجع العامل الاكبر فى زوال الامبراطورية النمساوية الى تكوينها من عناصر مختلفة دبت فيها روح القومية ، غير ان النمسا اهملت هـذا الشعور النامي ، ولم تكن مستعدة لتأليف شكل من الحكم يحفظ كيان الامبراطورية ويتفق مع رغبات هذه الاقوام • وكان فرنسوا جوزيف عدوا لدودا للافكـار الحرة ولا يؤمن بالتقسيمات القومية •

بيد ان نظام الامبراطورية المركزى ادى الى تذمر العناصر المختلفـه ومقاومتها اياه • وقد اقتنع الامبراطور اخيرا بعد فشله امام بروسيا فى حرب ١٨٦٦ بموجب الالتجاء الى نظام اتحادى خشية ان تتمزق امبراطوريته الى دول متعددة مستقلة • لكنه لم يقتنع بتأليف اتحاد من خمس دول مترابطة تضـم كل منها العناصر المتقاربة ، بل اصر على تأليف دولتين فقط من النمسا والمجر وجعل بقية العناصر الاخرى تابعة لهما •

وانقسمت الامبراطورية سنة ١٨٦٧ بموجب نظام الاتحاد الفيدرالى الى دولتين هما ، اولا : امبراطورية النمسا ، وكانت تضـم عدا النمسـا ، بوهيميا وغاليسيا ، ودلماسيا ، وبعض اجزاء صغرى فى غربى الامبراطورية • وثانياً ، مملكة المجر ، وتضم عدا المجر ، كرواتيا ، سلافونيا ، وترنسلفانيا وسمى نظام

الاتحاد هذا بالوفاق Ausgleich ، لانه وفق بين النمسا والمجر ، فاصبح لكل منهما حكومة وادارة مستقلة بشؤونها الداخلية واصبح فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وملك المجر ، وكان هو حلقة الوصل بين الدولتين • وتألفت حكومة مشتركة مسؤولة تجاهه فى الشؤون الخارجية والجيش والماليـــــة والتجارة • كما انه كان يوجد برلمان مشترك لسن القوانين التى تتعلق بالامور المشتركة بين النمسا والمجر • وكان هذا البرلمان يتألف من ١٢٠ عضوا نصفهم من النمسا والنصف الاخر من المجر ، وهم ينتخبون سنويا ويجتمعـــون بالتناوب تارة فى فينا واخرى في بودابشت ، وكانتا عاصمتى النمسا والمجر •

وكان مندوبو الدولتين يجتمعون فى غرفتين مستقلتين يناقش النمساويون بالالمانية والمجريون بالمجرية ، ويتصل الطرفان كتابة باللغتين معا ايضاً • واذا حصل خلاف بين مندوبى الدولتين فى امر ما ثلاث مرات متوالية ، يجتمع المندوبون معا فى غرفة واحدة ويجرى التصويت بلا مناقشة على نقطة الخلاف فتبت فيه بالاكثرية •

كانت هناك اختلافات سياسية واقتصادية بين النمسا والمجر اذ ان الاولى كانت دولة صناعية متقدمة ، ولا سيما حول مدينة فيانا ، وفي بوهيميـــا وغاليسيا ، وكانت المصالح التجارية والصناعية والصيرفية تؤثر على سياســة الدولة تأثيراً لا يقل اهمية عن تأثير المصالح الزراعية • بينما كانت المجر بلداً زراعياً متأخرا نسبيا فى تكوين رأس المال الصناعى ، ولهذا لم تكن هناك طبقة بورجوازية أو بروليتارية قوية •

وبسبب وجود التفاوت الاقتصادى بين البلدين حدثت منازعات اجبرت النمسا أن تدفع ٧٠٪ من المصروفات بينما المجر تدفع ٣٠٪ وقد عدل ذلك فى سنة ١٩١٧ فاصبحت حصة النمسا ٦ر٦٣٪ والمجر ٤ر٣٦٪ •

وقد اتبعت النمسا سياسة حرة تجاه الطبقة الوسطى النامية بسبب الثورة الصناعية فيها ، واخذت هذه الطبقة تمارس نفوذا واسعا وتشترك مع الطبقة الارستقراطية فى الحكم وفى تطبيق السياسة الحرة فى التجارة والصناعة ، وكان اكثرهم منخرطين فى حزب الاحرار غير انه بعد سنة ١٨٨٠ اصبح هذا الحزب يضعف شيئا فشيئا تحت تأثير الحزب الاشتراكى المسيحي • وكان الاخير حزبا كاثوليكيا نظمه المحامى كارل لوكر الذى أخذ يهاجم الرأسمالية اليهودية ، ويدعو الى تطبيق الدمقراطية السياسية والتشريعات الاجتماعية وغيرها فجلبت الى جانبه عددا كبيرا من الطبقات الفقيرة فى المجتمع النمساوى وخاصة من بين الفلاحين • وكان من بين التشريعات التى سنت بتأثير هذا الحزب ، قانون تنظيم العمل فى المناجم والمعامل ، وعدم الاشتغال فى ايام الاحاد ، وعدم تشغيل النساء والاطفال في الصناعة وذلك في سنة ١٨٨٥ • وفى سنة ١٨٨٨ وافقت الحكومة على تكوين الاتحادات العمالية والضمان الاجتماعى للعمال • وقد اصبح كارل لوكر رئيسا لبلدية فيانا فطبق برامجه واصبح مشهورا فى النمسا •

وفى سنة ١٨٩٦ اصبحت النمسا دولة دمقراطية بسن قانون توسيع حق الانتخابات ومنح حق التصويت لعدد كبير من الناس • وفى سنة ١٩٠٧ طبق مبدأ التصويت العام للذكور • غير ان الحزب الاشتراكى المسيحى أخذ يتدهور بعد هذا التأريخ بسبب اعتناق عدد كبير من الشبان والعمال المذهب الماركسى ، وانخراطهم في الحزب الاشتراكى الدمقراطى • وفى انتخابات ١٩٠٧ زاد هذا الحزب عدد نوابه من (١١) الى (٨٧) •

لقد كان من الصعب فى النمسا التوفيق بين الامبراطورية والمبدأ الدمقراطى ، نظراً لوجود قوميات متعددة انتشر بينها الوعى القومي وارادت

التحرر • ولكن الامبراطور فرانسوا جوزيف كان من الطابع القديم لم يرغب في تكوين دولة فيدرالية (اتحادية) من هذه القوميات بمنحهم الحقوق القومية فى الحكم الذاتى وحكمهم حكما مطلقا باخضاعهم لسيطرة النمسا ، وعليه صارت هذه القوميات تعمل سراً لهدم الامبراطورية النمساوية والتحرر من سيطرتها •

أما فى المجر ، فالامور لم تكن معقدة كما فى النمسا ، لان البلد كان زراعياً وأصحاب الاراضى لم يرغبوا فى منح أية حقوق دمقراطية للشعب أو للقوميات الاخرى ضمن المملكة المجرية ، فظلوا مسيطرين على الحكم • وبعكس النمسا تماماً فرض المجريون لغتهم وسيطرتهم على بقية العناصر وعلى الشعب المجرى • ولم تكن هناك أية محاولة لتطبيق الدمقراطية السياسية فى البلاد • وكانت نسبة الضرائب التى يدفعها الناخبون هائلة الى درجة ان قليلا من الناس كان لهم الحق فى الانتخابات • فمن عشرين مليون نسمة سكان المجر فى ١٩١٠ ، أقل من مليون كان له حق التصويت • وكان المجريون هم المسيطرون على البرلمان ، بينما كانوا يؤلفون نصف السكان (١٠ ملايين) • ولهذا بذل النصف الآخر جهده (وهم عبارة عن قوميات سلافية) للقضاء على نظام الحكم وبث الدعاية ضد الحكم المجرى ، وسبب بالتالى هدم المملكة فى الحرب العالمية الاولى •

ومع ذلك فقد شاهدت المجر رخاءاً اقتصاديا بسبب تحسين الزراعة واكثار المحاصيل الزراعية • وقد استمرت الامبراطورية النمساوية المجرية مدة طويلة يفضل شخصية فرانسوا جوزيف آخر اباطرة آل هبسبرگ • فكان الناس على اختلاف قومياتهم يحترمونه ، ويعظمونه ، ولولا ذلك لانهارت الامبراطورية ونظام حكمها منذ زمن بعيد •

الفصل السابع

بلاد البلقان

الصـــرب

ينتمي الصربيون الى العنصر السلافى ، وكانت لهم دولة في القـــرن الثانى عشر ولكنها لم تضم جميع الصربيين • وقد بلغت صربيا شأوها فى عهد ملكها ستيفن دوشان ١٣٣٦ – ١٣٥٦ ، الذى استطاع ان يوسع مملكته حتى شملت البوسنه والهرسك ومكدونيا وبلغاريا ، ولكنها بموته اخذت بالانحلال وانقسمت الى اجزاء استولى العثمانيون عليها جزءا بعد اخر ، حتى اذا كانت معركة كوسوفو (فوسوة) ، دخلت الصرب نهائياً فى حكم العثمانين •

وقد أقر العثمانيون للسكان بحقهم فى ممارسة شؤونهم الدينية وتركوا لهم مجالا واسعا لحكم انفسهم بانفسهم • ولذلك ترى انه عندما بدأت الاراء الاوربية الحديثة تدخل فى تلك البلاد فى القرن التاسع عشر حاملة مبـادىء الحرية والمساواة ، قد اثرت تأثيرها اذ كانت عناصر الاتحاد والاستقـــلال متوفرة للصربيين ، فغدوا متحفزين للنهوض • وكان السلطان سليم الثالث عازما على التخلص من الانكشارية ، ومن التدابير التى اتخذها لذلك انـــه ارسل الى بلغراد واليا اسمه مصطفى باسبان اوغلو سنة ١٧٩٨ وأمر بانسحاب الحاميات الانكشارية الى الحدود النمساوية فى منطقة (ويدن) • ولقد كان هذا الوالى متنورا ومتسامحا وقد اعاد الهدوء نسبيا فى عهده الى البلاد فاحبـه الناس • واستطاع ان يؤلف من فلاحى الولاية قـــوة مسلحة لمحـــاربة الانكشارية في صربيا حين تدعو الحاجة • ولم يرق ذلك للانكشاريين فدبروا مكيدة مقتله سنة ١٨٠١ ، ونصبوا قادتهم حكاما على المناطق الادارية هناك • وحين أشتد اذى الانكشارية وضاقت البلاد ذرعا باحتمال بطشهم ، قـــرر

الصربيون مقاومتهم ، وقلدوا زعامتهم الى وطنى جرىء اسمه قره جورج الذى كان فلاحا متوقد الذكاء ولد في ١٧٦٠ وعاش على تربية النحل • وقد تطوع فى شبابه فى الجيش النمساوى وحارب العثمانيين ، ونجح في تجارة الخنازير • وقد اكسبته جولاته فى القرى والارياف خبرة وشهرة ونفوذا • وكان يعرف فى منطقته بجورج الاسود لسحنته الداكنة • وفى ربيع ١٨٠٤ اندلعت نار الثورة فى كافة ارجاء البلاد على أثر مجزرة دبرها الانكشاريون لقادة الصرب وقد فر قره جورج الى المناطق الجبلية والتحق به المطوعون من كل حدب وصوب وقاتل الانكشارية ونكل بهم وتغلب عليهم وبدد شملهم • غير انه لما تم للصرب الانتصار على الانكشارية لم يضعوا السلاح، وانما واصلوا ثورتهم للتحرر من الدولة العثمانية وشرعوا يطالبونها بمنحهم حقوقا واسعة فى حكم بلادهم •

وحين ابى السلطان ذلك نشب القتال بينهم وبين قواته ودخلت الثورة مرحلة ثانية اذ اصبحت حربا استقلالية ترمي الى تحرر البلاد من الحكم العثمانى ، ولقد كانت الظروف مؤاتية للثورة فى صربيا بسبب المساعدات الروسية ، وتمرد الانكشارية فى استانبول على سليم الثالث وخلعه ، والفوضى التى نجمت عن ذلك في فترة مصطفى الرابع ، ولكن الثوار لم يستفيدوا من تلك الظروف وذلك لانقسامهم بين مؤيدين لروسيا بقيادة ميلان او برينوفج ، ومؤيدى النمسا بقيادة قره جورج الذى انقلب على النمساويين الذين لم يستطيعوا مساعدته بسبب انشغالهم بالحرب ضد نابليون والاتراك • وقد ارغمت روسيا الدولة العثمانية على اعطاء الحكم الذاتي لصربيا في معاهدة بخارست سنة ١٨١٢ ، الا ان مشاكل روسيا مع نابليون أدت بالحكومة العثمانية الى اهمالها واحتلال صربيا مرة أخرى سنة ١٨١٣ وانهزام قره جورج الى النمسا وعلى أثر ذلك تهيأت قيادة الحركة التحررية الى جماعة ميلان

اوبرينوفج الذى رفع راية العصيان سنة ١٨١٥ • كان ميلان فلاحا ولد فى ١٧٨٠ ، وبدأ حياته راعيا الا انه اصبح ثريا ، وتقلد منصبا كبيرا سنة ١٨١٣ فى الادارة العثمانية فى الصرب الى حين تمرده بعد سنتين ، وقد استطاع ميلان ان يقود جماعته الى النصر فهزم جيش السلطان واخذ يفاوض الدولة العثمانية بشأن مصير صربيا ، وكانت روسيا الان فى وضع تستطيع ان تساعد الصربيين فاجبرت السلطان بتنفيذ معاهدة بخارست • وحدث ان انتخبه الفلاحون اميرا لصربيا فى ١٨١٧ وصار مساعدا للوالى التركى وقائدا عاما للصرب • ولم يستكمل الحكم الذاتى لصربيا الا فى معاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩ • وقبل ذلك رجع قره جورج من النمسا الى صربيا فخشى ميلان على نفسه فدبر قتله وبذلك اشتد العداء بين جماعة قره جورج وميلان استمر الى ١٩٠٣ •

وقد اصبحت الصرب بموجب معاهدة ادرنة سنة ١٨٢٩ أمارة وراثية فى عائلة ميلان الذى أصبح والي السلطان فى صربيا • ثم اخذ استقلال الصرب الذاتي يتوسع بحيث اصبحت جميع الشؤون القضائية والادارية والمالية فى ايدى الصربيين • وقد اتجهت الحركة الوطنية للقضاء على سيطرة الكنيسة اليونانية الغربية فى بلاد الصرب وابدالها بكنيسة صربية وطنية وقد تم ذلك • ثم اقتصرت سلطة السلطان على استيفاء جزية سنوية ، وعلى أقامة حامية تركية فى بلغراد وأعلن ميلان الدستور سنة ١٨٣٨ مكرها وجعلت السلطات في يد مجلس يسمى مجلس الشيوخ ولكن هذا المجلس ما لبث ان اكره ميلان على التخلى عن العرش سنة ١٨٣٩ لانه ابي ان يرفع أية قضية من القضايا المختلف عليها بين المجلس والامير الى السلطان بحسب الدستور وقد ساعد المجلس السلطان ضد تمرد ميلان على العثمانين واجبر على التنازل عن الحكم لابنه ميخائيل غير ان النزاع استمر بينه وبين المجلس ، وساء حالة الفلاح الصربي الاقتصادية كما ان رجال الدين كانوا ضد سياسته

التعليمية ، ولما اراد استعمال القوة لتنفيذ سياسته اجبر على الفرار سنة ١٨٤٢ ودعى الى رئاسة الدولة اسكندر قره جورج ، حفيد قره جورج بطل الثورة الاولى • وظل هذا على العرش حتى سنة ١٨٥٩ حيث ارغم على ترك الامارة بسبب تدخل القنصل الانكليزى هناك • واستدعى ميلوش وقد ناهز الثمانين لكنه توفى فى ١٨٦٠ أى بعد سنة وتولى ابنه ميخائيل الحكم مرة اخرى • ومن أهم الاحداث فى زمانه انسحاب الحامية التركية من بلغراد وذلك على أثر مجزرة قامت بها ضد السكان سنة ١٨٦٢ وتم جلاء القوات التركية نهائيا سنة ١٨٦٧ • وان للضغط الدولى أهمية كبرى فى أجبار الاتراك فى سحب قواتهم بموجب مؤتمر استانة لسنة ١٨٦٢ • ومن الاحداث الاخرى فى زمانه ازدياد المعارضة فى الاوساط الثقافية التى نادت بالاصلاح وأستخدام العنف فى سبيل ذلك • وتألفت جمعية سرية من الشبان المثقفين قامت باغتيال ميخائيل سنة ١٨٦٨ ، وتولى بعده ابنه ميلان الرابع • وقد ثار الصربيون فى زمانه ضد الدولة العثمانية ساعدتها روسيا ودخلت الروس الحرب ضد الاتراك سنة ١٨٧٧ وانتهت بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وبموجبها نالت صربيا استقلالها التام وأعترف بها دولة مستقلة • واستمرت عائلة ميلان اوبرينوفج على الحكم الى سنة ١٩٠٣ اذ اغتيل آخر رجال اسرة اوبرينوفج الطامحين الى العرش • وعاد الى الحكم ال قره جورج بطل الثورة الصربية ونودى بحفيده بطرس الاول ملكا على صربيا •

استقلال رومانيا

تتكون رومانيا من مقاطعتين هما ملدافيا Moldavia وولاكيا Walaekia وقد سماها الاتراك (الافلاق ، والبغدان) • ويرجع تاريخ سكناهما الى العهد الروماني لما انزل الامبراطور تراجان طوائفا من الرومان

في أقليم داسيا عند اسفل نهر الدانوب ليكون حاجزا يرد غارات البرابرة عن الدولة الرومانية • وقد آلت المقاطعتان الى الدولة العثمانية في نهاية القرن الخامس عشر ، لكنها ظلتا تتمتعان بحكومتين محليتين يحكمهما امراء من اهلها • ثم وضع العثمانيون حكمهما فى يد اميرين يونانيين يوليهما الباب العالى • وكانت روسيا كلما شنت الغارة على تركيا شرعت اولا بأحتلال ملدافيا وولاكيا • وقد رأينا كيف نالت روسيا حق التدخل فى شؤون الولايتين ومارست الحماية عليهما فى معاهدة كجك كنارجى •

ان العوامل التى ايقظت رومانيا واثارت فيها روح القومية هى نفس العوامل التى ايقظت اليونان فقد بدأ الرومانيون يشعرون انهم اصحاب قومية لاتينية قديمة ذات تاريخ مجيد ، واخذوا يهتمون بلغتهم ويدرسونها ، ويصلحونها ، وقامت حركة ادبية لتهذيب اللغة الرومانية واستعمالها فى المدارس وفى الصحف ، وقد انتشرت الاراء الحرة الفرنسية بين الطبقة الارستقراطية ولهذا فكان الاتجاه الثقافى فى رومانيا اتجاهاً فرنسيا •

لم يكن حكم الاتراك فى رومانيا مباشرا لان العلاقات بين السلطان والرومانيين كانت على اساس التبعية والجزية السنوية • واخذت هذه العلاقة، مع ذلك تضعف تدريجيا بعد ١٧٧٤ لان معاهدة كجك كنارجى اشترطت مساهمة روسيا في حماية مولدافيا وولاكيا •

هذا وقد انتهز الرومانيون فرصة حرب التحرير في اليونان فتقدموا الى السلطان بطلب مؤداه ان يسمح لهم بانتخاب حكامهم من بينهم ، فاجابهم السلطان على ذلك الطلب سنة ١٨٢٢ • ولقد حصلت هاتان الولايتان على الاستقلال الذاتي سنة ١٨٢٩ بموجب معاهدة ادرنة التى املتها روسيا على السلطان والتى بموجبها بقى جيش الروس فى الولايتين لمدة ٦ سنوات الى ان تم الدستور للولايتين • غير ان هذا الدستور كان لاغراض ادارية وليس

لاغراض الحكم النيابى ، ولهذا فقد حدث رد فعل لهذا الدستور سنة ١٨٤٨ حيث اندلعت نيران الثورة ، لكن الجيش القيصرى اخمدها فنشأت من ذلك نقمة الرومانيين على سياسة روسيا واصبحت الولايتان مجالا خصبا للدول المناوئة للقيصر وخاصة انكلترا التى كانت تحرص دائما على ابعاد النفوذ الروسى عن المضايق والبحر المتوسط .

وقد جاءت المناسبة لبريطانيا وحلفائها فى حرب القرم ١٨٥٤-١٨٥٦ حيث اسفرت عن دحر روسيا وابعادها عن الولايتين بموجب معاهدة باريس واستقلالها داخليا . وعلى الرغم من ان هذه المعاهدة ابقت الولايتين منفصلتين عن بعضهما الا ان الرومانيين بمساعدة نابليون الثالث امبراطور فرنسا قد تمكنوا من دمج الولايتين تحت حكومة واحدة سنة ١٨٥٩ فكانت نواة الدولة الرومانية الحديثة . وقد انتخب الولايتان فى تلك السنة الامير اسكندر كوزا الذى وحد برلمان الولايتين فى ١٨٦١ واتخذ بخارست فى ولاكيا عاصمة للملكة الجديدة . ووافقت الدول على ذلك على ان تدفع رومانيا جزية سنوية للسلطان .

ولبث اسكندر كوزا على العرش سبع سنوات قام فى اثنائها باصلاحات داخلية عظيمة فقضى على ارتباط الكنيسة الرومانية بالكنيسة الاغريقية وأسس جامعة بخارست ونشر التعليم وعالج مشكلة الفلاحين الذين كانوا يؤلفون ٨٠٪ من السكان . والغى الاقطاع ومكن الفلاح من ان يملك الارض التى يزرعها . وقد لقى هذا الاصلاح معارضة الملاكين ورجال الدين فاجبروه على التخلى عن العرش سنة ١٨٦٧ . واقيم مكانه الامير شارل من عائلة هوهنزلون . وكان هذا ذكيا لبقا اعترفت به الدول والسلطان ، وسن لرومانيا دستورا دمقراطياً ، ورسم لها برنامجا انشا انشائيا ، فازدهرت اقتصاديات البلاد واتسعت مدنها وتقدمت الزراعة والمواصلات .

وفى سنة ١٨٧٧ على اثر الحرب التركية الروسية اعلنت رومانيـــا أستقلالها التام عن السلطان واعترفت الدول بها فى مؤتمر برلين ١٨٧٨ على ان تقوم بتأدية جزء من ديون الدولة العثمانية • وفى سنة ١٨٨١ اعلن شارل رومانية مملكة واصبح هو ملكا بأسم شارل الاول (اوكارول الاول) •

وقد تقدمت رومانيا فى عهده تقدما لا يستهان به ولا سيما فى الميـدان الاقتصادى بسبب ادخال الآلات الزراعية الحديثة وايجاد الاسواق التجارية لصادراتها فى النمسا والمانيا ، واستخدام رؤوس امـــوال اجنبيـة لاستثمار مواردها المعدنية ولاسيما البترول وكانت رومانيا فى سياستها الخارجية قـــد تقربت من المانيا والنمسا دفعا لروسيا ، فدخلت فى الحلف الثلاث سنة ١٨٨٣ •

وظلت الاوضاع الداخلية مضطربة لان الفلاحين لم يستطيعوا من تملك الارض وقاموا بثورة سنة ١٩٠٧ مطالبا توزيع الاراضى لكن الحكومـــة استخدمت القوات العسكرية لاخمادها وبقيت هذه المشكلة قائمة حتى الحرب العالمية الثانية • اما المشكلة الثانية فكانت دستورية • اذ ان رومانيا كانت بعيدة عن الحكم الدمقراطى على الرغم من وجود البرلمان الذى كان الملك يعـين اعضاء مجلس شيوخها • والنواب كانوا ينتخبون من طبقـة ضئيلة من دافعى الضرائب من الاغنياء • وكان للملك حق الاعتراض ورفض القوانين • وظلت هذه المشكلة قائمة حتى الحرب العالمية الاولى •

بلغاريـــا

لقد كانت الحركة القومية فى بلغاريا ضعيفة حتى العقد السابع من القرن التاسع عشر • ويعزى ذلك للأسباب عدة منها قربها من العاصمة العثمانيـة ، وبعدها عن التأثيرات الغربية لعدم وجود مصالح اقتصادية هامة للدول الغربية الكبرى فى بلغاريا • ومع ذلك فان الاحتجاجات ضـد الحكم الاجنبى بدأت

تظهر هناك بين آونة وأخرى منذ العقد الثالث من القرن المذكور • ولعل من أسباب ذلك هى الثورات التى حدثت فى الاجزاء البلغارية الاخرى وتأسيس الحكومات الوطنية هناك ، وكذلك تدخل روسيا وفرنسا فى القضايا الدينية للسكان هناك • وبسبب هجرة التتر وقسم من سكان مناطق القفقاس الى بلغاريا بسبب ضم تلك الاجزاء الى روسيا القيصرية • وقد هاجر حوالى ٤٠ الف عائلة الى بلغاريا منذ ١٨٦١ ، ووزعت عليهم احسن الاراضى البلغارية على حساب الفلاحين الاصليين • فكان ذلك مدعاة لنقمة الفلاحين البلغار •

وبالاضافة الى الناحية السلبية للثورة فكانت هناك ناحية ايجابية للثورة• فقد قامت الحكومة العثمانية باصلاحات كثيرة فى بلغاريا تحت تأثير دول الغرب • فمنذ ١٨٣٥ بدأت تفتح لهم المدارس وتؤسس المطابع بالحروف البلغارية • كماانه بموجب المراسيم السلطانية (خط شريف اولا ، وخط همايون ثانيا) قامت الحكومة العثمانية باصلاحات اقتصأددية وادارية فى البلاد • فمدت السكك الحديدية والطرق الاخرى فى زمن مدحت باشا ١٨٦٤–٦٨ • وقامت بالاصلاحات الزراعية والتجارية فرفعت من مستوى الشعب المادى •

وقد طالب البلغاريون بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة اليونانية فلبى العثمانيون طلب البلغاريين وصدر مرسوم سلطانى سنة ١٨٧٠ يقضى بتأسيس كنيسة بلغارية •

غير ان الحركة تطورت الى المطالبة بالحكم الذاتى وتألف فى سبيل هذا جمعيات ساعدها الروس • ولما حدثت ثورة البوسنة والهرسك سنة ١٨٧٥ عمت الثورة ولايات البلقان • فهب البلغاريون والصربيون وسكان الجبل الاسود يؤازرون اخوانهم الثائرين فى البوسنة والهرسك •

وسلك الترك لقمع هذه الثورة اساليب قاسية ضج لها الرأى العام

الاوربى فاسفرت عن اعلان الحرب على تركيا سنة ١٨٧٧ ، تلك الحرب التى انتهت بعقد معاهدة سان استيفانو •

وقد تقرر فى تلك المعاهدة منح بلغاريا حكما ذاتياً على ان تمتد حدودها من البحر الاسود الى بحر الايجة بحيث تشمل اقليم الرومیلى الشرقيه ، ومكدونيا بالاضافة الى بلغاريا الاصلية ، وان يكون لها امير ينتخبه البلغاريون ويصادق على تعيينه الباب العالى والدول الكبرى • وان تحتل الجيوش الروسيه ذلك القطر لمدة سنتين للتأكد من ايفاء السلطان بتعهداته •

لكن معاهدة سان استيفانو لم ترق للدول الكبرى وخاصة انكلترا والنمسا نظرا لتوسع نفوذ روسيا فى البلقان ووصولها الى البحر المتوسط الامر الذى يعرض مصالح النمسا وانكلترا الى الخطر •

ولهذا فاعيد النظر فى تلك المعاهدة فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وتجزأت بلغاريا الكبرى بموجبه الى ثلاثة اجزاء :

اولها بلغاريا الاصلية التى أصبحت أمارة مستقلة استقلالا داخليا على ان تكون خاضعة للسلطان وتؤدى لها الجزية السنوية •

ثانيا الرومیلى الشرقية وقد تقرر ان يحكمها وال مسيحى يعينه السلطان بموافقة الدول لمدة خمس سنوات ، وان تستقل بشؤونها الداخلية على ان يمارس السلطان جميع الشؤون السياسية والحربية المتعلقة بها ، وأن يسمح للقوات الروسية احتلال الامارتين لمدة تسع سنوات والجزء الثالث ، وهو مكدونيا فقد اعيد الى الدولة العثمانية • ووضعت ادارة بلغاريا بيد مندوب روسى ، ريثما تجتمع جمعية وطنية تضع الدستور • واجتمعت الجمعية الوطنية واختارت الامير اسكندر باتنبرك فى نيسان سنة ١٨٧٩ ، وكان هذا شابا المانياً من اقارب قيصر روسيا •

وانقاد الامير اسكندر الى روسيا اول الامر • وكان الحاكم الروسى وضع مسودة الدستور البلغارى وقدمه الى المجلس التأسيسى سنة ١٨٧٩ ، غير ان المجلس اعتبر الدستور شديد المحافظة فاجرى عليه تعديلات كثيرة اهمها ان السلطة التشريعية هى من اختصاص مجلس الامة • وقد عمد الامير الى تعطيل الدستور سنة ١٨٨١ بناء على توصيات روسيا ، وكان البلغار تخلصوا من النير العثمانى ليقعوا فى العبودية الروسية • الا ان الامير نفسه لم يلبث ان نفر من تدخل الروس فقرر التخلص منهم بالتضامن مع الوطنيين ، فاعاد الدستور سنة ١٨٨٣ متحديا بذلك القيصر ، وفصل مستشاريه من الروس •

وقد تأزمت الحالة سنة ١٨٨٥ بين بلغاريا والقيصر واصبحت مشكلة دولية تؤدى الى الحرب • والسبب فى ذلك ان ثورة حدثت فى الروميلى الشرقية شجعتها بلغاريا ، وطرد الثائرون الوالى العثمانى واعلنوا انضمامهم الى بلغاريا ، وارسلوا وفد الى الامير اسكندر يدعونه للقدوم اليهم واستلام الروميلى •

وبعد تردد قبل الامير اسكندر ذلك بالحاح من رئيس وزرائه ستامبولوف واعلن ضم الروميلى الى بلغاريا •

وعلى الرغم من معارضة الصرب والروس لذلك ومقاومتهم ، فقد استمرت بلغاريا فى خطتها حتى اقر السلطان والدول الامر الواقع سنة ١٨٨٦ ووافقوا على اتحاد الولايتين ، بعد ان اصطدمت الجيوش البلغارية والصربية وانتصرت الاولى وكادت أن تحتل بلغراد • وكانت انكلترا قد وجدت من بلغاريا دولة مناهضة للروس وسدا منيعا ضد تسرب النفوذ الروسى فأيدتها • ولكن روسيا كانت ناقمة من الامير اسكندر ومجاراته للوطنيين فى بلغاريا فدبرت له مكيدة لاختطافه واخذته فعلا الى بسارابيا • لكن الامير استطاع ان يعود بعد حين الى امارته نظرا لمناهضة البلغاريين للروس ، ثم ما لبث ان اعتزل الحكم فى

ايلول ١٨٨٦ خشية دسائس روسيا ووقاية لبلاده من نقمتها ، وترك بلاده رغم احتجاجات الشعب .

واخيرا اختار البلغاريون سنة ١٨٨٧ الامير فرديننـد الالمانى اميرا على بلغاريا متجاهلين المرشح الروسى . وكان فرديننـد هذا سياسيا ذكياً ، وقد ترك مقاليد الحكم فى السبع سنوات الاولى من حكمه بيد الوطنى البلغـــارى ستامبولوف . وكان هذا ينتمى الى طبقة الفلاحين غير انه اصبح يشغل منصبا سياسياً كبيرا ثم صار رئيسا للوزراء فى عهد فرديننـد .

وكان يمتاز بالنشاط والمقدرة وتقرب من السلطان لمناؤة روسيا وانتفع من صداقة تركيا فى قضية ضم مكدونيا الى بلغاريا .

وقد حصل على مرسوم من السلطان بتأسيس اربع اسقفيات بلغـــارية فى مكدونيا ، فأصبح بذلك المجال واسعاً للدعاية البلغارية فيها .

على أن الامير فرديننـد اختلف مع ستابولوف اخيرا فاستقال الاخير سنة ١٨٩٤ وخلا بذلك الجو لفرديننـد الذى بدل سياسة وزيره واتجه نحو روسيا فأعترف القيصر به اميرا شرعياً على بلغاريا ، وكذلك فعلت الدول الاوربيـــة الاخرى سنة ١٨٩٦ .

وعلى اثر الانقلاب العثمانى سنة ١٩٠٨ انتهز الفرصة وظفر بموافقـة روسيا على ان يعلن انفصال بلغاريا انفصالا تاماً عن الدولة العثمانيـة ونأدى بنفسه ملكاً مستقلا وكانت بلغاريا قبل الحرب العالميـة الاولى من اكثر دول البلقان تقدماً .

الجبـل الاسـود

كانت من الاقطار الخاضعة للامبراطورية العثمانية واستقلت فى معاهدة برلين . وانتعشت هذه البلدة الصغيرة فى عهد الامير نيقولا الذى ساعد عـلى

نشر التعليم وتصنيع البلاد ثم وضع لبلاده دستورا دمقراطيا سنة ١٩٠٥ ثم أصبحت ملكية سنة ١٩١٠ .

استقلال البانيا

دخلت البانيا فى حيازة العثمانين فى عهد محمد الفاتح سنة ١٤٧٦ بعد معارك عنيفة خاضتها جيوش السلطان ضد الالبانيين بقيادة اسكندر بيك . ومع ذلك فقد بقيت البانيا منطقة نزاع بين الاتراك والبنادقة حتى معاهدة كارلوفتز سنة ١٦٩٩ .

ان البانيا لم تتمكن من التحرر من السيطرة التركية المباشرة الا فى سنة ١٩١٣ حيث انها أصبحت خاضعة للاشراف غير المباشر من قبل بعض الدول الكبرى (انكلترا او فرنسا) .

أما الاسباب التى دعت الى تأخير الحركة التحررية فى البانيا فتنحصر فى كون المجتمع الالبانى يتألف من عدة قبائل ومذاهب وأديان . وهناك دينين رئسيين هما الاسلام والمسيحية . وقد ساعدت طبيعة البلاد الطوبوغرافية على عزلة السكان .

ولم تكن هناك لغة مكتوبة حتى اواخر القرن الثامن عشر ، وكانت الحالة الاقتصادية بدائية ولم تكن هناك طبقة تجارية متوسطة يؤبه بها . كما أن السكان وخاصة المسلمين منهم لم يرغبوا الانفصال عن الدولة العثمانية .

غير ان الحركة التحررية بدأت تتكون وتنمو فى القرن التاسع عشر عن طريق الجمعيات التبشرية وخاصة البريطانية منها حيث نشرت اول ترجمة للانجيل بلغة البانيا . وتأسست سنة ١٨٧٨ جمعية البانية ادبية فى استانبول غايتها النهوض بمستوى لغة البانيا لكن السلطان اغلقها سنة ١٨٨٦ .

أما فى المجال السياسى ، فقد انتشر الوعى السياسى الالبانى عن طريق النهضة الثقافية فنشرت بحوثا تهدف الى استنهاض الهمم الالبانية والتوحيد وذلك بتذكير الالبان بابطالهم الذين قارعوا السيطرة الاجنبية كالاسكندر بيك فى القرن الخامس عشر وعلي باشا والي البانيا ١٧٨٨-١٨٢٢ • وقد اعلن هذا تحديه للسلطات العثمانية سنة ١٨٠٣ وأستمر فى عصيانه الى سنة ١٨٢٢ •

غير ان التنظيم السياسى قد بدأ فى آواخر القرن التاسع عشر اذ تشكلت سنة ١٨٧٨ العصبة الالبانية ثم العصبة الاورثوذكسية سنة ١٩٠٨ • وقد عقدت عدة مؤتمرات كانت المطالبة فيها بنشر التعليم والاصلاح الادارى اللامركزى والحكم الذاتى •

ولما حدثت الحركات التحررية فى البلقان • ونجحت القوميات البلقانية فى نيل استقلالها ، أثرت ذلك على الحركة القومية فى البانيا • غير ان الدول الاوربية لم تكترث لالبانيا حتى العقد الاول من القرن العشرين بالرغم من الاتصالات التى اجرتها البانيا مع بعض هذه الدول • على ان الدول الاوربية لم تتجاهل المطاليب القومية فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ فحسب بل عملت على توسيع رقعة صربيا والجبل الاسود على حساب المناطق الالبانية • وقد دافع الالبان بنجاح عن بلادهم بقوة السلاح ضد الجيوش الصربية التى ارادت ان تفرض التسوية بالقوة • فكانت هذه المعارك من العوامل التى ساعدت على نمو الوعى القومى بين الالبان •

لقد تهيأت الفرص أمام الالبان للمطالبة بالاستقلال الذاتى سنة ١٩٠٨ وذلك على أثر الانقلاب العثمانى ، حيث ان الالبان ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى فى مساعيها الانقلابية ، وتولى بعض الالبان مراكز قيادية عليا فى تلك الجمعية فى البداية غير ان الاتراك لم يبروا بوعدهم بل ساروا على سياسة التتريك والمركزية لهذا فقد امروا باغلاق المدارس الوطنية ومطاردة

الصحف • ولقد اندلعت الثورة فى البانيا سنة ١٩١٠ وانتهت سنة ١٩١٢ وذلك أثر حصولهم على الاستقلال الذاتى •

لقد حرك الاستقلال الذاتى لالبانيا اطماع الدول البلقانية المجاورة ، فوضعت كل من اليونان وصربيا خطة لاقتسام البانيا قبيل بداية الحرب البلقانية • واحتلت هاتان الدولتان فعلا مناطق البانية واسعة فى الحرب • لكن الدول الاوربية الكبرى انقذت البانيا فى مؤتمر لندن سنة ١٩١٣ حيث اعترفت بأستقلالها الذاتى وأقرت بانسحاب الجيوش البلقانية من اراضيها تحت الاشراف الدولى •

الفصل الثامن

الدول السكندنافية ، الاراضى المنخفضة
الاتحاد السويسرى ، واسبانيا والبرتغال

١ ـ الدول الاسكندنافية

يقصد ببلاد اسكندنافيا السويد والنرويج والدانيمرك ، وسكان هـذه المناطق الثلاث يشتركون فى الاصل واللغة والدين وأساليب المعيشة والتطور السياسى والاجتماعى • لقد عاشت الشعوب السكندنافية على الزراعة والتجارة وصيد الاسماك • والطبقة الارستقراطية منهم لها اهميتها بصورة خاصـة فى السويد والدانيمرك • أما النرويج فكانت بلد الفلاحين على طول الخط • ولما تقدمت الصناعة فى الدول الثلاثة ظهرت فيها الاشتراكية وانتشرت • وعـلى أثر ذلك حدثت تغييرات تدريجية فى الاجهزة السياسية حتى أصبحت اجهزة الدولة دمقراطية حديثة حُرّة • كما زال التعصب الدينى والقيود المفروضة لاجل تكوين نوع من الانسجام الدينى فى البلاد • وتحرر الناس بذلك من جميع القيود واستطاعوا أن يمارسوا حقوقهم السياسية والمدنية • وقد شجعت الحكومة التربية والتعليم ونشر الثقافة بين جميع السكان تحت اشراف الكنيسة اللوثرية التى لازالت الكنيسة الرسمية فى الدول السكندنافية • ونشأ الأدب القومى وتطور وأصبح باعثاً فى تقوية الروح الوطنية •

الدنيمرك

لقد كانت الدانيمرك اصغر الدول الاسكندنافية وقد انفصلت عنهـا النرويج سنة ١٨١٤ وألحقت بالسويد فى مؤتمر فيانا • وخسـرت ولايتى شلزويك وهلشتاين الى المانيا سنة ١٨٦٤ • وقد تأثرت الدانيمرك بثورة ١٨٤٨

فاعلن الملك فردريك السابع انعقاد مجلس تأسيسى لوضع الدستور الذى نصّ على برلمان منتخب من قبل دافعى الضرائب من الطبقة الوسطى • وفى ١٨٦٦ أجرى تعديل على الدستور وأصبحت السلطة السياسية مشتركة بين الملك والبرلمان المكون من مجلسين يعين الملك قسم من اعضاء المجلس الاعلى بينما القسم الباقى ينتخب انتخاباً غير مباشر • أمّا المجلس النيابى فينتخب انتخاباً مباشراً • وخلال حكم الملك كريستين التاسع ١٨٦٣-١٩٠٦ استطاع المجلس النيابى ان يدخل صراعا سياسياً مع الملك والمجلس الاعلى لتحرير البرلمان وجعل الوزارة مسؤولة أمامه دون الملك • وكان الاخير يريد تقوية الجيش الذى رفض النواب تخصيص اى مبلغ لاجله بأعتباره أمر غير ضرورى وأستمر الصراع من ١٨٧٢ الى ١٩٠١ • وقد استطاع الفلاح الدانيمركى ان يحسن أحواله الاقتصادية خلال هذه الفترة بالتأكيد على الزراعة الكثيفة فى حقله المتواضع ، وتطوير صناعة الالبان والمشاريع التعاونية • وكلما تحسنت أحوال الناس الاقتصادية كلما بينت رغبة فى الاشتراك فى السياسة وتأييد الطبقة الحرّة ضد الحكم القسرى • وفى ١٩٠١ اضطر الملك العجوز الموافقة على تغيير الدستور وانتخاب الوزارة من اكثرية البرلمان على ان تكون مسؤولة أمام الاخير •

ولما توفى الملك سنة ١٩٠٦ خلفه فردريك الثامن وبدأت المطالبة بتعديل قانون الانتخابات وجعل البرلمان اكثر دمقراطية • وقد مات فردريك فى ١٩١٢ وخلفه ابنه كريستين العاشر فوافق هذا على التعديل المذكور وأصبح حق التصويت لكل من تجاوز (٢٥) من عمره من الرجال وقسم من النساء• والغى تعين اعضاء المجلس الاعلى سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ •

لقد تقدمت الصناعة والتجارة فى البلاد خلال هذه الفترة واصبح ثلث السكان يشتغلون بالصناعة • كما تقدمت التجارة الخارجية تقدما باهرا بعد

نكسة منتصف القرن • ولعبت شركة البواخر المتحدة الدنيمركية دورا مهما فى تقدم وتطوير التجارة البحرية • ولم تكن الدانيمرك متأخرة فى الحقل العلمى والفكرى وبلغت الثقافة درجة عالية فى البلاد •

السويد

خسرت السويد فنلندة بعد الحروب النابليونية التى ألحقت بروسيا ، وحصلت مقابل ذلك على النرويج • وقد اغتاظ السويديون لهذه الخسارة وأكدوا على تقوية الجيش • وكان ملك السويد المارشال بيرنادوت فرنسى الأصل ، وحكم البلاد بين سنة ١٨١٨ و ١٨٤٤ بأسم شارل الرابع عشر •ومع ان هذا كان قائدا ثوريا مشبعا بأفكار الثورة الفرنسية ، لكنه ارتد وأصبح اكثر رجعية من ملك الدانيمرك عندما ارتقى العرش السويدى •

ولم يرتح النرويجيون من انضمامهم الى السويد لعدم وجود التكافؤ بين الشعبين ، فانتشرت الكراهية والبغضاء بين الجانبين • فقد كانت السويد بلد المزارع الواسعة وطبقة ارستقراطية زراعية قوية تعتمد على الفلاحين بينما النرويج كانت بلد المزارع الصغيرة واكثر سكانها من الفلاحين ، وقسم منهم يعيش على صيد الاسماك • وكان هؤلاء الفلاحين يمقتون النبلاء ويكرهون الالقاب •

لقد انتشرت الثورة الصناعية فى السويد خلال القرن التاسع عشر وازداد سكان المدن وظهرت فيها طبقة الرأسماليين والعمال الصناعيين ، بينما ظلت النرويج بلدا زراعيا وتجاريا • وقد تطورت تجارتها مع الخارج بحيث أصبحت رابع دولة تجارية بعد بريطانيا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية فى كثرة سفنها التجارية وسبقت السويد فى ذلك • ومن الناحية السياسية ، كانت النرويج لها دستور حر وضع قبل الانضمام الى السويد • وبموجب

هذا الدستور أعطت السلطة العليا الى برلمان منتخب انتخاباً غير مباشر من قبل دافعي الضرائب ، في الوقت الذي كانت السويد ترضخ للملكية المطلقة ومجلس طبقات يعود الى العصور الوسطى ، لانه كان مؤلفاً من أربع طبقات تمثل النبلاء ورجال الدين وسكان المدن والفلاحين • وفي سنة ١٨٦٣ استبدل مجلس الطبقات ببرلمان مكون من مجلسين لكن الطبقة الارستقراطية هي التي سيطرت عليهما ، وكان الملك يتمتع بحق النقض في كل عمل من اعمال البرلمان • وقد ظلّ أولاد واحفاد المارشال برنادوت يحكمون السويد بموجب نظرية الحق الالهي ، بينما حكموا النرويج حكماً دستورياً •

لقد توفي شارل الخامس عشر ملك السويد في ايلول ١٨٧٢ دون ان يترك ولداً يرثه فارتقى اخوه الاصغر اوسكار العرش السويدي ، وكان هذا حازماً ذكياً بصيراً بالامور • وقد ساعدته ثقافته العالية على حسن تصرفاته ، ولمّا كان من الانسانيين تمكن من كسب ثقة شعبه وتأييدهم •

وعلى الرغم من ان الملوك حكموا حكماً مطلقاً منذ عهد برنادوت الا أن نزاعاً ظهر بين المعارضة والملك تطالب بالحياة الدستورية والمسؤولية الوزارية• ولما ارتقى اوسكار العرش اصبحت الحياة البرلمانية جزءاً من النظام السويدي • وكان البرلمان من مجلسين قد حلّ محل الدايت واصبح رئيس الوزراء مسؤولا أمام البرلمان في ١٨٧٦ •

لقد كان البرلمان يجتمع منذ ١٨٦٧ ، وكان المجلس الاول ذا نزعة محافظة أشبه بمجلس اللوردات في أنكلترا • بينما المجلس الثاني تكون من ممثلي سكان المدن من الطبقة الوسطى والفلاحين من سكان الارياف • وفي الوقت الذي نظم ممثلوا الفلاحين أنفسهم في حزب زراعي سيطر على المجلس كان المثقفون قد نظموا انفسهم في حزب يؤيدون المحافظين في المجلس الاول •

لقد كانت المعارضة قوية فى المجلسين ، ولما كانت الميزانية تقـــرر فى جلسة مشتركة ، كان المجلس الاول يفوز بتأييد الاقلية فى المجلس الثانى • وقد أدى هذا النزاع الى عرقلة الاصلاحات السياسية • وكانت الحكومـــة تعتمد اما على الاكثرية فى احد المجلسين ، أو تتخذ طريقاً مستقلا • وبمرور الزمن قلت المعارضة بـــين المجلسين لان المجلس الاول كانت أغلبيتـه من اصحاب الاراضى الذين كانت مصالحهم مشتركة مع الحزب الزراعى • ولمّا ظهرت الافكار الثورية وانتشرت بين ممثلى المدن فى البرلمان تكون حـــزب الاحرار الذى أخذ يسيطر على المجلس الثانى وخاصة بعد ١٩٠٥ • وبدأت المنافسة بين الاحرار والمحافظين للمجىء الى الحكم •

لقد كان النزاع بين الحزبين فى أول الامر على الدفاع • اذ أن الجيش النسويدى وبحريتها أصبحتا من الطراز القديم لا يصلح لمواجهـة الجيوش الحديثة • وقد انتبهت الحكومة الى هذه الناحية لما تأزمت الاحوال فى اوربا بسبب حروب بسمارك ، وأرادت القيام بالاصلاحات • غير ان الحزب الزراعى أخذ يعارض الاصلاح بسبب تكاليف نفقات الجيش والبحرية ، واشترط الغاء الضرائب المفروضة على الاراضى أو تخفيضها مقابل ذلك • وقد استمر ذلك حتى سنة ١٨٨٥ لما تمكنت الحكومة ان تمدد الخدمة العسكرية مقابـــل تخفيض ٣٠٪ من ضريبة الارض •

وقد عقب هذا صراع عنيف بخصوص حرية التجارة نتيجة للأزمـــة الاقتصادية التى اجتاحت البلاد فى اواسط الثمانينات • اذ أغرقت الحبـوب الامريكية الرخيصة أسواق اوربا فهبطت أسعار المواد الغذائية الامر الـــذى ادى الى أعادة النظر فى نظام الضرائب فى السويد • فاستقالت وزارة اصحاب حرية التجارة ، وشكلت الجماعة التى تريد حماية التجارة الوزارة ســـنة ١٨٨٨ ، وفرضت ضريبة عالية على الحبوب • وفى سنة ١٨٩٢ فرضت ضرائب

جديدة لحماية الصناعات السويدية • وقد سيطرت جمعية حماية التجارة على البرلمان حتى سنة ١٩٠٥ • وقد تحسنت الاحوال الاقتصادية فى التسعينات وقامت الحكومة باصلاح الجيش والبحرية وألغت ما تبقى من الضرائب المفروضة على الارض ، واصبحت السويد من اقوى الدول الاوربية بالنسبة لسكانها •

لقد استخدمت الحكومة فى سنة ١٩٠٥ التمثيل النسبى كقاعدة فى انتخابات المجلسين والتصويت العام بالنسبة للمجلس الثانى ، ودفع رواتب نواب المجلسين ووافق البرلمان على ذلك فى ١٩٠٩ •

لقد تقدمت الاحوال الاقتصادية خلال المدة تحت الدرس • وكانت اكثرية السكان تعيش على الزراعة التى تقدمت باستخدام المكائن الزراعية والاساليب الحديثة والزراعة الكثيفة واستغلال الاراضى التى لم تزرع حتى الآن • وبدأ الفلاحون بتربية المواشى وتقدمت صناعة الالبان وكانت الغابات المصدر الرئيسى للصادرات ونالت عناية عظيمة • كما ان التعدين اصبح عماد الصناعات السويدية بحيث أن مناجم نورلاند كانت تصدر كميات كبيرة من خامات الحديد فى اوائل هذا القرن • لقد كان التقدم الصناعى أهم ما يمتاز به عهد اوسكار الثانى وابنه گوستاف الخامس الذى اعتلى العرش سنة ١٩٠٧ • لقد ازداد عدد العمال بنسبة خمسة اضعاف ، كما ازداد الانتاج بنسبة سبعة اضعاف • واستخدمت الشلالات لتوليد القوة الكهربائية التى استخدمت فى الصناعة • وكثرت السكك الحديدية والخطوط التليفونية والتلغرافية • واتصلت موانىء السويد بالموانىء البعيدة فى العالم • وتقدمت تجارة البلاد • وخير دليل على كثرة ثروة البلاد هوا ازدياد ميزانية الدولة من حوالى ٣٫٣٣٠٫٠٠٠ باون استرلينى فى ١٨٧٢ الى أكثر من (١٠) ملايين باون فى ١٩٠٧ وازداد نفوس البلاد من أربع ملايين الى اكثر من ٥½ ملايين •

كانت نتيجة التصنيع ان انتشرت الاشتراكية فى السويد فى أوائل هذا القرن وبدأت المنازعات بين العمال واصحاب الاعمال واصبحت المسألة العمالية المحور الاساس للسياسة الداخلية قبل الحرب • ولمقاومة الاشتراكية وتحسين أحوال العمال بدأت الحكومة السويدية تقوم بتطبيق التشريعات الاجتماعية والضمان الاجتماعى وحذت الدول السكندنافية الاخرى حذو السويد فى ذلك • ومما ساعد على تحسين الاحوال الاقتصادية فى هذه الدول الثلاث مهاجرة عدد كبير من سكان البلاد الى امريكا وخاصة من السويد •

اما الحركة العلمية والفكرية فى السويد فكانت سريعة فى الاربعين سنة قبل الحرب الاولى • وقد نبغ عدد من العلماء فى مختلف انواع حقول المعرفة • وكان للسويد باعاً طويلاً فى الفن والموسيقى ، أما فى التعليم فلا يضاهيها بلد آخر فى العالم •

النرويج

لم تحض النرويج بالثروة الطبيعية ، وأراضيها الزراعية قليلة ، كما أن غاباتها قليلة الاهمية • ومع ان النرويج تولد القوة الكهربائية فى شلالاتها لكن قلة المعادن ورأس المال حالت دون الاستفادة منها فائدة كبيرة • ولهذا اهتمت بالتجارة الخارجية وبناء السفن وجعل البلاد منطقة سياحية تدر عليها ثروة كبيرة •

وقد ظلت النرويج مرتبطة بالسويد من الناحية السياسية منذ ١٨١٥ • وبينما كان الحكم فى السويد مطلقا ، كان النرويجيون يتمتعون بنظام برلمانى حرّ • وقد استطاع البرلمان النرويجى ان يجبر الملك على التخلى عن ممارسة سلطاته بعد ١٨٧٢ ، وظهر حزب الاحرار باتحاد الفلاحين مع الثوريين وشكّلوا حكومة نرويجية حرّة مسؤولة أمام البرلمان • ولم يتدخل

السويديون فى النزاع الذى حدث بين الملك والبرلمان النرويجى • بل على العكس كان اغلبهم يرحبون بكل انتصار يحرزه البرلمان النرويجى ضد الملك •

ولما سقطت وزارة الاحرار سنة ١٨٩١ تشكلت وزارة محافظة التى أخذت تتناوب فى الحكم مع الراديكاليين حتى سنة ١٩٠١ • وكان النرويجيون يريدون السيطرة على جيشهم وعلاقاتهم الخارجية بمعزل عن السويد • كما دعوا الى علم منفصل وتمثيل دبلوماسى مستقل • ولما رفض الملك اوسكار الثانى ذلك قرر البرلمان النرويجى الانفصال التام عن السويد فى ١٩٠٥ ووافق الشعب النرويجى على ذلك بعد اجراء الاستفتاء • فاضطرت حكومة السويد عندئذ ان توافق على الانفصال ، وارتقى احد ابناء ملك الدانيمرك عرش النرويج • وقد عقدت النرويج معاهدة دفاعية مع انكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا فى سنة ١٩٠٧ والتى بموجبها اعترفت هذه الدول باستقلال النرويج وسلامتها •

وقد ساعد فصل النرويج عن السويد على المطالبة بالحريات الدمقراطية فطبق نظام التصويت العام للذكور واصبحت الانتخابات مباشرة فى ١٩٠٦ • كما انه طبق نظام التصويت العام للذكور والاناث منذ سنة ١٩١٣ ، والغى حق النقض الذى كان يتمتع به الملك فاصبح مقيداً كملك انكلترا •

الاراضى المنخفضة
هولندة وبلجيكا

هولندة :

كانت الاراضى المنخفضة عبارة عن مملكة واحدة مكونة من هولندة وبلجيكا • لكن الاخيرة ثارت وانفصلت عنها سنة ١٨٣١ واعترفت هولندة بهذا الانفصال سنة ١٨٣٩ • وقد ظلت هولندة بلداً زراعياً وتجارياً ولم تقم

بتصنيع واسع كما فعلت بلجيكا • ومع ذلك فلقد كانت لهولندة اهميـــة أقتصادية عالمية فى القرن التاسع عشر لا تقارن بمساحتها الصغيرة ونفوســها القليل لامتلاكها مستعمرات واسعة فى اندونيسيا التى كانت تدر عليها ثروة عظيمة • وظلّت امستردام العاصمة مركزاً تجارياً مهماً للبضائع الاستوائيــه وخاصة التوابل • وقد ازدادت أهمية هولندة الزراعية والتجارية بعــد ان قامت بالتصنيع فى نهاية القرن التاسع عشر ، وانتفعت من التقارب الصناعى والاقتصادى بينها وبين انكلترا والمانيا وبلجيكا حيث كان تبادل البضائع يجرى فى الاراضى الهولندية ويستفيد من ذلك الوسطاء الهولنديين • وقــد ازداد سكان مدنها وتوسعت اسواقها ، واشتهرت هولندة بصناعة الالبان وصيــد الاسماك ، وتمسكت بحرية التجارية ، فى الوقت الذى بدأت الدول المجاورة بتطبيق حماية التجارة •

وقد ظلت هولندة محافظة يحكمها ملك مطلق وبرلمان عبارة عن مجلس الطبقات • الا أن ثورة ١٨٤٨ أجبرت الملك وليم الثانى على الموافقة بمنــح الدستور للبلاد محولا بذلك مجلس الطبقات الى برلمان مكون من مجلسـين تكون الوزارة مسؤولة أمامه ، وألغيت القيود على ممارسة الشعائر الدينية • غير ان حق النقض المطلق الذى ظل الملك يتمتع به فى كل عمل برلمانى ، واقتصار حق الانتخاب على الطبقة الغنية جرد البرلمان من دمقراطيته •

وقد خطت هولندة خطوات تدريجية نحو الدمقراطية السياسية بتوسيع قاعدة الانتخابات فى ١٨٨٧ و ١٨٩٦ بحيث يشمل عدد اكبر من ابناء الشعب• ومع ذلك كان عدد قليل من الذكور يشتركون فى الانتخابات فى ١٩١٧ ، وظل الملك يتمتع بحق النقض واقتراح القوانين •

حكم وليم الثالث من ١٨٤٩ الى ١٨٩٠ وخلال مدة حكمه كان النزاع السياسى الرئيسى على التعليم الذى أصرّ الاحرار على ان يكون عاماً وعلمانياً

حراً لايدرس بموجبه دروساً دينيـــة • بينما كان الكاثوليك والبروتستانت يريدون المدارس العامة تحت اشراف الكنيسة تمولها الدولة • ولمدة ما نجح الاحرار فى تطبيق سياستهم اذ أن الدولة أسست وموّلت مدارس عامـــة حياديـــة • لكن المحافظين (البروتستانت والكاثوليك) استطاعوا فى ١٨٨٩ الحصول على المساعدات المالية من الحكومة لمدارسهم الخاصة • وفى ســـنة ١٩٠٠ صار التفاهم بين الطرفين وأصبح مفروضاً على كل طفل هولندى اما ان يداوم فى مدارس دينية خاصة أو فى مدارس عامة حيادية • وكان فى هولندة ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ كاثوليكى و ٢ر٨٠٠ر٠٠٠ كالفنى و ٨٠٠ر٠٠٠ بروتستنتى غير كالفنى و ١٠٠ر٠٠٠ يهودى بحسب احصائيات ١٩٢٠ •

توفى وليم الثالث سنة ١٨٩٠ وارتقت ابنته ويلهلمينا العرش • ومع انها تزوجت من امير المانى سنة ١٨٩٨ ، استطاعت ان تبدد مخاوف الوطنيين من الحاق هولندة بالمانيا بمنع زوجها من التدخل فى شـــؤون الـدولة فارضت الوطنيين بذلك • وقد وافق البرلمان الهولندى على قانون يقضى بتقوية الجيش والتجنيد الاجبارى وتحصين الحدود •

لقد كان ملوك هولندة من عائلة اورنج امراء على مقاطعة لكسمبرك • غير ان اتفاقاً حصل بين افراد العائلة على ان لا تنتقل الامارة الى ويلهلمينا بعد موت وليم الثالث فانتقلت لكسمبرگ الى احد أقرباء عائلة اورنج وهو الامير ادولف امير مقاطعة ناساو الالمانية • وقد اجتاح الجيش الالمانى الدوقية سنة ١٩١٤ على الرغم من التعهدات الدولية بالمحافظة على حياد لكسمبرگ فى ١٨٦٧ •

لقد نمت الاشتراكية فى هولندة وخاصة فى امستردام وفريسلاند • وفى ١٩٠٣ هدد الاشتراكيون الحكومة فى القيام باضراب عام اذا لم تنفذ مطاليب حزب العمال الدمقراطى • غير ان الحكومـــة استخدمت الجيش ضـــد

الاضراب • وفى انتخابات ١٩٠٥ فاز الاحرار بحوالى ٤٥ مقعد والاشتراكيون بسبع مقاعد بينما المعتدلين حصلوا على ٤٨ مقعداً ، فشكل المعتدلون الوزارة •

لقد تقدمت هولندة فى الثروة والرخاء خلال الفترة قيد الدرس واصبح سكانها ٥ ملايين نسمة • وقد استحدثت آلاف الافدنة من الاراضى بتجفيف البحيرات وفتح منفذ جديد لامستردام الى البحر ببناء قنال جديد تمر به السفن الضخمة واصبحت المدينة مزدهـــرة ، كما ازدهرت ميناء روتردام وكانت التجارة الالمانية تمر بها ايضا • وقد حدثت ازمة فى الزراعة وصناعة الالبان فى اواخر القرن الماضى بسبب منافسة الدانيمرك ، لكن فى مطلع هذا القرن انتعشت اقتصاديات هولندة مرة أخرى وأصبح صيد الاسماك من التجارة التى تدر أرباحاً كثيرة • أما من الناحية العلمية فلا تقل هولندة عن بقية دول أوربا الغربية المتقدمة •

بلجيـــكا

استقلت بلجيكا عن هولندة بعـــد ثورة استمرت من ١٨٣١-١٨٣٩ ، وحصلت على ضمانات دولية باستقلالها فى معاهدة لندن بعد انتهـاء الثورة • لقد كان الدستور البلجيكى قد وضع السيادة فى الشعب ، والملك يملـك ولا يحكم كما هى الحالة فى بريطانيا • أما البرلمان فيتكون من مجلسين ينتخب اعضاءهما انتخاباً وهو يمثل الطبقة الارستقراطية والوسطى دون الجماهير • وهناك مجلس قضائى مستقل ووزارة مسؤولة أمام البرلمان ومقدمة عن حقوق الانسان والمواطنين أسوة بدستور الولايات المتحدة الامريكية • ومـــع أن الدستور كان صلباً ولم يكن دمقراطياً الا انه لم يكن هناك ما يمنع تطويره الى دستور دمقراطى • وعلى أى حال فانه كان احسن دستور فى القارة الاوربية•

كانت بلجيكا الدولة الثانية بعد بريطانيا انتشرت فيها الثورة الصناعيـة والسبب فى ذلك كثرة المعادن فيها وقربها من انكلترا واهتمامها بالصناعة منذ القديم ووجود موانيء ممتازة على سواحلها كميناء انتويرب المشهورة وشبكة

من القنوات النهرية والسكك الحديدية • وقد اهتمت بلجيكا شعباً وحكومة بانتاج المصنوعات المختلفة على نطاق واسع ونمت تجارتها الخارجية • فكأن عدد المكائن التجارية فيها قد بلغ ٢٨٫٠٠٠ فى ١٩١١ ، واستغلّت قوة تقدر بحوالى ٢٫٧٥٠٫٠٠٠ حصان • وكانت قيمة صادراتها وواردا تهـــا اكثر من مليار ونصف مليار دولار سنوياً • ولم تواجه بلجيكا نقصاً فى الزراعة كما هى الحالة فى بريطانيا • ومع ان اصحاب الاراضى قلّ عددهـــم الا ان الفلاحون احتفظوا بمزارعهم ، وعن طريق الزراعة الكثيفـــة والمشاريـــع التعاونية احتفظوا بمستوى انتاجهم ومواردهم رغم صغر مزارعهم • وصاحب هذا الرخاء الاقتصادى زيادة فى سكان بلجيكا الذى بلـغ ٧٫٤٣٢٫٧٨٤ فى عام ١٩١٠ ، فصارت اكثف بقعـــة فى اوربا اذا قيست بصغر مساحة المملكة البالغة ١١٫٣٧٣ ميلاً مربعاً وهى أقل من مساحة البرتغال • ومع ذلك نجد ان سكان بلجيكا لم يتركوا بلادهم كالايطاليين والبرتغاليين وغيرهم واقتنعوا بما كسبت ايديهم •

تمتاز بلجيكا بانها ليست دولة قومية ، لان الجزء الشمالى يتكلمون اللغة الفلمنكية (الهولندية) والجزء الجنوبى يتكلمون اللغـــة الفرنسية •فاذا انقسمت بلجيكا بحسب اللغة يجب ان تأخذ هولندة القسم الشمالى وفرنسا القسم الجنوبى فتزول بلجيكا عندئذٍ عن الوجود كدولة وطنية • وقد امتازت بلجيكا منذ تأسيسها باستقرار حكومتها وهدوء حياتهـــا السياسية • وقـــد استطاعت ان تحافظ على التوازن مع بريطانيا فى السياسة والتصنيع • ولـــم تحدث فيها ثورة او انقلاب عسكرى ، ولا اصطدم الملكيون فيها بالجمهوريين• وفى بلجيكا كما فى بريطانيا حزبين رئيسيين او ثلاث ووزارة مستقرة نوعاً ما • وتوسعت قاعدة الانتخابات بصورة تدريجية فانتقل نظـــام الحكم تدريجياً من الاوليگاركية الى الدمقراطية ضمن اطار الملكية الدستورية •

لقد تعاون الكاثوليك والبروتستانت والاحرار عند وضع الدستور فى ١٨٣١ وخلال حرب الاستقلال • وقد اتفق جميع الاطراف على ان يكون الملك كاثوليكياً ، وفيما عدا ذلك الناس أحرار فى معتقداتهم وليس للدولة حق السيطرة على الكنيسة ولا يجوز لاحد التدخل فى شؤون الكنيسة سواء أكانت كاثوليكية أم بروتستانتية • وعلى الدولة ان تقدم مساعدات مالية لرجال الدين الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم •

غير ان الحاجة الى المدارس بصورة متزايدة أجبرت الدولة على أن تؤسس المدارس ، عندئذ بدأ النقاش حول ما اذا كانت الدروس الدينية تعطى فى هذه المدارس أم لا • وعلى أثر ذلك تأسس حزبان سياسيان رئيسيان منذ ١٨٤٧ احدهما الحزب الكاثوليكى الذى حاول تدريس المبادى الدينية والاخلاقية ضمن مناهج التعليم على ان يقوم رجال الدين الكاثوليك بتدريسها • والثانى حزب الاحرار الذى أكد على المدارس الحيادية وحمل بشدة على التأثير السياسى والفكرى لرجال الدين • وكان الاحرار مسيطرين على البرلمان والوزارة خلال المدة من ١٨٤٧ و ١٨٨٤ وتشكلت الوزارات منهم على الاكثر ولمدة لا يقل مجموعها عن ٢٨ سنة ، فالغوا تدريس المبادىء الدينية فى المدارس وقطعوا علاقاتهم مع الفاتيكان موقتاً • بيد ان الحزب الاشتراكى الذى تأسس فى ١٨٨٥ حلّ محلّ حزب الاحرار وأيده عدد كبير من المثقفين وعمال المدن وأرادوا القيام بالاصلاحات الاجتماعية وجعل الحكومة اكثر دمقراطية • وقد أستفاد الحزب الكاثوليكى من المنافسة بين الاحرار والاشتراكيين ولكونه ايد الاصلاحات الاجتماعية حصل على الاكثرية فى أنتخابات ١٨٨٤ ، وبقى محتفظاً بها الى الحرب العالمية الاولى • وظلت الوزارات تمثل هذا الحزب خلال هذه المدة • وسواء بدافعهم الذاتى أو تحت ضغط الاحرار او الاشتراكيين قام الحزب الكاثوليكى فى الحكم بتشريعات

كثيرة للأصلاح • فقد اعيد تدريس الدين فى المدارس العامـــة وتوسعت المدارس الابتدائية الى درجة كبيرة بغية القضاء على الامية ، فبلغت نسبتها ١٣٪ فى ١٩١٠ بينما كانت ٣٠٪ فى ١٨٨٠ •

وقد أصبحت الدولة اكثر دمقراطية بتشريع قانون التصويت العام للذكور فى سنة ١٨٩٤ • واصبح لكل من بلغ ٢٤ سنة من عمره من الذكور حـــق التصويت • وأعطى حق التصويت المضاعف لكل من يتمتع بشروة او ثقافـــة عالية • وأصبحت اللغة الفلمنكية فى الشمال لغة رسمية مساوية للغة الفرنسية فى الامور الرسمية والثقافية فى سنة ١٨٩٨ ، وبذلك اصبحت هناك لغتـــان رسميتان فى بلجيكا واستخدمتا جنباً الى جنب فى الاعلانات والبيانات الرسمية وتسمية الشوارع وتأشيرها ، وفى الابنية العامة ونشر القوانين والاعمـــال الحكومية او الاهلية الاخرى • وفى ١٨٩٩ استخدم التمثيل النسبى فـــى الانتخابات واصبحت المقاعد البرلمانية بموجبه تشغل من قبل منطقة انتخابيـــة معينة توزع على عدد الاحزاب السياسية او المرشحين بنسبة عدد الاصوات التى حصل عليها كل منها •

وقد هاجم الحزبين الاحرار والاشتراكى الحزب الكاثوليكى الذى قام بهذه التشريعات وخاصة التشريع الخاص بتدريس الدين فى المدارس وتأثير رجال الدين • وقد حث الحزب الاشتراكى الناس الى الاضراب لالغـــاء التصويت المضاعف • ومع ذلك حصل الحزب الكاثوليكى على الاكثرية مرة أخرى فى انتخابات ١٩١٤ • ولقد قام الكاثوليك ببعض التشريعات الاجتماعية بعد ١٨٩٠ كتنظيم المعامل وتكوين النقابات العمالية وحماية ميزانيتها • وفـى سنة ١٩٠٠ منح التقاعد للمسنّين من العمال ، وتأسست بيوتاً لائقة لهم واهتمت الحكومة بتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية •

لقد اصبحت بلجيكا دولة استعمارية فى زمن الملك ليو بولد الثانى ١٨٦٥

ـ ١٩٠٩ • وكان هذا قد أسس شركة برئاسته اشترت الأراضى من القبائل الزنجية فى كونغو وأسست مزرعة كبيرة للمطاط هناك بلغ انتاجها فى ١٨٨٦ مبلغ (٣٠) الف دولار • وفى سنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ كونت من هذه المنطقة دولة سميت بدولة كونغو الحرة • وحصلت على موافقة الدول بذلك ، واصبح ليوبولد ملكها • وقد بلغ انتاج المطاط فيها ١٠ ملايين من الدولارات فى ١٩٠٨ • وفى نفس الوقت انتقلت ملكية الشركة الى الحكومة البلجيكية نتيجة للمعارضة الشديدة فى بلجيكا على ان تعوض الحكومة الشركة والملك فى نفس الوقت • وقام الملك البرت الاول ١٩٠٩ ـ ١٩٣٤ ببعض الاصلاحات فى المستعمرة بعد وفاة والده ومجيئه الى الحكم •

٣ ـ الاتحاد السويسرى

١٨٧٠ ـ ١٩١٤

تتكون سويسرة من ٢٢ مقاطعة اتحدت بعضها مع بعض اتحاداً كونفيدرالياً • ولما كان الاتحاد بين اقوام متعددة لم تكن سويسرا دولة قومية • فمن بين ٢٢ مقاطعة تتكلم ١٥ مقاطعة منها باللغة الالمانية ، وهى تمثل ثلثى السكان • وخمس مقاطعات تتكلم اللغة الفرنسية واثنتان تتكلمان اللغة الايطالية • والمذهب البروتستنتى يمثل الاكثرية فى ١٢ مقاطعة ، والكاثوليك يمثل الاكثرية فى ١٠ مقاطعات •

ومع وجود هذا التناقض فى اللغة والدين والعنصر تعتبر سويسرا من احسن الدول الدمقراطية فى العالم وأرقاها • والسبب فى ذلك يعود الى طبيعة النظام الكونفيدرالى السويسرى واستقلال سويسرا التقليدى • فسكان المقاطعة الواحدة اما كلهم من الالمان أو من الفرنسيين أو من الايطاليين ، وهذا دليل على تجانس سكان المقاطعة الواحدة وانسجامهم •

ولكل مقاطعة حكومة خاصة بها لادارة شؤونها • وسلطة الحكومة الاتحادية محدودة وتمارس بشكل لا تضر أو تؤذى اية مقاطعة او عنصر من العناصر • واللغة الالمانية والفرنسية والايطالية عبارة عن لغات رسمية بالنسبة للجميع • ورئاسة الجمهورية فى سويسرا تمارس بالتناوب بين القوميات المختلفة •

ان أبرز ظاهرة للحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات هى الدمقراطية السياسية • وقد تأسست الاجهزة الدمقراطية للحكومة الفيدرالية بموجب دستور ١٨٤٨ الذى نص على وجود سلطة تشريعية من مجلسين : المجلس الاول وهو بمثابة مجلس الشيوخ يتألف من عضوين لكل مقاطعة ، والمجلس الثانى المجلس الوطنى يمثل الشعب السويسرى بأسره وينتخب بالتصويت العام للذكور • والسلطة التنفيذية للجمهورية مكونة من المجلس الاتحادى المنتخب من قبل المجلس التشريعى لمدة ثلاث سنوات ، ورئيس الجمهورية ينتخبه المجلس التشريعى لمدة سنة واحدة • وقد نص الدستور ايضاً على الحرية الدينية وحرية الصحافة والاجتماعات العامة • وقد تأسست محكمة فيدرالية عليا على غرار المحكمة العليا الامريكية • ويمكن تعديل الدستور فى أى وقت بموافقة اكثرية الكانتونات ، واكثرية الشعب السويسرى •

وقد ظهرت مؤسسات أخرى نتيجة لجهود المجلس التشريعى والحكومة الفيدرالية ، ففى ١٨٤٩ تأسست دائرة البريد ، وألغيت المكوس بين الكانتونات فنشطت بذلك التجارة • وفى ١٨٥٠ اصبحت لسويسرة عملة موحدة مقتبسه من العملة الفرنسية • وفى السنة التالية وحدت المقاييس والموازين ، وأسست دائرة البريد والبرق • وفى ١٨٥٤ شرعت الحكومة الفيدرالية والحكومات فى المقاطعات بفتح الطرق والقنوات النهرية ، وأسست المعهد التكنولوجى السويسرى فى زوريخ • وهكذا بدأ الرخاء ينتشر فى سويسرا بفضل

حكومتها المستقرة ودستورها الدمقراطى ، وأصبحت مفخرة اوربا فى النظام والتقدم .

وقد أجبر مركزها المحترم واستقرار الحكم فيها وتقدمها المنقطع النظير الدول الاوربية الاخرى على عدم التدخل فى شؤونها واحترام استقلالها . وفى ١٨٦٤ عقدت معاهدة تجارية بين سويسرا وفرنسا ربحت الاولى منها كثيرا ، وأعطيت حرية السكنى بموجبها لليهود والفرنسيين فى سويسرا الامر الذى دعا الى التفكير فى تعديل الدستور ، وخاصة لما قامت بروسيا بسلسلة من الحروب ضد الدانيمرك والنمسا وفرنسا وأظهرت قوة عسكرية فائقة . فوجد السويسريون ان جيشهم الفيدرالى بنظامه القديم لا يستطيع الدفاع عن البلاد . كما أنه فى عصر السككك الحديدية المتشابكة كان من الضرورى توحيد قوانين الكانتونات . وهكذا اجتاحت الكانتونات حركة دمقراطية ترمى الى تغير الدستور الفيدرالى ودساتير الكانتونات من مجرد حكومات نيابية الى حكومات دمقراطية صحيحة .

وقد عدل الدستور سنة ١٨٧٤ بحيث يفسح المجال للاستفتاء الشعبى عن التشريعات . وقوى سلطة الحكومة الاتحادية بتخويلها حق تأسيس واشراف المدارس الابتدائية المجانية الحرة للاطفال السويسريين . وفى سنة ١٨٩١ أعطى حق مطالبة الحكومة بعرض التشريعات على الرأى العام السويسرى فى الوقت الذى يريد المواطنون ذلك . ومنذ ذلك الوقت قامت الحكومة السويسرية بتشريعات كثيرة للشعب السويسرى . وقد حلت حماية التجارة محل حرية التجارة فى ١٨٩١ ، وأعدت الحكومة مجموعة من القوانين المتجانسة مدنية وجزائية لسويسرا فى ١٨٩٨ ، كما اشترت السكك الحديدية من الشركات وقامت بادارتها . وفى ١٩٠٨ اصبحت القوى المائية المولدة للكهرباء تحت سيطرة الدولة . وفى ١٩١٢ شرعت الحكومة قانون الضمان

الأجتماعى للعمال • وخوفاً من تعرض حياد سويسرا الى الخطر فى حالة الحرب قامت الحكومة السويسرية بفرض التجنيد الاجبارى فى ١٨٧٤ وتقوية الجيش وتسليحه فى ١٩٠٧ وبذلك اضطرت سويسرا ان تنفق ثلث ميزانيتها على الجيش •

لقد تقدمت سويسرا اقتصادياً بين ١٨٧٠ ـ ١٩١٤ بسبب سياسة الاقتصاد فى النفقات التى طبقها السويسريون وخاصة رعاة المواشى فى المناطق الجبلية والزراع الذين طبقوا الاساليب العلمية فى الزراعة الكثيفة فى الوديان • لقد استطاع الزراع السويسريين ان يكيفوا أنفسهم للمتطلبات الجديدة فى الانتاج الزراعى ، وقد تركوا زراعة الاراضى الديمية التى لا تنتج كثيرا ، وكرسو جهودهم لصناعة الالبان وتربية المواشى • وقد طبقوا الاساليب الحديثة، كالمكائن الزراعية، والاسمدة الكيمياوية وتحسين نوعية الانتاج وازدياد كميته، والقيام بالتجاريب العلمية لهذا الغرض •

وقد نشطت الصناعات السويسرية بعد ركود سببه الحروب النابليونية والحصار القارى • وقضى السويسريون على الاحتكار التجارى للدول المجاورة بعد ١٨٤٨ وتمكنت من عقد علاقات تجارية مربحة مع الدول البعيدة • لقد اصبحت الدولة الفيدرالية متحررة من القيود التجارية الداخلية بعد ١٨٤٨ وأسست نظام كمركى موحد • وقد ساعدت الظروف على تنشيط التجارة فى منطقة الالب ونشر الرخاء فيها • ومع ان سويسرة تفتقر الى مواد الخام والفحم بصورة خاصة لكنها اصبحت دولة صناعية مع ذلك بفضل جهود السويسريين الجبارة ، وصناعة الساعات فى جنيف وبيورن ونيوشاتيل وقود جعلت سويسرا مفخرة صناعة الساعات فى العالم • أما بخصوص صناعة الاقمشة القطنية فقد سبقت دول القارة الاوروبية ونافست بريطانيا • ولما تدهورت هذه الصناعة بسبب المنافسة الاجنبية حل التطريز بالمكائن محلها وفاقت سويسرا غيرها فى

ذلك • وكانت صناعة الحرير فى بال وزوريخ تنافس مثيلتها فى ليون • وقد أنشئت الصناعات الثقيلة لصنع المكائن فى زوريخ وغيرها ونالت شهرة عالمية• ومن ناحية المواصلات تقدمت سويسرة ايضاً ، فقد تأسست شبكة من الطرق الممتازة اسستها الكانتونات بمساعدة الحكومة الفيدرالية • واول خط حديدى سويسرى أسس سنة ١٨٤٧ بين بادن وزوريخ • وتأسست شركات لبناء الخطوط الحديدية فى كل أرجاء البلاد ، أممت فى ١٨٩٨ كما أسلفنا • وقد ظهرت فكرة بناء نفق يخرق سنت گوثارد ويربط سويسرا بايطاليا • وتم الاتفاق بين الحكومتين فى ١٨٦٩ انضمت اليهما المانيا بعد سنتين وبذلك تأسس خط تجارى عالمى عبر سويسرا •

وكان من الطبيعى ان يصحب هذا التقدم الصناعى نمو الطبقة العاملة وتأثرهم بالآراء الاشتراكية التى بدأت تظهر فى سويسرا منذ ١٨٤٠ • غير ان هذه الطبقة اتبعت الحزبين الدمقراطى والاحرار • وكانت المؤسسات الدمقراطية فى سويسرا وطبيعة الشعب السويسرى الميالة الى العطف والاحسان حالت دون تصدع الطبقة العاملة ووجود نوع من التآلف بينها وبين الطبقات الاخرى • وكانت الحكومة السويسرية وحكومات الكانتونات الصناعية قد حاولت القضاء على مساوىء التصنيع عن طريق التشريعات • وهناك قوانين متقنة لحماية العمال اصبحت نموذجاً يقتدى بها للتشريعات الحكومية • وقد تكلمنا عما قامت به الحكومة السويسرية سابقاً •

أما فى ميدان التعليم فقد انجبت سويسرة المربى الكبير پاستولوزى Pastolozy المعاصر لنابليون بونابارت • وقد صار التعليم الزامياً فى سويسرة منذ ١٨٣٠ • وظهرت الجامعات والمعاهد الفنية المهمة فى زوريخ التى اهتمت بالعلوم • وقد ظهر عدد من العلماء هم مفخرة سويسرة امثال يوهان ويعقوب ودانيال بيرنوللى ، وليونارد يولر ، والبريخت فون هالر Haller

فى العلوم الطبيعية ، ولويس أگاسى Aggassiez بيرناودسنايدر فى الجيولوجى ، وجاكوب ستاينر فى الرياضيات ورودولف وولف فى الفلك ، وأخيراً جان كولادون وآرثر دى لاريف فى الفيزياء • ولقد كانت خرائط دوفور وأطالس سيگفريد نموذج مثالى للخرائط السويسرية • أما فى التأريخ فكان سيسموندى وروبرت گلوتز ، وشارل مونارد من الذين تفتخر بهم سويسرا من المؤرخين الذين ساروا على خطوات المؤرخ السويسرى الشهير يوهان فون مولر Muller • وفى الادب كما فى التأريخ برزت سويسرا وانتهج أدبائها الاسلوب التثقيفى لتثقيف الشعب السويسرى •

اسبانيا والبرتغال

ان مساحة شبه جزيرة ايبريا ـ اسپانيا والبرتغال ـ اكثر من مساحة فرنسا وتبلغ ضعفى مساحة شبه جزيرة ايطاليا • أما من حيث النفوس فأنها أقل من نفوس كلا البلدين • وتبلغ مساحة اسپانيا ٤/٥ مساحة شبه الجزيرة، والبقية عبارة عن البرتغال •

يرجع تأريخ الدولتين الى أواخر القرن الثانى عشر الميلادية لما بدأت الولايات المسيحية تتوسع وتتحد فيما بينها لتكوين مملكتين عظيمتين لعبتا دوراً مهماً فى السياسة الاوربية والاستكشافات الجغرافية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر • وقد امتلكت المملكتان مستعمرات واسعة فى امريكا وأفريقيا وآسيا • غير ان المستعمرات استقلت فى الامريكيتين فى اوائل القرن التاسع عشر وضعفت المملكتان • وكانت لحملة نابليون تأثير كبير فى بث مبادىء الثورة الفرنسية وروح الوطنية فى المملكتين الامر الذى أدى الى خسران مستعمراتهما وتوسيع شقة الخلاف بين القوى الرجعية والتقدمية •

لقد ظلّ البلدان زراعيين خلال القرن التاسع عشر • وكانت الطبقة الارستقراطية الزراعية (النبلاء) ورجال الدين أقوياء جداً • أما أكثرية السكان فهم من الفلاحين الذين لم يهتموا بما كان يجرى من الصراع بين

قوى التقدم والرجعية ، وأعتادوا الخضوع للنبلاء ورجال الدين • ولـــم يتدخلوا فى السياسة الا عندما كان ذلك يمس مصالحهم الآنيـة مساً تاماً • وهنا يلاحظ ان الذين يشتغلون بالسياسة سواء أكانوا تقـدميين أو رجعيين كانوا من طبقة النبلاء ورجال الدين أو الطبقة البورجوازية • وكانت طبقة عمال المدن ضئيلة نسبياً وقسم لايستهان به منهم لم يشتركوا فى الامـــور السياسية • وكانت الطبقة المثقفة وأصحاب المهن ، وهم أكثرية الطبقـــة الوسطى أشد الطبقات الاخرى فى الفعاليات السياسية • وفى نهاية القـــرن التاسع عشر لما بدأت الثورة الصناعية تنتشر فى أسبانيا والبرتغـــال أصبح للصناع وأصحاب البنوك نفوذ وأهمية • وأقتصر التصنيع على مدريدوكاتلونيا وليشبونة وفى مناطق التعدين والموانىء • وقد اقتصر البروليتاريا على اصحاب الدكاكين والعمال الى مدة طويلة • ولما نشأت الصناعات الحديثة بدأت هـذه الطبقة تنمو بسرعة وتزداد أهمية •

لقد كانت القوى الرجعية فى أسبانيا والبرتغال خلال القرن التاســع عشر تتمثل فى الذين يتمسكون بالتقاليد القديمة وتقوية المذهب الكاثوليكى والطبقات الاجتماعية ، والحكم المطلق ومناهضة كل تجديد أو عمل خـــلاف ذلك • أما القوى الثورية أو التقدمية فكانت تهتم بالتثقيف والتقدم وجعـــل الدولة علمانية ونشر المساواة بالقضاء على النظام الطبقى وجعل الحكومـــة دمقراطية ونشر الرخاء فى البلاد أسوة بالبلدان المتقدمة ومناوءة من يقف في الطريق لتحقيق هذه الاغراض من رجال الدين والنبلاء والمحافظين •

وكان زعيم الرجعية فى اسبانيا فى اوائل القرن التاسع عشر هو فردنند السابع ١٨١٤-١٨٣٣ الذى عاد الى عرشه بعد زوال نابليون • كما أن أولاده وأحفاده أتبعوا نفس الاسلوب وقد عرفوا بكارلست Carlist لانهم أتبعوا دون كارلوس أبن فردنند وحاولوا ضمان العرش له ولاولاده من بعـده •

أما فى البرتغال فقد تمثلت الرجعية فى الميخائيليين أتباع دون ميخائيل عم الملكة ماريا الثانية ١٨٣٤-١٨٥٣ • وقد حارب دون ميخائيل النزعة الحرّة فى بلاده •

وقد انتشرت النزعة الجمهورية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كما أنتشرت الراديكالية ، وقام الجمهوريون بثورة فى أسبانيا سنة ١٨٦٨ ضد الملكة ايزابيلا الثانية مستفيداً من النزاع الناشىء بين الملكيين لتأسيس الجمهورية فى سنة ١٨٧٣ • ومع أن الجمهورية لم تستمر أذ استعادوا الملكية سنة ١٨٧٥ بتعيين الفونزوا الثانى عشر ملكاً على أسبانيا • الاّ أن الجمهوريين ظلوا يبثون دعاياتهم الجمهورية بين الناس ومنها تسربت الى البرتغل التى ظهر فيها حزب جمهورى فعال سنة ١٨٨١ • لقد كان الجمهوريون راديكاليين من الناحية الآيديولوجية • فكانو دمقراطيين وضد الكنيسة لكنهم بورجوازيين ولهذا لم يكونوا راديكاليين من الناحية الاقتصادية • أما الراديكالية الاقتصادية فظهرت فى نهاية القرن متمثلة في الاشتراكية الماركسية ، والسندكالية (النقابية) والفوضوية يقودها ألمثقفون من الطبقة الوسطى وكان أتباعهم من الطبقة البروليتارية فى المدن •

لقد كانت حكومة اسبانيا والبرتغال خلال الفترة بين ١٨٧٥ و ١٩١٠ تترنح بين اليمين واليسار ، بين الرجعية والتقدمية ، تارة مائلة الى هذه الجهة وتوراً الى الجهة الثانية • وبينما كانت من الناحية النظرية حكومة ملكية دستورية حرّة ، كانت فى الواقع عبارة عن حلقة من رؤساء عسكريين وسياسيين يستندون فى حكمهم على الجيش متفقين فيما بينهم على تغير رجالات الحكومة بصورة منتظمة بين حين وآخر وتوزيع المحسوبين فيما بينهم •

لقد قسّمَ الزعماء أنفسهم الى حزبين فى أسبانيا : حزب المحافظين الذى كان يترأسه كانوڤاس ديل كستيلو ١٨٢٨-١٨٩٧ ، وهو محام وصحفى جمع

حول نفسه عدد من رجال الجيش على رأسهم مارشال كميوس ، وحزب الاحرار الذى كان يترأسه ماتيو ساكاستا ١٨٢٧-١٩٠٣ وهو مهندس يساعده عدد آخر من رجال الجيش يترأسهم مارشال سيرانو • لقد كان الخلاف قليلا بين الحزبين • فالمحافظون أكثر تأييداً للكنيسة وأكثر تحالفاً مع الارستقراطية • أما الاحرار فكان بينهم من يظهر ميلاً ضد الكنيسة ويدّعى بالدمقراطية السياسية دون أن يعمل من أجلها • وفيما عدا ذلك وخاصة فى القضايا السياسية الرئيسية كان الحزبان متفقين تمام الاتفاق ، وقد تناوب ديل كستيلو وساگاستا الحكم بين ١٨٧٥-١٩٠٢ خلال حكم الملك الفونزو الثانى عشر وزوجته ماريا كريستينا •

لقد تمكن الحزبان من المحافظة على الامن الداخلى بالقضاء على المعارضة سواء من الجمهوريين أو الكارليست • وتمكنت الحكومة من الحصول على تأييد الكنيسة الكاثوليكية بترك التربية والتعليم تحت سيطرة الكنيسة • ولما كان الجيش والموظفين المدنيين كلهم يعيشون برفاه على حساب الدولة كانوا مطيعين للحكومة • وقد أوقفت الحكومة الحركات الانفصالية التى قام بها السكان فى باسك وكاتلونيا •

لقد قام الحزبان ببعض الاصلاحات بالتناوب • فقد طبق المحافظون سياسة حماية التجارة بفرض التعريفة الكمركية لصالح الصناع والزراع ، وتقدموا خطوة نحو الدمقراطية السياسية بتطبيق قاعدة التصويت العام للذكور فى الانتخابات نتيجة لطلب المثقفين والعمال وذلك في سنة ١٨٩٠ • ولكى لا يتأخر أحد فى التصويت وللمحافظة على التوازن بين سكان المدن والقرى جعلت الحكومة التصويت أجبارياً فى ١٩٠٧ •

لقد كانت أسبانيا تحتفظ ببعض المستعمرات فى أواخر القرن الماضى وهى كوبا ، وپورتوريكو ، وفيلپين ، وجزر كارولين وصحراء ريودورو فى الساحل الغربى لافريقيا •

وقد حدثت ثورة فى كوبا سنة ١٨٩٨ وأخرى فى فيليبين فى نفس السنة قررت الحكومة الاسبانية اخمادها • لكن الحكومة الامريكية تدخلت فنشبت الحرب بين الجانبين خسرت أسبانيا بموجبها مستعمراتها بالاضافة الى تحطيم اسطولها وعدد كبير من جنودها • وحصلت الولايات المتحدة على كوبا وپورتوريكو وفيليبين بموجب معاهدة باريس وباعت جزر كارولين لالمانيا •

ونتيجة لخسران الحرب وتراكم الديون بسببها وجرح الشعور الوطنى وزوال السياسيين المجربين فقد الناس ثقتهم بحكومتهم • وقد بلغ الفونزو الثالث عشر سن الرشد فى ١٩٠٣ وتوج بحسب تقاليد عائلة بوربون وهبسبرگ •

وفي نفس الوقت أزداد عدد الجمهوريين فى البرلمان وكانت انتقاداتهم شديدة للنظام الملكى وللكنيسة • كما أن أتباع دون كارلوس بدأوا بشغبهم وشكوا فى شرعية حكم الفونسو الذى يقرب من الثوريين والتقدميين والدستوريين • لقد ظهرت السندكالية والاشتراكية فى المراكز الصناعية • وبدأت تهاجم الحكومة وأصحاب المصانع فى آن واحد وأخذت تحرض على الاضرابات والمظاهرات • وقد دبر الاشتراكيون والسندكاليون ثورة فى برشلونة سنة ١٩٠٩ أخمدها الجيش بصعوبة بالغة • وقد كثر الشغب والهياج بسبب أعمال السندكاليين والفوضويين الارهابية الامر الذى أدى بالحكومة فى القيام ببعض الاصلاحات • فسنّت القوانين الاجتماعية لتنظيم العمل فى المعامل واجيزت تكوين الجمعيات التعاونية والنقابات العمالية • وقد سن قانون التعليم سنة ١٩٠٢ ينص على اشراف الحكومة على التعليم الابتدائى • وفى ١٩٠٩ قامت الحكومة بأصلاح الادارات المحلية •

لقد قامت الحكومة الاسبانية برئاسة جوزيف كناليلس زعيم الاحرار بتقييد الكنيسة فى ١٩١٠ وحضرت تأسيس كنائس أخرى الا اذا وافقت

الحكومة • وقد قطعت العلاقات مع الفاتيكان وقامت الحكومة بهذا العمل بغية فصل الكنيسة عن الدولة أسوة بفرنسا • غير أن المظاهرات وأضرابات رجال الدين والرجعيين أجبرت الدوة على عودة العلاقات مع الفاتيكان فى سنة ١٩١٢ وتوقفت التشريعات ضد الكنيسة • وهكذا بدأت المناوشات والانتقادات المرّة بين الرجعية والتقدمية ، وساد التذمر فى الجيش الامر الذى أدى الى حدوث بعض الاضرابات •

البرتغال

كان الحكم فى البرتغال يشبه حكم اسبانيا تماماً ، ولاقت نفس المشاكل التي كانت تواجه أسبانيا فى عهد الفونزو الثانى عشر • فقد وجد فى البرتغال حزبان ملكيان دستوريان هما البعث والتقدم يقابل الحزبين الاسبانيين الاحرار والمحافظين • وقد تناوب الحزبان الحكم بنفس الطريقة التى كان الحزبان الاسبانيان يمارسانها بالسيطرة على الانتخابات والرشوة والمحسوبية • أما المعارضة فكانت مقتصرة على الرجعيين المعروفين بالميخائيليين (ميگيليست) الذين يقابلون الكارليست فى أسبانيا والجمهوريين الثوريين والاشتراكيين الذين بدأوا بالظهور والسندكاليين والفوضويين ، بينما كانت جماهير الشعب لا يبالون بالناحية السياسية • وكانت الحكومة تعتمد على مساندة الجيش والبحرية • لقد كانت الاجهزة الحكومية تعمل بأنتظام وبعيداً عن الصراع الداخلى فى ظل الملكية الدستورية فى عهد بطرس الاول ١٨٦١-١٨٨٩ ، غير أن الفساد السياسى ووجود أمبراطورية أستعمارية لاتستطيع البرتغال محافظتها أربك النظام المالى وأشغلت الدولة فلم تستطع القيام بالمشاريع الداخلية ، لقد كانت الضرائب ثقيلة جداً وأهملت الاصلاحات الاجتماعية والتربية والتعليم ، وهاجر قسم كبير من أصحاب المال والفنانين الى البرازيل •

ولقد تأزمت الاحوال بسبب الارتباكات المالية المتكررة فى عهد الملك شارل الاول ١٨٨٩–١٩٠٨ ، وأشتدت المعارضة ضد نظام الحكم • ولما كان الملك فاسداً يريد المال لنفسه يحلّ البرلمان كلما رفض الاخير تخصيص المال اللازم له ، ويعين وزراءً ينفذون رغباته دون الالتجاء الى البرلمان ويحكم عن طريق أصدار المراسيم • وآخر أزمة مالية حدثت فى زمانه فى سنة ١٩٠٧ كانت بسبب تعين صديقه فرانكو رئيساً للوزارة ومنحه سلطة دكتاتورية • فأراد هذا أن يقوم بالاصلاح ويرضى الملك فى نفس الوقت ، لكن المعارضة أتحدت ضده وعبثاً حاول الملك قمع الحركة اذ اغتيل مع ولى عهده فى شباط ١٩٠٨ فى شوارع ليشبونة وأنتهت دكتاتورية فرانكو •

لم يستطع الملك الشاب عمانوئيل الثانى أن يصلح ما أفسده الملك السابق ، وقد انهزم فرانكو ، ولم يتفق البعثيون والتقدميون على سياسة مشتركة • وأشتدت فعاليات الجمهوريين لتقويض أركان الدولة • وحدث أن أغتيل أحد الاطباء المشهورين المعروف بنزعته الجمهورية فقامت الثورة فى تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٠ وألغيت الملكية وفرّ الملك عمانوئيل الى انكلترا وأسست الجمهورية وأصبح ثيوفيلو براگا رئيساً للحكومة الموقتة •

وضعت الحكومة الموقتة دستوراً جديداً على غرار دستور الجمهورية الثالثة فى فرنسا • وقد انتخب مانويل آرياگا Manoel Arriaga رئيساً للجمهورية • لقد كان العهد الجديد يختلف من حيث النظام والرجال عن العهد السابق • ومن الناحية الدينية طبقت الحكومة الجمهورية سياسة لادينية بين ١٩١٠ و ١٩١٨ وصادرت ممتلكات الكنيسة وقطعت الحكومة رواتب رجال الدين وبذلك تم فصل الكنيسة عن الدولة • وقطعت الحكومة علاقاتها مع الفاتيكان وأرسلت رئيس أساقفة ليشبونة الى المنفى وفرضت الرقابة على رجال الدين بحجة المحافظة على سلامة الجمهورية •

وفى الوقت نفسه انشق الجمهوريون على أنفسهم • وبدأ الملكيون والرجعيون يحرضون الناس على الثورة ، بينما كان الاشتراكيون والفوضويون وأمثالهم يهيجون الجماهير فى كل مكان • كما أن العسكريين ورجال البحرية أستخدموا قواتهم فى طرد الوزراء وتعيين أنفسهم محلهم • ولم تستطع الحكومة القيام بالاصلاحات وتدهورت الاوضاع ، واستقال (آرياگا) وأقيل خلفه نتيجة لانقلاب عسكرى •

لقد كان العهد الجمهورى أقل أستقراراً واكثر فساداً من العهد السابق فى البرتغال • وأبتعدت الشقة بين الجماهير والحكومة أكثر من السابق • وترك الشعب السياسة ولما لم تكن الحكومة دمقراطية أصبحت الاوضاع غير مستقرة حتى الحرب العالمية الاولى •

الفصل التاسع
الحركة الفكرية ١٨٧٠ ـ ١٩١٤
عصر المـــادة

تعرف الحقبة من ١٨٧٠ الى ١٩١٤ بعصر المادة وشيوع الواقعيـــة • وكانت الميزات العامة لهذه الفترة تتلخص فى التأكيد على النزعة القوميـــة وازدياد خطر الحرب بالتأكيد على العسكرية والتسلح وأنتشار الحضـــارة الاوربية فى العالم وتأثيرها على الحياة العقلية واليومية فى كل مكان • وهذا لا يعنى أن الاوربيين تخلوا عن الافكـــار التى ســـادت فى السابق اذ أن الرومانسية (الرومانتيكية) والليبرالية (النزعة الحرّة) وحتى الكلاسيكية، ولـــو أنها ضعفت لكنها ظلت تؤثر وتلعب دوراً مهماً فى الحياة الفنية والادبية والسياسية فى أوروبا •

غير أن الظاهرة البارزة والميزة الرئيسية للعصر هى أهتمام العلمـــاء والمفكرين بالعلوم الطبيعية والانغماس فيها وتحول الناس من الفلسفةالروحية الى الفلسفة المادية ، وأعتقاد الناس بأن التقدم الصناعى وأزدياد المكائن يؤدى الى كثرة الانتاج وأنتشار الرخاء • وهكذا أن التقـــدم المادى زعزع الدين والتقاليد وأصبح الايمان بالحقائق الملموسة • ومن هنا برزت الفلسفة المادية التى أنبثقت من تقدم علم الكيمياء والفيزياء والبايولوجى •

التطـــور

لقد برهن تقدم علم الكيمياء والفيزياء والبايولوجى فى القرن التاسع عشر ميكانيكية الكون ، تلك الفكرة القائلة بأن الكون عبارة عن آلة ميكانيكيةضخمة تعمل وفق قوانين طبيعية ثابتة فيزياوية ورياضية • وصار الاعتقاد جازماً بأن

الكائنات الحيّة من الحيوان والنبات ، والكائنات غير الحيّة من الكواكب والنجوم والحرارة والضوء والكهرباء والمعادن عبارة عن ظواهر طبيعية وأشياء مادية مركبة من عناصر بسيطة أنتظمت فى ذرات وجزئيات تعمل وفق قوانين الجاذبية العامة والطاقة الحرارية • ويمكن عن طريق المكروسكوب والتلسكوب ملاحظة الكائنات المجهرية والاجرام الكبيرة فى الكون لمعرفة تركيبها الميكانيكى •

لقد حدث ان كتب لاماركّ أحد النبلاء الفرنسيين كتاباً فى عدة مجلدات بعنوان التأريخ الطبيعى للحيوانات اللافقرية بين ١٨١٥-١٨٢٢ بين فيه معلومات علمية قيمة أهم ما فيها نظرية عامة للتطور ، يشرح فيها العلاقات المتطورة بين جميع أشكال الحياة وتوصل نتيجة لدراساته الى وضع أربعة قوانين عامة للتطور يشرح فيها العلاقات المتطورة بين جميع أشكال الحياة • وهى : أولا ، أن الحياة بطبيعتها تميل الى تكبير أجسام الكائنات الحية الى الحد الذى تعينه الحياة نفسها • ثانيا ، ان الحاجة الجديدة فى جسم ما تجعل تكوين عضو جديد أمر ضرورى لقضاء تلك الحاجة • ثالثاً ، أن تطور الاعضاء يتناسب دائماً مع تطور وظائفها • رابعاً ، أن كل ما يطرأ على الجسم الحى من تغير أو تطور ينتقل الى الاجيال التالية عن طريق الاولاد •

وفى الوقت نفسه نشر چارلس لايل السكتلندى دراساته عن طبقات الارض سنة ١٨٢٧ وبين أن ثوران البراكين والزلازل والهزات الارضية وشق الانهر طرقها على سطح الارض تفسر لنا التطورات التى طرأت على سطح الارض عبر ملايين السنين الى أن أتخذت شكلها الحالى • وكانت نظريات لايل عبارة عن شرح مسهب لما كتبه جيمس هتن فى ١٧٨٥ من أن

ما نجده من التغيرات فى سطح الارض نتيجة لعوامل التعرية والتآكل ما هى الا عمليات كانت أقوى وأشد غيرت شكل الارض عبر ملايين السنين ، وأن الارض فى شكلها الحالى قد مرت بأدوار التطور التدريجى •

وكانت لدراسة المتحجرات من قبل جورج كوفير ولويس أكاس أهمية كبرى فى تقدم علم الاجناس ومعرفة وجود الحياة فى العصور الجيولوجية القديمة • فقد عثر على جماجم أنسان نياندرتال فى ١٨٥٧ بالقرب من دسلدورف فى المانيا ، كما عثر على جماجم انسان كرومانيون سنة ١٨٦٨ فى جنوب غربى فرنسا • وبعد البحث والتدقيق وأجراء دراسات أخرى فيما بعد وجد أن انسان نياندرتال وكرومانيون كانوا منتشرين فى مختلف انحاء أوربا فى عصور ما قبل التأريخ • وكان لاكتشاف انسان جاوة القردى فى ١٨٩٠ أثر بالغ فى أحتمال وجود كائن نصف انسان ـ نصف قرد عاش قبل اكثر من نصف مليون سنة • وضاعف علماء الآثار جهودهم لمعرفة أعمال الانسان اليدوية فى الازمان الماضية السحيقة •

ولقد كان علماء الاجناس يحاولون وضع أسس علمية للتفريق بين أجناس البشر وربط صفاتها بالعوامل الطبيعية المحيطة بها بعد أن وضعوا بداية لها فى القرن الثامن عشر • فدرسوا الاجناس البدائية وألصفات الموروثة والمحيط والثقافات ،وربطوا كل ذلك بالآثار وأشتقاق اللغات وفلسفة التطور • وقد ساعدت هذه الدراسات تطور علم الاجناس وأيدت الآراء السائدة عن التطور البايولوجى والجيولوجى •

لقد أستعملت كلمة البايولوجى (علم الحياة) لاول مرة من قبل العالم الالمانى كتفريد تريفيرانس الذى الّف كتاباً بعنوان البايولوجى سنة ١٨٠٥ بين أن الكائنات الحيّة الراقية انحدرت بصورة تدريجية من أنواع بسيطة نتيجة للتأثيرات الطبيعية التى لاتزال فعّالة • وبرهن عالم المانى آخر ، وهو

ارنيست باير ، فى ١٨٢٨ ، أن الانسان وبقية اللبائن وليد البيضة المخصبة كالطيور ووضع بذلك أسس علم الاجنة • كما أن ثيودور شوان برهن على أن الخجيرة هى الوحدة الاساسية للكائن الحى ، وأضاف آخرون أن الخجيرة مركبة من البروتوپلازم والنواة •

لقد كانت هذه الدراسات بحاجة الى نقطتين أخريين لاستكمال نظرية التطور : أولهما ، بيان صلة الانواع بعضها ببعض ووضع كل جنس أو نوع فى مرتبته • وثانيهما ، البحث عن عوامل التطور • وقد قام كل من داروين وزميله الفرد رسل والاس بهذه المهمة •

الداروينية

نشر داروين كتابه أصل الانواع بعد دراسات طويلة سنة ١٨٥٩ عقبه كتاب نشوء الانسان وارتقاءه سنة ١٨٧١ بين فيهما بأسهاب أن الكائنات الحيّة من حيوان أو نبات لم تكن بالاشكال المختلفة التى نجدها اليوم ، أنما ترجع الى أصل بعيد مشترك تطورت الى أن وصلت الى انواع مختلفة من الاشكال والصفات التى نجدها فى الوقت الحاضر • ويرجع تعدد هذه الانواع الى عملية التغاير التى طرأت على الافراد تحت ظروف الانتخاب الطبيعى فادت الى التنازع على البقاء وبقاء الاصلح وبادت الانواع غير الصالحة ، وحافظت الانواع الصالحة على الصفات الجديدة التى صارت تنتقل الى الجيل ألجديد عن طريق الوراثة •

وقد أيد عدد من العلماء والكتاب داروين أشهرهم توماس هكسلى فى انكلترا وايرنيست هيكل فى المانيا • غير ان اوگست وايزمان أثبت أن ألصفاة المكتسبة لا تورث • كما أن مندل برهن أن بعض الصفاة فى الوراثة غير قابلة للتجزأة لانها وحدات لا تتغير •

شيوع الداروينية

لقد أثر دراوين تأثيرا عظيما على المجتمع الاوربى ولا سيما على العلماء والمفكرين والفلاسفة ورجال الدين والسياسة • فقد ظهرت حكومات جديدة فى أوربا نتيجة للصراع كألمانيا وأيطاليا • وسيطرت الدول الاوربية القوية على الشعوب الضعيفة فى آسيا وافريقيا • كما أن التقدم العلمى كافح الجهل والتأخر • فظهر أن من بيده وسائل التقدم يتغلب بسهولة على الشعوب الجاهلة والمتأخرة • فأصبح ما قال به داروين عن التنازع على البقاء وبقاء الاصلح بديهياً لدى الخاص والعام • وقد بحث الفيلسوف الانكليزى هربرت سبينسر النشوء والارتقاء قبل داروين وهو الذى أوجد عبارة التنازع على البقاء وبقاء الاصلح التى اقتبسها منه داروين • وفى كتابه التقدم : سببه وقانونه (١٨٥٧) قال سبيسر ان كل تطور سواء أكان تطور الفرد أو المجموعة الشمسية يبدأ من المتجانس الى المتنوع • ورحب بكتاب أصل الانواع • وكتب بعد ذلك فلسفته التركيبية التى قال فيها : ليس هناك من عمل افضل من ازالة العراقيل فى سبيل التقدم الاجتماعى • وعلى علماء الاجتماع والسياسة ان يطبقوا النظريات البايولوجية ولا يعملوا ضد مبدأ الانتخاب الطبيعى •

ورحب المحافظون فى كل مكان بنظرية داروين • ففى امريكا أعتبر أنتصار الولايات الشمالية تأييدا للأيمان بالتقدم والمنافسة الاقتصادية وبقاء الاصلح • وقال أندروكارنگى أحد أصحاب الملايين هناك : أنه لم يكن قراءته لداروين وسبينسر قد خلصه من اللاهوت وما وراء الطبيعة فحسب بل وجد الصدق فى التطور والنشوء والارتقاء وبقاء الاصلح • فكل شىء حسن لانه يؤدى الى ما هو احسن وافضل • وهذا أصبح شعاره ومصدر راحته النفسية •

كما أن وليم گراهام سمنر احد علماء الاجتماع فى جامعة ييل الامريكية صرح بأن اصحاب الملايين فى امريكا هم حصيلة التنازع على البقا

والانتخاب الطبيعى • أما الماركسيون فرحبوا بالداروينية لأن ماركس كتب فى هذا الخصوص وقال : أن داروين أستطاع بدراسته للحيوانات المفترسة والنباتات أن يميز مجتمعه الانكليزى وتقسيم العمل والمنافسة والاختراعات وأيجاد أسواق جديدة والسيطرة على الشعوب واستغلالهم الامر الذى يؤيد التنازع على البقاء كما يقول توماس مالثس •

وقد انتقد العالم الانكليزى ريتچى هذه النزعة وقال بأن الانتخاب الطبيعى لا يتضمن قيماً أخلاقية • وقد تعلم البعض الآخر من داروين والداروينية ما يساعد على الاعتدال والتدرج • فمثلاً بيَّن المفكر الانكليزى والتر بجيت فى كتابه الطبيعة والسياسة ان التنظيمات السياسية ساعدت فى الماضى على تكوين وحدة وانسجام فى المجتمع لاجل التماسك والتضامن والمحافظة على الكيان الاجتماعى فى معركة التنازع على البقاء • غير ان التقدم فى الوقت الحاضر يتطلب القضاء على هذا الانسجام والتضامن بالتخلص من العادات والتقاليد والقوانين البالية والتفكير القديم • أن المرونة تأتى عن طريق الحرية الفكرية التى هى حصيلة المناقشات الطويلة التى تولد نوعاً من الاعتدال فى التصرف يساعد على حسن الادارة والحزم فى الحكومات الحديثة •

وقال ليستر وارد ، العالم الاجتماعى الامريكى ، أن قوانين علم الاحياء لاتفيد علوم الاجتماع لان المبادىء الاساسية لعلم الاحياء هى الانتخاب الطبيعى ، بينما الاجتماع يعلم الانتخاب الاصطناعى • أن بقاء الاصلح معناه بقاء الاقوى وسحق الضعيف ، فاذا كانت الطبيعة تتقدم بسحق الضعيف ، فالمجتمع الانسانى يتقدم بحمايته • وكان وارد يهاجم حرية التجارة ويؤيد التخطيط الاجتماعى • وقد أيد فكرة الصراع بين الفئات الاجتماعية وقال بأن هذا الصراع يحدث بين العناصر والاقوام المختلفة فى دورها البدائى • أما

فى المجتمع المتقدم فأن السياسة المبنيـــة على الحكمة والتعقـــل تحل محل الاساليب البربرية العنيفة التى سادت فى المجتمعات المتأخـــرة • ولا تزال موجودة حتى فى المجتمعات المتقدمة •

وقد أقتبس أصحاب النظريات العنصرية والاستعمارية من داروين قوله فى كتاب نشوء الانسان وانحداره : أن تقدم الولايات المتحدة يعـــزى الى تصرف شعبها نتيجة للأنتخاب الطبيعى • اذ أن الذين هاجروا الى تلك البلاد من أوربا هم الاشداء الذين نجحوا بكفاءتهم فى أعمار تلك المنطقة • وكان العالم الاجتماعى النمساوى لودفيگ گمبلو فيكس يؤكد بأن الدولة ظهـرت نتيجة للصراع الذى حدث بين الفئات الاجتماعية وأنتصار فئة على أخـرى • أن التقدم المادى والاجتماعى والفكرى يبرهن على أن الاصلح هو الـــذى ينتصر • وهذا التقدم ناتج عن الاعمال الاجتماعية وردود فعلها بصرف النظر عن أرادة الافراد ورغباتهم وأفكارهم وكفاحهم الاجتماعى • وقد وجـــد أحدهم وأسمه سترونگ أن المرحلة التالية من تأريخ العالم هى الصـــراع لاجل التوسع Lebensraum وهو المنافسة الاخيرة بين العناصر المختلفة فى العالم يتغلب فيه عنصر الانگلو ساكسون • وأكد على هذه النعرة هوســـتن ستيوارت چمبرلن الانگليزى الذى تجنس بالجنسية الالمانية وألف كتـــاباً بعنوان أساس القرن التاسع عشر أكد على تفوق العنصر الالمانى وأثر عـلى هتلر فيما بعد تأثيراً عظيماً • فقد أعتمد چمبرلن على داروين ونظريات علـم الحياة والاجناس ووقف ضد اختلاط الشعوب لان ذلك يقضى على نقاوتهـم العنصرية ويؤدى الى الانحلال والتأخر • وعليه يجب على الشعب الالمانـى أن يحافظ على نقاوته لكى يصبح سيداً على العالم •

أما الفابيين وجماعات أخرى مماثلة لهم فقد فسرت الداروينية تفسيراً يختلف تمام الاختلاف عما سبق ذكره • فالفابيون الانكليز والدمقراطيـون

الاشتراكيون فى كل مكان تأثروا بهنرى جورج وكتابه التقدم والفقر أكثر ممّا تأثروا بكارل ماركس • وأقتبسوا من الداروينية تدرجها ونشوئيتها • فاذا كانت الكائنات الحية تتطور تدريجيا من مرحلة بسيطة الى مرحلة معقدة خلال تأريخها الطويل ، فلماذا لا يتطور المجتمع البشرى بنفس الطريقة بحسب نظرية النشوء والارتقاء التى هى أقرب الى طبيعة الانسان والمجتمع من الثورات التى تدمر كل ما انجزه الانسان عبر العصور لاجل تأسيس مجتمع جديد قد لايكون الانسان ناجحاً فى تحقيقه • وهنا نجد أن الفابيين يتفقون مع والتر بجيت المار الذكر فى كثير من الآراء • يتبين من هذا العرض للتطور وشيوع الداروينية مفهوم ميكانيكية الكون الذى تطور بصورة طبيعية ، والمجموعة الشمسية التى قال العلماء بأنها تكوّنت بصورة آليّة • كما تكوّنت الارض والحياة والانسان وتفكيره وصفاته بنفس الطريقة فكانت نتيجة هذا التطور العلمى أن ظهرت الفلسفة المادية التى بلغت ذروتها فى السنوات مابين ١٨٧٠ و ١٩١٤ • وهى تشير الى طبيعة الافكار الفلسفية التى انبثقت من التقدم العلمى والصناعى فى القرن التاسع عشر •

الفلسفة المادية

ان المادّية تعنى انكار وتجاهل الفكر الروحى للكون وتفسير كل ظاهرة بالاشارة الى صفة وطبيعة المادة ووجودها • وبهذا المعنى العام قد يكون كثير من الناس ماديين دون أن يكونوا ذا تفكير فلسفى وذلك بتجاهلهم ثنائية الروح والمادّة دون انكارها • لان أغلب اولئك الناس هم أصحاب المال والاعمال وينظرون الى الاشياء من حيث منافعها المادية الآنية ، ولكثرة اشغالهم ، ليس لديهم متسع من الوقت للتفكير فى مصير الانسان وعواقب حياته • ومع ان قسماً منهم اعتقد بمذهب من المذاهب الدينية بصورة تقليدية ، لكن أكثريتهم

تأثروا بالمادية بصورة شعورية أو لاشعورية • وهناك قسم آخر ومن بينهم فلاسفة العلوم قدسوا المادية وآمنوا بالعلوم الطبيعية دون أن ينبذوا الناحية الروحية ، وأعتبر هؤلاء أنفسهم من اللاأدريين Agnostic تجاه الروح وما وراء الطبيعة • وقسم ظل متمسكاً بدينه ومعتقداته مع تبحره فى العلم •

والفلسفة المادية أوجدها اليونانيون القدماء • فقد اعتبر الفلاسفة الطبيعيون المادة أصل الوجود ومبعث الاحساس ولها كيان قائم بذاته فى حدود الزمان والمكان • وأن العقل لا يتجاوز فى مدى أدراكه نطاق المحسوسات ولذلك فأنه قاصر عن البت فى عالم ما وراء المادة •

ولقد قال بروتاكوراس مؤسس السفسطائية : أن الانسان هو الاصل فى الوجود لانه هو الذى وضع الاسماء للمسميات ووضع الصفات والخصائص التى تتميز بها الموجودات • وأن المحسَّس هو الوجود ولا وجود لغير المحس •

وقد فسَّر ديموكريتس الوجود بأنه : ذرات تسبح فى الفضاء • وعلَّل أختلاف المخلوقات بتفاوت الذرات عدداً وحجماً وشكلاً وترتيباً ، وهى تسبح فى الفضاء حسب أحكام الضرورة الازلية • وما الموت للأنسان بالنسبة لابيقور الا تشتت هذه الذرات فى الفراغ وزوال الوعى بنتيجة هذا التفكك والتشتت • ولما لم يكن هناك ألم بدون وعى فالعاقل اذاً هو الذى لايخشى الموت لانه تحرر من الالم •

ومن أشهر مروجى الفلسفة المادية فى العصور الحديثة هم توماس هكسلى وايرنيست هيكل ، وهربرت سبنسر المار ذكرهم • لقد كان هكسلى عالماً بايولوجياً أيد الداروينية ودافع عنها • ومع أنه لم ينكر وجود خالق الكون والكائنات لكنه قال « بعدم وجود دلائل علمية تثبت وجوده » • وقد أنكر وجود الروح وعالم الارواح ، وقال بأن كل شىء مادى ، والمادة لا تفنى

ولا تستحدث ، اذاً فليس هناك بدأ للخليقة بل تطـــور الكون والوجـــود بأستمرار تطوراً طبيعياً » • أمّا هيكل فالمادة فى نظره كل شىء والروح لاشىء والطبيعة العضوية واللاعضوية واحدة فى جوهرها • والحياة تطورت بطبيعتها من تفاعل العناصر الكيمياوية • أن الكائنات الحية ، بما فيها الانسان ، نشـأت من البروتوپلازم الذى يتكون من مركب كاربون ونايتروجين بطريقة التولد الذاتى • وما علم النفس الا فرع من الفسلجة • وجسم الانسان لا يختلف عن جسم الحيوان ودماغه نوع متطور من اللبائن السفلى والطيور والاسماك والاميبا والنبات والكربون • وتقرر قوانين الطبيعة الفيزياوية جميع الكون وطرق تطوره ولهذا فلا يمكن للأنسان أن يؤثر على التصرفات والاعمـــال اكثر من الحيوان والجماد • وقد بين وانت Wundt أن العقل الانســـانى فسلجى وميكانيكى فى نفس الوقت • وليست الروح كياناً منفصلا عن الجسم بل جزء ميكانيكى لاينفصل عنه • وبين الاساس الفيزياوى للتفكير بأسهاب ، وقال أن هناك صلة وثيقة بين العقل الانسانى ودماغ الحيوانات السفلى •

لقد كانت لهذه النظريات عن التطور المادى وجهة نظر تفاؤلية عـن عن التقدم البشرى ، وخاصة لما كان هناك تأكيد على أستمرارية التطـــور • فاذا كان الانسان قد نشأ من البروتوبلازم وبلغ ما بلغ عن طريق التطـور ، فلابد ان يصل الى ما فوق الانسان فى المستقبل • بيـــد أن أصله الحيوانى يجعل كثيراً من طبائعه الحيوانية المغروسة فيه مسيطرة عليه تحرفه عن طريق الرشاد فلا يستطيع اصلاح نفسه • وهنا ظهرت النظرة التشاؤمية التى كانت تتمثل فى فلسفة شوبنهاور الالمانى • لقد نبذ شوبنهاور الفلسفة العقلية التى كانت سائدة فى القرن الثامن عشر ، كما نبذ الرومانسية • وقال أنه ليس هناك عقل سوى العقل البشرى ، ولا ذكاء سوى ما يعبر عنه الحيوان ومن بينهـــم

الانسان (ككائن بايولوجى) ، وما يحكم الانسان سوى الارادة (أى أرادة كل فرد تعمل وفق حقيقة واقعية مبنيـــة على العقـــل والعواطف) • وما المنظمات والمؤسسات كالدولة والعائلة والكنيسة الا تحقيق لارادة الفـــرد • وتبقي الارادة ما بقى الانسان وتفنى بفناءه •

أما النظرة التفاؤلية فكانت متمثلة فى فلسفة نيتشة • لقد هاجم هـــذا الرومانسية (النزعة الرومانتيكية التى سادت فى أوائل القرن التاسع عشر) ، وكتب مقالات عن « الاوهام المعاصرة » فى الدين والفن والفلسفة التى قال بأنها نَغَّصَ حياة الناس عبر آلاف من السنين ، وليس هناك ما يسمى بالخير والصدق والجمال ، اذ لا توجد غرائز كهذه فى الانسان • ولا توجـد فى الطبيعة سوى غريزة القوة وحب السيطرة • فاذا تمَّت سيطرة هذه الغريزة على الانسان وقضى القوى على الضعيف تظهر عندئذٍ ارستقراطية السوپرمان أو طبقة من الناس يتصفون بصفات فوق صفات البشر • ويستطيع هؤلاء عن طريق الارادة القوية ، والغرور النفسى القضاء على القيم التقليدية وتحقيـق التقدم ، فتملك هذه الفئة القليلة الارض •

لقد سادت الفلسفتين التفاؤلية والتشاؤمية بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ وكانت مبنية على الاكثر على الدراسات النفسية والفسلجية السائدة فى ذلك الوقت • ولم يحصل شوبنهاور او نيتشة على أتباع ، وقد تأثر بهما عدد من الشـــبان الثوريين من الناحية الادبية ، أما من الناحية الفلسفية فكان تأثيرهما فى الفترة التى ساد فيها الاستعمار ، اذ تحمس اليهما الرأسماليون والسياسيون الـذين مهدوا السبيل الى الحرب العالمية الاولى • كما كان تأثيرهما كبيراً على هتلـر والدكتاتوريات التى ظهرت بعد الحرب •

الايجابيـة

لقد تأثرت العلوم الاجتماعية بالنظريات العلمية فى النشـــوء والتطور وأخذ علماء الاجتماع يفسرون الظواهر الاجتماعية تفســـيراً مادياً • وكان

أوگست كومت الفرنسى قد وجه الفكر الاوربى المعاصر الى هذا الاتجـــاه بفلسفته الايجابية فى منتصف القرن الماضى •

والايجابية كحركة فلسفية تأثرت بتقدم العلوم الطبيعية ، وحاولت أن تكون وجهة نظر موحدة نحو الظواهر الخارجية (الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والتأكسد والصدأ) فى الكون بتطبيق اساليب العلوم الطبيعية ونتائجها، سواء أكانت الظواهر فيزياوية طبيعية أم اجتماعية بشرية • وقـــد أثارت الايجابية معارضة جدلية ضد فلسفة ما وراء الطبيعـــة والمجردات ، ويمكن القول أن شيئاً ما يعتبر ايجابياً عندما يقع ضمن حـــدود الادراك الحسى ، وكذلك كل الحقائق التى تدرك مباشرة والعلاقات التى يكتشفها الفكر بـين هذه الحقائق وانسجامها بعضها مع بعض • وكل شيىء خارج مجال التجربة العلمية ويحاول البحث عن الاسس المكنونة وراء الظواهر المكشـــوفة ، أو المسببات وراء الاشياء ، أو ان يعزى الحقيقة الى الافكار والتأملات يعتبر ضمن حدود ما وراء الطبيعة •

وتشترك الايجابية مع العلوم الطبيعية من حيث النتائج بأن غاية المعرفة يجب ان لاتكون المعرفة بحد ذاتها ، بل تشمل العالم الواقعى • وبعبارة أخرى تفترض الايجابية توجيه الفعاليات بصورة فيها الفائدة والخير للمجتمع البشرى والسيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لمنفعة الانسان • ويجب ان يكون هدف المعرفة الحقيقى تنسيق العمل والتدريب العلمى الذى يؤدى الى مستوى أعلى للكفاءة والنظام فى حقل العلاقات الاجتماعية •

والمعرفة فى نظر اوگست كومت مرت بمراحل ثلاث (١) ان الانسان فى الدور الاول كان يفسر ظواهر الطبيعة تفسيراً دينياً وظهر تعدد الالهات التى فقدت خصائصها تدريجاً وحل محلها الايمان باله واحد • (٢) الاعتقاد بما وراء الطبيعة والمجردات حل محل اللاهوت والخرافات بمحاولة الانسان الكشف عن جوهر الطبيعة وظواهرها وبيان الاسباب للمسببات عن طـريق

العقل • (٣) ترك الانسان البحث عن الجوهر والمطلق والاكتفاء باكتشاف العلاقات بين الظواهر الطبيعية عن طريق العلم • وهذه المرحلة الاخيرة هى المرحلة الايجابية •

وفى بحثه عن تطور العلوم الايجابية أكد كومت بأن العلم يتقدم نحو المعقد ويتطور بحسب نظام معين وعليه يجب التقليل من التعميم وازدياد التعقيد • ورتب العلوم بحسب أهميتها الى رياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والبايولوجى وعلم الاجتماع • وبين ان كل علم يعتمد على سابقه ووضع الاجتماع فوق كل العلوم •

لقد احتوى هذا العلم (الاجتماع) فى نظره على الحقائق كلها وتوجد فى العلوم الاجتماعية كل المعرفة الايجابية والتعميم العلمى الخاص بالنظام الاجتماعى والاستقرار • وعليه يجب ان يكون هدف علم الاجتماع تنظيم الدين والاخلاق والانظمة السياسية للبشر واحلال الانسانية محل الأديان بتدريسها دراسة علمية ، لان لايمكن تنظيم المجتمع البشرى سياسياً الا بعد استكمال الوحدة الروحية والاخلاقية للمجتمع ، معتقداً ان تطور عقل الانسان كان بموجب قوانين معينة يمكن تفسيرها على ضوء التقدم العلمى •

لقد أكدت الايجابية على القوة التى بواسطتها يمكن تقوية النظام الاجتماعى وشجبت الثقة من الجماهير البسيطة التى فى نظرها تنخدع بسرعة، وأناطت أدارة الدولة والمجتمع فى الطبقة الارستقراطية الزراعية واصحاب المال والصناعات على أن يستشيروا الاخصائيين من رجال الفكر • وهاجمت الايجابية الحقوق الطبيعية والسيادة الشعبية التى نادى بها الفلاسفة والمفكرون فى القرن الثامن عشر ودعت اليها الثورة الفرنسية بأعتبارها مبادىء مثالية وبذلك مهد السبل لظهور الدكتاتوريات الحديثة كالنازية والفاشستية •

لقد غيرت المادية والايجابية مفهوم الحرية والدمقراطية فى نهاية القرن

الماضى ، وحلت الحرية الايجابية محل الحرية القديمة (وقد بحثنا ذلك فى موضوع الحرية الجديدة فى انكلترا) ، واستفاد أعداء الحرية من الفلسفة الايجابية بنقدها للثورة الفرنسية التى اتخذت السيادة الشعبية شعاراً لها ، وفرحوا بدفاعها عن الارستقراطية والرأسمالية .

وقد أطلع ماركس على كتابات أوگست كومت بعد ١٨٦٦ واعتبرها دون هيگل بكثير على الرغم من التأثير الدينى على هيگل والتأثير المادى على كومت . وقال ان الفلسفة الايجابية ما هى الا جهل بكل ما هو ايجابى ، وانها ولدت (أى الايجابية) فى تربة كاثوليكية .

التقاليد الثورية والحركات الاشتراكية

بدأت الثورة الفرنسية بتحرير الفلاحين من بقية الاقطاع وحصولهم على الاراضى . غير ان تجميد دستور سنة ١٧٩٣ الدمقراطى الذى وضعه المؤتمر الوطنى خيّب آمال عمال المدن الذين منحهم الدستور بعض الحقوق السياسية . وقد طالب بعض القادة اليساريين من اصحاب روبسبير فى حزب الجبل بتنفيذ هذه الحقوق وقاموا بحركة جماهيرية اختلطت فيها المناداة بالمساواة السياسية مع المطالبة بالخبز والعمل لاولئك الذين فقدوا أعمالهم بسبب التدهور الاقتصادى وقد نشر هؤلاء بياناً غامضاً مليئاً بالحقد والكراهية للأغنياء ، وقضت حكومة الثورة على الحركة بسرعة .

وفى سنة ١٧٩٦ قام گراكوس بابوف بحركته المعروفة بأسمه ونادى بالمساواة الاجتماعية وتأسيس المجتمعات التعاونية . وكان منهج بابوف وجماعته من دعاة المساواة اكثر وضوحاً من منهج الجماعة السابقة ، لكن حكومة الادارة قضت على الحركة وأعدم بابوف .

وقد أستمرت الحركات الثورية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر متمثلة فى زعماء ثوريين أمثال ارماند بارب واوگست بلانكى . وكان

الاخير أول من دعا الى دكتاتورية العمال كخطوة ايجابية للوصول الى المجتمع الشيوعى عن طريق تثقيف الجماهير ونبذ الدمقراطية السياسية • وقد قضى كل من بارب وبلانكى حياتهما فى السجن وفى تنظيم الجمعيات السـرية واكدا على الصراع الطبقى • وقد تطورت هذه الجمعيات السـرية وبلغت قمتها فى العصبة الشيوعية التى خولت كارل ماركس بأصدار البيان الشيوعى سنة ١٨٤٨ •

ولقد كانت الاشتراكية مظهر آخر من مظاهر الحركة الثورية • وقد استعملت كلمة الاشتراكية Socialism بمعناها الحديث لاول مرة سنة ١٨٢٧ من قبل جماعة روبرت أون Robert Owen الانكليزى فى مجلتها المعروفة بأسم مجلة الآونيين التعاونية أو Owenite Cooperative Magazino

• وبعد خمس سنوات (١٨٣٢) أخذ پيير ليرو Pierre Leroux يكتب عن الاشتراكية فى جريدته Le Globs التى كانت لسان حال جماعة سنت سيمون فى فرنسا • وكانت الاشتراكية تعنى فى اول الامر تنظيم شؤون الناس على أساس التعاون والتأكيد على انتاج الثروة وتوزيعهـا وتقوية التأثير الاشتراكى على المواطنين عن طريق التعليم بصورة تعاونيـة • وأعتبر الاشتراكيون التعليم الاشتراكى الصحيح حق من حقوق الانسـان الاساسية • ولم يذكر هؤلاء الاشتراكيون شيئاً عن العمال ولا عن الصـراع الطبقى ، وتركوا السياسة ، لكنهم اتفقوا على ان الامور كما تسير فى ذلـك الوقت تجعل العمال ضحية الاستغلال وقالوا بأن البطالة سببها سوء توزيـع الملكية ونظام التملك وليس أستغلال العمال من قبل اصحاب الاعمال •

لقد كان سان سيمون ، وهو من الاشتراكيين الطوبائيين مع روبرت أون وشارل فورى ، يرغب فى تكوين اتحاد للعمال مع أصحاب الاعمال ضـد

الطبقة الارستقراطية المتنفذة والغاء الارث والمكافأة بحسب الخدمات الفعلية او الكفاءة ، وأكد على ان الذى يقدم أكبر خدمة للمجتمع يجب ان يحصل على اكبر دخل ممكن • بينما شارل فورى Charles Fourier اراد تحديد حصص أصحاب المال والمدراء بنسبة معينة ثابتة من المجموع الكلى للأنتاج ، وفرض ضريبة تصاعدية على الدخل من الممتلكات ، لكنه فى نفس الوقت كان يؤمن بحق التملك وعدم مساواة الناس فى الدخل بسبب أختلافهم فى الكفاءات • أما روبرت اون Robert Owen الانكليزى فكان يؤمن بتأسيس جمعيات تعاونية وتثقيف العمال والقضاء على البطالة وتخفيض ساعات العمل وتحسين ظروف العمل • وهو من اوائل الذين أكدوا على تكوين نقابات عمالية •

وقد اختلف لويس بلانك ١٨١١-١٨٨٢ عن الطوبائيين بأنه مؤسس الاشتراكية العملية • وكان بلانك يعتقد ان المنافسة فى المجتمع الرأسمالى هى الشر المقيت لانها تؤدى الى الاحتكار • والحل الوحيد هو قيام الدولة بتأسيس أسواق عامة وبنوك وطنية ، وتخطيط الانتاج بحسب الحاجات الحقيقية للمجتمع • وقد اعتقد بلانك أن الصناعات الخاصة يجب تصفيتها لاعن طريق التشريع بل عن طريق المنافسة مع الاسواق الوطنية • وأكد بلانك على تأسيس المنظمات وحق العمل • ومن واجب الدولة ان تهيىء جميع الفرص بشروط مناسبة ووضع حد ادنى للأجور •

وكان پير جوزيف بروذون Pierre - Joseph Proudhon يؤكد على تأسيس مصرف وطنى تعاونى يمنح قروضاً الى المنتجين بدون فائدة• وكان يعتقد ان تحرير المنتجين من ربقة رأس المال يسبب تكوين منظمات تعاونية بصورة آنية يتبادل فيها الانتاج على أساس قيمة العمل • وبهذه الطريقة

يمكن احلال الجهاز الاقتصادى محل الجهاز الحكومى ، الامر الذى يؤدى الى دمقراطية صناعية صحيحة • وقد أثر بروذون على الجماهير الفرنسية تأثيراً كبيراً وظهرت افكاره بعد فترة ركود فى أوائل هذا القرن بشكل الحركة النقابية التى كان يمثلها جورج سوريل •

غير ان الحركات الاشتراكية كان نصيبها الفشل لو لا ظهور كارل ماركس الذى وضع للاشتراكية منهجاً وفلسفة وتنظيماً •

لقد اقتبس كارل ماركس آراءه من مصادر مختلفة • ففى الناحية الاقتصادية كان مديناً الى الاقتصاديين الكلاسيكيين وأشهرهم دافيد ريكاردو • واقتبس افكاره عن الصراع الطبقى من مؤرخى القرن الثامن عشر فى انكلترا من أمثال جون مولر ، وآدم فيركسن • أما فلسفته الدايلكتيكية أو الجدلية فمأخوذة من الفيلسوف الالمانى فردريك هيگل •

وقبل أن نبدأ بماركس يجب ان نلقى نظرة على ما يقوله هيگل فى منطقة الجدلى • ان التجاريب والخبرات عند الانسان هى من صنع العقل ولما كان العقل خاضع لعامل النمو والتطور فلا معنى لوجوده فى عالم المحسوسات والواقع الا عن طريق دراسته على ضوء التطور • وما المؤسسات الموجودة فى المجتمع سوى محاولة للانسان فى التعبير عن فكره بالواقع المادى • فالمؤسسات أذن عبارة عن تجسيد للفكر البشرى • وما التأريخ الا عبارة عن التطور البطىء لفكرة الحرية التى يعبر عنها الانسان عن طريق المؤسسات الاجتماعية • ان أهم واطول خطوة خطاها الانسان فى دوره البدائى نحو الحضارة هو لما بدأ يميز الاشياء ويقسمها الى رتب وأصناف ، لان التمييز هو بداية المعرفة ، ولما يبدأ الكائن البربرى يميز ويستعمل فكره فهو يتحول الى كائن عاقل أو مفكر • الا ان هذه الافكار مستقلة بذاتها بحكم الضرورة • ففكرة الارض هى تعبير عن الارض وليست عن القمر ، وفكرة العدالة هى تعبير عن العدالة وليست

عن الجور والطغيان • ولما تتعقد الفلسفة تقع فى ارتباك عظيم لمحاولتها تفسير هذه الافعال باسؤال عن ماهية المادة أو ماهية الحقيقة ؟ الا أن الافكار ليست جامدة بل مرنة وحقيقية وقابلة للتغير والتطور • وفى كل مرحلة تأريخيـــة يفسر الناس الافكار وماهيتها ، غير ان هذا التفسير يأتى ناقصاً فى كل عصـــر ومحدوداً • ويظهر التناقض واضحاً عندما ينطبق الفكر على حاجة الانسان أو على الواقع عندئذ تظهر فكرة جديدة تستند على نقيض الفكرة السابقة وتتفاعل معها وتكملها • وهكذا فان كل فكرة جديدة قابلة للتغير وتحتوى على نقيضها، فالحياة تتضمن نقيضهـــا وهو الموت ، والعدالة الظلم أو الجور ، والحب الكراهية ، والخير الشر ، والحرية العبودية ، وعلى هذا المنوال نجد كل فكرة تنتج نقيضها ومن تفاعل الفكرتين المتناقضتين تظهر فكرة ثالثة هى نقض النقيض متكونة من الفكرتين السابقتين لكنها تختلف عنهما فالفكرة الاولى فـــكرة ايجابية تسمى Thesis ، والثانية فكرة ســـلبية Antithesis ومن تفاعلهما تظهر فكرة ثالثة هى نقض النقيض Synthesis وسمى هيكل هذا المنطق بالديالكتيك أو الجدل• والتقدم فى نظره هو الحركة نحو الحرية الكاملة أو الكمال بصورة عامة • وقد طبق ماركس هذا الجدل على التقـدم الاجتماعى ووجد ان المجتمع الاقطاعى كان يحتوى على نقيضه هو البورجوازية، والبورجوازية تحتوى على نقيضها هو الطبقة العاملة التى فى نظره تقضى عـلى البورجوازية وتؤسس مجتمعاً اشتراكياً •

وفى البيان الشيوعى الذى أصدره ماركس بالاشتراك مع فردريـــك انگلز عام ١٨٤٨ انتقد الحرية البورجوازية والاشتراكية الطوبائية وسمى اشتراكيته بالاشتراكية العلمية • وخلاصة البيان هى أن الصراع الاقتصادى العالمى بين الرأسماليين والعمال عبارة عن مرحلة من المراحل التأريخية الطويلة المليئة بالصراع الاقتصادى بين الطبقات الاجتماعية • وما التأريخ الا سجل

حافل بهذا الصراع الذى يبين كيف ان طبقة ما حصلت على الثروة والنفوذ والسلطة السياسية تنازعها طبقة اخرى لتحل محلها وتغتصب منها السلطة والنفوذ • لقد كان الصراع الى وقت قريب بين البورجوازية والاقطاع او الرأسماليين واصحاب الاراضى ، وفى الوقت نفسه خلقت الرأسمالية الطبقة العاملة التى تكافحها وتقضى عليها لان بأستغلال اصحاب المعامل للعمال تتجمع الثروة فى ايادى قليلة من الرأسماليين فيصبح هؤلاء بمرور الزمن أقل عدداً بينما يزداد عدد الطبقة العاملة بانضمام الجماهير الغفيرة اليهم ويزداد وعيهم الطبقى ويأتى يوم تقضى الاكثرية الفقيرة على الاقلية الغنية وتدشن عندئذ المجتمع العمالى وتؤسس الحكومة العمالية التى تسيطر على وسائل الانتاج والتبادل وتقضى على الملكية الخاصة وتعلن الاشتراكية • وتزول عندئذ المؤسسات البورجوازية والعقلية البورجوازية التى تسيطر حالياً على المجتمع ، وتزول الحرب بين الشعوب ومن واجب الاحزاب الاشتراكية تهيئة العمال لهذا الصراع بتدريبهم على الوعى الطبقى وحثهم على الصراع ضد الرأسمالية• وينتهى البيان بالنداء الى العمال فى العالم : يا عمال العالم اتحدوا فلا تخسرون شيئاً سوى قيودكم ولكن لكم العالم ان تربحوا ان انتصرتم •

وفى كتاباته المتأخرة وخاصة رأس المال بين ماركس فلسفته الاقتصادية التى ملخصها : اولا ، ان حضارة كل عصر ، سواء أكانت ادبية ثقافية دينية أو فنية ، تقررها الاحوال الاقتصادية او المادية لذلك العصر • ثانيا ، (ان مجرى التأريخ تقرره سلسلة من الصراع الطبقى لاجل السيطرة المادية (السيطرة على وسائل الانتاج) • ثالثا ، ان المرحلة الحاضرة التى يسود فيها المجتمع البورجوازى الرأسمالى يعقبها مجتمع عمالى اجماعى تعاونى • وقد قاد ماركس الحركة الاشتراكية الى آخر حياته ونظم الاشتراكيين فى اوربا ، وكان يترقب اليوم الذى يتغلب فيه العمال على الرأسماليين لتأسيس دكتاتورية العمال دون جدوى •

وقد وجهت انتقادات كثيرة الى نظريات كارل ماركس منها ايمانه العميق بالتطور التأريخي والاجتماعي وتقدم البشر نحو الرقي • وقيل ان نظرية التطور الاجتماعي لو كان مطابقاً للتطور الطبيعي لوجب استمرار التطور بعد المجتمع الشيوعي الى مجتمع ارقى بينما أوقف ماركس التطور في الشيوعية وهذا مخالف لاستمرارية قانون التطور • ان العنف والاساليب القسرية لاجل بناء مجتمع أفضل يجب المحافظة عليه بالقوة يؤدي الى سلسلة متتالية من الهدم واستعمال العنف والاساليب القسرية • وكل شيء يبنى بالقوة يسحق بالقوة • لان العنف يولد الكراهية فلا يمكن قبول نتائجه مهما كانت حسنة لانها اسست بالقوة • والثورة التي هي العنصر الاساسي في الماركسية خاصة والاشتراكية بصورة عامة تؤدي الى سحق المجتمع الذي بناه الانسان عبر مئات السنين قد لا تؤدي الى النتائج المتوخاة التي من اجلها قامت الثورة ، فتهدم الصالح والطالح وتزهق ارواح الكثيرين من الابرياء بغية التخلص من قلة من الاشقياء • ولهذا فان التطور الطبيعي للمجتمع والاصلاح المبني على التعقل والمنطق والاعتدال في السياسة والتفاهم لحل المشاكل هو السبيل الصحيح لبناء مجتمع افضل •

ولقد قام ادوارد برنشتاين بنقد صريح للاشتراكية الماركسية وقال بأن هناك شقة واسعة بينها وبين الحياة الواقعية • ان مصلحة المجتمع يجب ان تكون فوق الاعتبارات الطبقية • ان تركز المشاريع الصناعية لايعني جمع الرأسمال في ايادي قليلة • ولم يجد برنشتاين ما يشير الى انهيار المجتمع الرأسمالي بتقسيم المجتمع الى الاقلية الغنية والاكثرية الفقيرة كما تنبأ به ماركس ، بل وجد تكوين الكارتيلات والترستات لتكون حائلا دون القيام بالانتاج الزائد وتكديس المنتجات وتجنب الازمات الاقتصادية بتلك الطريقة وتحسين احوال العمال • وقال ان الاشتراكية كحركة يجب ان تتجه نحو نظام انتاجي تعاوني،

وأكد على حركة الفلاحين التعاونية وضرورة الاصلاح الزراعى الدمقراطى • وقد أثرت افكار برنشتاين الاصلاحية على الاشتراكية الماركسية واكسبتها صبغة نشوئية فى كثير من الاقطار وظهرت الاحزاب الدمقراطية الاشتراكية فى اوربا الغربية والوسطى على الرغم من بقاء النزعة الثورية فى صفوف أغلب الماركسيين •

ولقد ظهرت الفوضوية Anarchism جنباً الى جنب مع الاشتراكية الماركسية واصبحت حركة واسعة فى نهاية القرن الماضى وأوائل القرن العشرين • ويصعب تعريف الفوضوية لعمومتها ولكونها لايمكن تحديدها بنظرية علمية معينة • غير انه ، بصورة عامة ، تحاول تطبيق العدالة فى العلاقات البشرية عن طريق المساواة والتفاهم والتقارب والغاء الدولة أو التقليل من فعالياتها ان لم يكن الغائها ممكناً ، واحلال مجتمع محلها مبنى على التعاون الذاتى بين الافراد والجماعات والامم والاقطار • ويعتقد الفوضويون أن الطبيعة البشرية تميل الى الخير اذا لم تفسدها المؤسسات السياسية والاجتماعية التى هى آلة فى نظرهم لا تصلح لان تقوم بالاصلاحات الضرورية • ويقولون بأن المبدأ القائم على أساس الاتحاد الفيدرالى فى العلاقات الاجتماعية من علاقات بسيطة بين فئات صغيرة الى علاقات عالمية هو الكفيل بتأسيس مجتمع جديد ناتج عن عمل ثورى فى الحياة السياسية والاجتماعية ويكون هذا العمل الثورى فاشلا اذا انتهى الى بناء كيان سياسى يتمتع بالسلطة القسرية وليس المجتمع الفوضوى الجديد ناتج عن التطور الحتمى بل منبثق من الميل الطبيعى للنفس البشرى التى يوجهها العقل والمنطق والعدالة والمساواة والتجربة العلمية • ومع ان الفوضوية كالاشتراكية لها أساس فى الفلسفة اليونانية

القديمة ، الا أن أول ممثل لها فى العصور الحديثة هو وليم گودوين Godwin . الانكليزى • وأشهر أقطاب الفوضوية فى القرن التاسع عشر هم جوزيف بروذون الفرنسى وميخائيل باكونين وبطرس گروبوتكين الروسيان وقد مر ذكرهم فى الفصول السابقة •

لقد انتشرت الفوضوية فى أوائل هذا القرن فى فرنسا وايطاليا واسبانيا وأمريكا اللاتينية وقامت العناصر المتطرفة منها بجملة من الاغتيالات اذ قتل سادى كارنو ، رئيس جمهورية فرنسا ، والملك الايطالى همبرت ، والشاه ناصر الدين شاه ايران وعدد من الرجال الكبار فى أواخر القرن الماضى بأيديهم ومع أن تأثير الفوضوية قل بعد الحرب العالمية الاولى لكنها لعبت دوراً في الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ • غير انها لم تستطع ان تنتشر فى الدول التى كانت تتمتع بنظام دمقراطى برلمانى وحريات دستورية •

وأخيراً فقد انتشرت الحركة السندكالية Syndicalism او النقابية فى اواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن وأثرت تأثيراً كبيراً على ظهور الفاشستية بعد الحرب العالمية الاولى • والحركة النقابية السندكالية فرنسية تقابلها فى انگلترا الاتحادات العمالية أو Trade Unionism . والحركة الفرنسية ثورية تتفق مع الماركسية فى الاعتقاد بأن البورجوازية تستغل العمال وانهما فى صراع طبقى مقيت ينتهى بالثورة الاجتماعية وتأسيس المجتمع الاجماعى Collectivist Society • لكنها تختلف عن الماركسية والاشتراكية بصورة عامة فى اسلوبها الثورى ونوعية المجتمع الاجماعى الذى تريد السيندكالية تأسيسها • ومن مزاياها التأكيد على الدور الثورى الذى تلعبه الاتحادات العمالية فى كفاحها ضد الدولة • فالاتحادات

العمالية ليست منظمات لتحسين احوال العمال تحت ظل الرأسمالية فحسب ، انما وسائل رئيسية للقيام بالثورة عن طريق الاضرابات العامة ، ووحـــدة اساسية او خلية مجتمع المستقبل • والسندكالية ضد النظام الدمقراطى البرلمانى وضد القومية والوطنية والعسكرية • وتأثرت بدرجة كبيرة بكتابات جورج سوريل الفرنسى وخاصة كتابه انطباعات عن الثورة Reflections on Violence (١٩٠٦) ، اكد فيها على الاضرابات العامة للعمال • وكانت هذه الاضرابات سائدة بدرجة كبيرة فى فرنسا قبل الحرب العالمية الاولى •

هذه هى الافكار السياسية والاجتماعية التى سادت فى اوائل هذا القرن فى أوربا ، انتشر قسم منها فى العالم ، لاقبال الناس عليها ورفض قسم منهـا لانها كانت تمس الدين والمصالح الحيوية للنـــاس وتقضى عـلى العادات والتقاليد الاجتماعية التى سار عليها الناس عبر مئات من السنين • ولم تكـــن أغلبية الناس فى أوربا مستعدة للتضحية بكل ذلك •

محتويات الكتاب

تمهيد

١ ـ الفصل الاول : العلاقات الدولية فى اوربا ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

٢ ـ الفصل الثانى : الامبراطورية الالمانية ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

٣ ـ الفصل الثالث : بريطانيا ١٨٦٧ ـ ١٩١٤

٤ ـ الفصل الرابع : الجمهورية الثالثة فى فرنسا ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

٥ ـ الفصل الخامس : ايطاليا ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

٦ ـ الفصل السادس : روسيا والنمسا ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

٧ ـ الفصل السابع : بلاد البلقان

٨ ـ الفصل الثامن : الدول السكندنافية ، الاراضى المنخفضة ، الاتحاد السويسرى ، واسبانيا والبرتغال .

٩ ـ الفصل التاسع : الحركة الفكرية : التقدم الفكرى ، الافكار السياسية والاجتماعية السائدة بين ١٨٧٠ ـ ١٩١٤

المراجـــع

1. Benns, L. Europe Since 1870
2. Bury, History of France
3. Cambridge Modern History. V. XI , XII
4. Dill History of Germany
5. Encyclopaedia of Social Sciences
6. Encylopaedia Britanica
7. Fay, S. The Origin of the war.
8. Gottschalk The Transformation of Modern Europe. V. 2
9. Hayes, The Politieal and Cultural History of Modern Europe. V. 2
10. Hayes, Europe Since 1870.
11. Lunt, History of England.
12. Schmidt Tripple Alliance and Tripple Entente.
13. Sprigge, the Developement of Modern Italy.
14. Sabine, History of Political Theory.

وقد استفدت فى بعض المواضيع من محاضرات الدكتور عبدالقادر احمد اليوسف فأقدم اليه جزيل شكرى .

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074322296